الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة.
كلية الآداب واللغات.

قسم اللغة والأدب العربي.



أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه الطّور الثّالث.

الميدان: اللّغة والأدب العربيّ.
الشعبة: دراسات أدبيّة.
التّخصّص: أدب عربي قديم.



الأعلام الجغرافيّة في المعلّقات الجاهليّة (دراسة بينيّة)

إعداد الطالب:
حبيب زبالح
إشراف الأستاذ الدكتور:
أحمد التّجاني سي كبير

لجنة المناقشة:

الاستاذ	الرتبة	الجامعة	لصفة
أحلام بن الشيخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	رئيساً
أحمد التجاني سي كبير	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مشرفا ومقررا
فائزة زيتوني	أستاذ محاضر أ	جامعة ورقلة	مناقشا
فائزة خمقاني	أستاذ محاضر أ	جامعة ورقلة	مناقشا
وفاء مناصري	أستاذ محاضر أ	المركز الجامعي البيض	مناقشا
يوسف العايب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مناقشا

2023/2024

العنوان

الأعلام الجغرافيّة في المعلّقات الجاهليّة
(دراسة بينيّة)

إعداد الطّالب: حبيب زبالح

إشراف الأستاذ الدّكتور:

أحمد التّجاني سي كبير

السّنة الجامعيّة: 2024/2023

الإهــداء

أهدي بحثي هذا إلى الأغلى ما في الكون: أمّي العزيزة مغنيّة بلعباس الّتي لا تضجر من عنايتها وصب كلّ اهتمامها من أجلنا، فتنسى نفسها غير مكترثة بها متفرّغة إلينا، وإلى أبي العزيز: عبد القادر يرحمه الله مصدرُ الإلهام ونبعُ الإقدام، مهندس درب حياتنا ونجاحنا فيها، أسكنه اللّه تعالى مع الرّسل والأنبياء والصّالحين في أعلى العلّيين من الجنان. إلى اللّذين قال اللهُ عزّ وجلّ فيهما ﴿وقَضَى ربُّك ألّا تعبُدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحسانا، إمّا يبلُغَنّ عنْدَك الكبرَ أحدُهما أو كلاهما فلا تقلْ لهما أفٍّ ولا تنهرْهما وقلْ لهُما قولاً كريماً﴾ سورة الإسراء، الآية: 23.

إلى زوجتي فاطمة بلهادف وأولادي: شهاب عبد الرّؤوف، عبد الإله، محمد الطيب حبيب، والكتكوتة نسرين.

إلى إخوتي وعائلتي وأصدقائي جميعا وإلى روح أخي المكّي يرحمه الله.

إلى كلّ أساتذتي جميعا من معلّم السّنة الأولى ابتدائي إلى يومنا هذا.

إلى كلّ تلامذتي وطلبتي الأعزّاء والتّلاميذ جميعا وكلّ من يسعى من أجل طلب العلم.

إلى كلّ من يعرفني قريبا أو بعيداً.

إلى هؤلاء الأعزّاء أهدي بحثي المتواضع.

شكر وعرفان

الثّابت عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: " لا يشكر الله من لا يشكر النّاس"
وعليه نتقدّم بالشّكر الجزيل لزاماً إلى كلّ من قدّم لنا يدي المساعدة لإتمام هذا البحث الموسوم: الأعلام الجغرافيّة في المعلّقات الجاهليّة (دراسة بينيّة) وعلى رأسهم الأستاذ المحترم المفضال المشرف عل البحث منذ بدايته إلى نهايته والّذي كان بمثابة الأخ الأكبر في إسداء النّصائح والتّوجيهات وتقديم كلّ ما كان بوسعه تقديمه من مصادر ومراجع وتصحيح للأخطاء وإضاءة الدّرب بمجهودات جبّارة إنّه الأستاذ البروفيسور أحمد التّيجاني سي كبير الّذي لم يتردّد في تقديم كلّ هذا وأكثر فلا تكفي كلمات الشّكر ولن تفي بالمطلوب منّي في ذلك .
كما أتقدّم بالشّكر والامتنان اعترافا بالجميل إلى الأساتذة الموقّرة أسماؤهم المناقشين لبحثي هذا: الأستاذة البروفيسور رئيسة المشروع: أحلام بن الشيخ بصفتها رئيسة اللّجنة العلميّة والّتي هي الأخرى لم تبخل علينا منذ بداية المشوار بالنّصائح والتّوجيهات وتقديم يد المساعدة، والأستاذة فائزة زيتوني مناقشةً، وأيضا الأستاذة فائزة خمقاني مناقشةً، وكذا الأستاذة وفاء مناصري مناقشةً، والأستاذ يوسف العايب مناقشاً؛ كلّ باسمه أتقدّم إليهم بفائق الشّكر والاحترام والامتنان، لما صنعوه من إثراء للبحث وتقديم من ملاحظات وإضافات.

ملخص الأطروحة:

إنّ موضوع بحثنا: الأعلام الجغرافيّة في المعلّقة الجاهليّة (دراسة بينيّة) هو موضوع بحث حديث بطريقة جديدة لدراسة ومقاربة النّصّوص الأدبيّة، فهو محاولة لسبر غور الشّعر العربي القديم (المعلّقات أنوذجا) من جوانب جديدة ما زالت مغلقة تحتاج إلى التوقّف عندها بالتّحليل والتّمحيص من خلال موضوع جديد هو الأعلام الجغرافيّة ومقاربة جديدة هي الدّراسة البينيّة؛ وهنا تكمن أهمّية بحثنا العلميّة من خلال استغلال العلوم المختلفة لمقاربة النّص الأدبي، ويعتمد منهج الدراسات البينيّة على تضافر الكثير من العلوم المختلفة كأدوات ضروريّة للكشف عن خبايا النّصّ والمضمر منه بمزج هذه المعارف ودمجها في بعضها البعض، ونظرا لكثرة التخصّصات وعمقها وتشعّبها فرض المنهج البحثي نفسه للظّهور كمنهج معتمد يُغني عن كثرة العلوم وتفرّعاتها كمفتاح وأداة لتحليل النّصوص الأدبيّة؛ لنتوصّل في الأخير إلى أهمّية الأعلام الجغرافيّة العديدة في المعلّقات الجاهليّة؛ ودورها في بناء النصّ باعتبارها عنصر مهمّ جدّا من عناصر الشّعر وعموده.

الكلمات المفتاحيّة: الأعلام الجغرافيّة، المعلقات، العصر الجاهليّ، الدّراسات البينيّة، البينيّة والتّباين.

Abstract:

The subject of our research: geographical signs in the pre-Islamic Mu'allaqat (an inter-study) is the subject of modern research in a new way of studying and approaching literary texts. It is an attempt to explore the depths of ancient Arabic poetry (the Mu'allaqat as a model) from new aspects that are still closed and need to be stopped by analysis and scrutiny through the topic. New are geographical flags and a new approach is interdisciplinary study. Here lies the scientific importance of our research through exploiting the different sciences to approach the literary text, and the inter-studies approach relies on the combination of many different sciences as necessary tools to reveal the hidden secrets of the text and its implications.

By mixing and integrating this knowledge into each other, and in view of the large number of specializations, their depth, and their ramifications, the research method imposed itself to emerge as an approved method that eliminates the multiplicity of sciences and their branches as a key and tool for analyzing literary texts. Finally, let us reach the importance of the many geographical signs in pre-Islamic commentaries. Its role in constructing the text is considered a very important element and pillar of poetry.

Keywords: geographical flags, pendants, pre-Islamic era, inter-cultural studies, Betweenness and contrast.

Résumé de la thèse :

Le sujet de notre recherche : les signes géographiques dans la Mu'allaqat préislamique (une inter-étude) fait l'objet d'une recherche moderne dans une nouvelle manière d'étudier et d'aborder les textes littéraires. C'est une tentative d'explorer les profondeurs de l'arabe ancien. la poésie (le Mu'allaqat comme modèle) sous de nouveaux aspects qui sont encore fermés et doivent être arrêtés par une analyse et un examen approfondi du sujet. Les drapeaux géographiques sont nouveaux et l'étude interdisciplinaire est une nouvelle approche. C'est là que réside l'importance scientifique de notre recherche en exploitant les différentes sciences pour aborder le texte littéraire, et l'approche inter-études s'appuie sur la combinaison de nombreuses sciences différentes comme outils nécessaires pour révéler les secrets cachés du texte. Ce qui est implicite, c'est de mélanger et d'intégrer ces connaissances les unes dans les autres, et étant donné le grand nombre de spécialisations, leur profondeur et leurs ramifications, la méthode de recherche elle-même s'est imposée pour apparaître comme une méthode approuvée qui élimine la multiplicité des sciences. et leurs branches comme clé et outil d'analyse des textes littéraires. Venons-en enfin à l’importance des nombreux signes géographiques dans les commentaires préislamiques. Son rôle dans la construction du texte est considéré comme un élément et un pilier très important de la poésie.

Mots-clés : drapeaux géographiques, pendentifs, époque préislamique, études interculturelles, Entre-deux et contraste .


المقدّمة

مقدّمة:

الأعلام الجغرافيّة في المعلّقة الجاهليّة (دراسة بينيّة) هو موضوع يحاول توظيف أدوات وآليات جديدة لتحليل القصائدة الشّعرية مواصلة وامتدادا للبحوث والمناهج السّابقة من مثل المناهج النّقديّة السيّاقيّة والنّسقيّة، فهو موضوع يبحث في آليات مغاليق الشّعر من جانب الأعلام الجغرافيّة من خلال اعتماد منهج جديد هو: **الدّراسة البينيّة** الّذي فرضته متطلّبات العصر، وهو منهج يعتمد على تلاقي العلوم وتفاعلها لدراسة النّصوص الأدبيّة، كما أنّ موضوع الأعلام الجغرافيّة ذو أهمّيّة كبيرة خاصّة في عصرنا الرّاهن؛ حيث ما نراه في فلسطين مثلا من محو لمسمّيات أعلامها الجغرافيّة واستبدالها بمسمّيات من وضع الاحتلال الصّهيوني الغاشم، وهذا ما استوجب الحفاظ عليها مهما كلّف الأمر من تضحية، كما وتعتبر المعلّقات نخبة الشّعر والأنموذج له، ولذلك ووفقا لما سلف ذِكره اخترت أن يكون عنوان أطروحتي: "الأعلام الجغرافية في المعلّقات الجاهلية (دراسة بينية)"

تكمن أهمّيّة بحثنا الموسوم: الأعلام الجغرافيّة في المعلّقة الجاهليّة (دراسة بينيّة) في محاولته سبر غور الشّعر العربي القديم **(المعلّقات أنوذجا)** من جوانب جديدة ما زالت مغلقة متمثّلة في موضوع مهم جدّا؛ وذا أهمّية بالغة سواءً أكان في الشّعر أم في الواقع هو موضوع الأعلام الجغرافيّة باعتماد منهج ظهر جديدا هو: الدّراسة البينيّة وهي دراسة تعتمد على تلاقي العلوم وتفاعلها لتحقيق نتائج جديدة، ولأنّ الدّراساتُ البينيّةُ منهج جديد هدفه سبر أغوار الشّعر، فهي في عهدنا هذا دراسة ضروريّة بين يدي النقّاد والدّارسين من أجل دراسة النّصوص الأدبيّة وتحليلها، وتعدّ الدّراسات البينيّة **interdiscipline** ذات أهمّية كبيرة ظهرت توافقا وتوازيا مع كثرة التّخصّصات وتعدّدها، فهي عمل ميدانيّ يعتمد على استغلال الكثير من المعارف بتضايفها وتفاعلها، وهي منهج هدفه مقاربة النصّ الأدبي وفق أفق حديث تتلاءم ومتطلّبات العصر.

ويعالج البحث **إشكالات** عديدة منها:

- **الإشكاليّة الرئيسيّة:** الّتي يطرحها البحث هي:

ما الدّراسات البينيّة وما أسباب ظهورها وما أهدافها وما مصطلحاتها؟ وما علاقة الشّعر بالعلوم الأخرى؟ وما النّقاط الّتي يتّحدون فيها والّتي تساعد على الابتكار والإبداع وازدهار الشّعر؟ ما علاقة الأدب بالجغرافيّة وخاصّة الأعلام الجغرافيّة؟

وما دور الأعلام الجغرافيّة في إنتاج الشّعر؟ وكيف لها أن تساهم في فعّاليّته؟ ثمّ كيف يساهم الشّعر في تطوّر هذه العلوم ويساهم في إفادة الجغرافيّة والأعلام الجغرافيّة باعتماد

الدّراسات البينيّة منهجا علميّا يبحث في تفاعل العلوم وتلاقيها وتلاقحها وتواشجها؟ وهل ينحصر تواجد الأعلام الجغرافيّة في الشّعر عامّة والمعلّقات خاصّة في أماكن للنّسيب خاصّة؛ ولا تتّسع لتكون مجالا للبحث في فروع وتخصّصات أخرى؟ وما هي أهمّ الأغراض والأهداف الّتي تحملُها الأعلام الجغرافيّة في الشّعر؟ أين يلتقي الجغرافيّ بالشّاعر؟ وإلى أيّ مدى تُلقي الأعلام الجغرافيّة بطربها تأثيرا في الشّاعر وشعره؟ ثمّ كيف تؤثّر الأعلام الجغرافيّة في المتلقّي فينتشر صداها في صدره وكنهه؟

وللإجابة عن هذه التّساؤلات كان لابدّ من نهج خطّة محكمة تحيط بالموضوع من شتّى الجوانب فكانت الخطّة المنتهجة كالآتي:

مقدّمة، ثمّ **مدخل** تناولت فيه عناصرا مختلفة متمثّلة في: التّعريف بالعصر الجاهليّ، الشّعر في العصر الجاهليّ، التّعريف بالعرب، شبه الجزيرة العربيّة (موقعها الجغرافيّ)، المعلّقات، في تعريف المعلّقات، في مصدر التّسميّة، مؤيّدو التّعليق، ومُنكرو التّعليق، وفي عدد المعلّقات، والتّعريف بأصحابها ثمّ **الفصل الأوّل:** وتناولت فيه عناصرا كالآتي: تعريف البينيّة وأهمّ مصطلحاتها، البينيّة والتّباين، أسباب نشأتها وتطوّرها، أنواعها، أهمّيّة الدّراسات البينيّة، عراقيل وحواجز الدّراسات البينيّة، الحلول المقترحة لتجاوز العراقيل، ثمّ أعلام العرب القدامى في الدّراسات البينيّة، ثمّ انتقلت إلى **الفصل الثّاني بعنوان:** الشّعر والأعلام الجغرافيّة. ودرست فيه هو الآخر عناصرا كالآتي: الشّعر يمثّل بينيّة علوم العرب، النّقد والعلوم الأخرى، المقصود بالأعلام الجغرافيّة، علاقة الشّاعر بالأعلام الجغرافيّة، هالة الأعلام الجغرافيّة. بينيّة الشّعر والجغرافيّة، الأعلام الجغرافيّة موضوع أساسي في العديد من العلوم، تسمية الأماكن والأعلام الجغرافيّة، أبنية الأعلام الجغرافيّة، مصادر الأعلام الجغرافيّة. أقسام الأعلام الجغرافيّة وأنواعها، أهميّة الأعلام الجغرافيّة في الشّعر، ثمّ جماليّة الأعلام الجغرافيّة في الشّعر وبلاغتها، **ثمّ ظعنت إلى الفصل الثّالث فتطرّقت فيه إلى:** ذكر المعلم الجغرافيّ العالميّ المقدّس مكّة، أسماء مكّة ودلالتها، الموقع الجغرافيّ لمكّة، الديّار والمواضع المهجورة **(الأطلال)**، رثاء الأعلام الجغرافيّة الطّلليّة، في ذكر المياه **(الهيدرونيم)** المذكورة بالمعلّقات، في ذكر الصّحراء، الجبال **الأوروني**، الأعلام الجغرافيّة الخاصّة بالبرق والدّارات،

الأوديّة والأنهار والمنخفضات والوهّاد، **الأعلام الجغرافيّة الفلكيّة**: الشّمس، القمر، السّحاب، النّجوم، الثّريّا.

ومن الدّراسات السّابقة في الموضوع نذكر: رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه بعنوان: جماليّات المكان في الشّعر الجاهليّ المعلّقات أنموذجا، فواز معمري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدّكتورة علوم، 2018 تحت إشراف الدكتور عمار بن القريشي، جامعة المسيلة، وكذا الأعلام الجغرافيّة في الشّعر الجاهليّ، ليحي عبد الرؤوف جبر؛ بحث قصير في مجلّة مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، سنة 2009، أمّا بحثنا فسيتطرّق إلى الأعلام الجغرافيّة في المعلّقات الجاهليّة بالتّفصيل الممل والدّقيق لإثبات أهميّتها وعلاقتها الوطيدة بالشّعر من خلال الدّراسة البينيّة، وهذا ما يختصّ به هذا البحث عن بقية الدّراسات السّابقة.

ولقد صادفتني خلال البحث جملة من الصّعوبات: منها قلّة المصادر والمراجع بل وندرتها أحيانا؛ سواء أتعلّق الأمر بموضوع الأعلام الجغرافيّة أم بموضوع الدّراسات البينيّة كدراسة للمقاربة النصيّة؛ ذلك لأنّ كلاهما موضوع جديد لم تُطرق أبوابه كثيرا.

وفي الأخير لا يفوتني لزاما أن أشكر الأستاذ البروفيسور المشرف: أحمد التيجاني سي كبير على ما قدّمه من عون و يد مساعدة وممّا قدّمه من مصادر ومراجع وقراءة وتوجيهات لإتمام البحث في شكله المطلوب.

حبيب زبالح يوم: 2024/02/26



المدخل: حياة العرب وبيئتهم الجغرافيّة في العصر الجاهلي.

التّعريف بالعصر الجاهليّ.

حياة العرب وتنقّلاتهم.

التّعريف بالعرب.

شبه الجزيرة العربيّة (موقعها الجغرافيّ).

الشّعر في الجاهليّة.

المعلّقات وأصحابها.

في تعريف المعلّقات.

في مصدر التسميّة.

مؤيّدو التّعليق.

مُنكرو التّعليق.

في عدد المعلّقات.

أهمّيّة المعلّقات وقيمتها.

أصحاب المعلّقات.

في التّعريف بأصحاب المعلّقات.

مدخل:

لقد بلغت اللّغة العربيّة في العصر الجاهليّ ذروتها، ولقد وصل الأدب العربيّ إلى القِمم، إنّه لقد برز فيه الكثير من جهابذة الفصاحة والبلاغة والأسلوب وأساطين البيان والبديع والمعاني، عصرٌ يَعجز اللّسانُ كلّياً عن وصف العربيّة أو مدحِها لِما تميّزت به من القوّة والاختراع والإبداع والابتكار والعلوّ والشّموخ؛ فعند العرب معنى واحدٌ تُعبّر عنه بألفاظٍ عديدةٍ، وهذا يعود إلى كثرة قبائل العرب بشرائبها وتنوّع ثقافاتها وأفكارها واختلاف حياتهم بين الحضر والبدو مثلا بخاصّة، فكلّ قبيلة تملك لغتها الخاصّة بها، ونتج عن هذا أن كان للعرب علوم مختلفة شتّى منضوية تحت مظلّة الشّعر، ولذلك كان الشّعر ديوانَ العرب، ممّا جعله يشكّل بينيّة العلوم جميعا. ولمّا جاء الإسلام كان قد وصل الأدب إلى منتهى ذروة القمّة والبلاغة، ولمَّا كان الجهلُ الّذي نُسب إلى ذلك العصر بمعنى الجهل بأمور الدّين الإسلاميّ وما نتج عنه من ضلال وغضب وطيش وسفه وتعصّب، وليس عدم المعرفة راح بعض الدّارسين يتهجّمون عليه حتّى جعلوا من حياة العرب حياة حيوانيّة، إنّ العصر الجاهليّ عصرٌ يزخر بكثير من المعارف والعلوم، وبلاغة القصائد الشّعريّة في ذلك العصر دليل على نفي عدم المعرفة "ومن الواضح هنا إنّ لفظة الجاهليين تعني الطّيش والسّفه من جهة، وهي من جهة أخرى تعني الجهل الّذي بمعناه ضدّ الحِلم، لا الجهل الّذي يناقض العلم"[1].

ولعلّ أعذبَ شعرٍ وأجملَه؛ كان أصحابُه بدون تردّدٍ من العصر الجاهليّ وما عُرِف فيما بعد بالمعلّقات والمذهّبات والقصائد الطّوال فهي نخبة الشّعر؛ ودعنا نسمّيها إن شئت بالعلويّات الشّعريّة التّاريخيّة، والّتي كانت أعذبَ شعرٍ عربيٍّ وصلنا من الجاهليّة السّاميّة.

1. التّعريف بالعصر الجاهليّ:

العصر الجاهليّ هو العصر الّذي سبق عصر صدر الإسلام بمائة وخمسين سنة أو مائتين (قرنين) وبذلك فإنّ "العصر الجاهليّ بعيد في الزّمان، يشمل مناطق شبه الجزيرة العربيّة القديمة قبل الميلاد وبعده، وقد يتبادر إلى الأذهان أنّ لفظة الجاهليّة تعني الجهل، إلّا أنّنا إذا نظرنا إلى حياة العرب ككلّ، أدركنا سريعا أنّ هذا اللفظ غير ما نظن ولا سيّما أنّ عرب الجنوب كان لهم حضارة راقية، والمعنى الثّاني لهذه اللّفظة قد يأتي على سبيل الدّلالة على

[1] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص 69/68

الغباء أو قلّة الذّكاء، والعربيّ كان بطبعه ذكيّاً، بعيدا جدّا عن الغباء وأنّ هذه اللّفظة وردت عند الجاهليين، قال عمرو بن كلثوم (مات حوالي 570 م) في المعلّقة:

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهلِ الجَاهليناَ"[1]

فالعرب لم يكونوا جاهلين بالمعنى الّذي هو ضدّ العلم، بل كان للعرب كثيرٌ من العلوم المتنوّعة حتّى الطّبّ والصيدلة والأخبار والأنساب وغيرها ممّا كان ضروريّا في ذلك العهد؛ والّتي حواها الشّعر بين ظهرانيه مُحافظا عليها في أبيات من ذهب راسخة في الذّهن كسفوح الجبال لا يهزّها الزّمن ولا تتأثّر به عبر مختلف العصور، "ومن الواضح هنا أنّ لفظة الجاهليين تعني الطّيش والسّفه من جهة، وهي من جهة أخرى، تعني الجاهل الّذي يناقض بمعناهُ الحِلمَ، لا الجهل الّذي يناقض العلم...وانطلاقا من هذا المفهوم يمكن أن نقول أنّ العصر السّابق لظهور الإسلام قد سُمّي جاهليّاً لأنّه جهل هذا الدّين، فعكف أبناؤه على على عبادة الأصنام والأوثان؛ فاتّصفوا بالغضب والطّيش والنّزق والسّفه، فللّفظة هنا؛ مدلول دينيّ قبل كلّ شيء"[2]

ولقد حدّد الدّارسون حقبة العصر الجاهليّ بقرن ونصف القرن قبل مجيء الإسلام أو قرنين في الأكثر؛ أمّا ما سبق هذه الفترة فقد أطلقوا عليه عهد الجاهليّة الأولى "والباحثون في الأدب العربيّ يقفون بأبحاثهم الشّعريّة في الحقبة الممتدّة مائة وخمسين أو مائتي عام على الأكثر قبل الإسلام. قال الجاحظ: فأمّا الشّعر فحديث الميلاد صغير السّنّ، أوّل من نهج سبيله وسلك الطّريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة...فإذا استظهرنا غاية الاستظهار فمائتي عام"[3] فمن هنا نجد بأنّ الجاحظ قد حدّد زمن العصر الجاهلي بقرنين (مائتي عام) قبل الإسلام وما كان قبل القرنين أُطلق عليه: الجاهليّة الأولى.

2. حياة العرب:

إنّ العرب من الشّعوب السّامية كما جاء "في تقدير المؤرّخين والباحثين أنّ الشّعب العربيّ أحد السّلالات السّاميّة، ولعلّه السّلالة الأمّ، وكثير من الدّراسات الحديثة تردّ مهد الشّعوب الّتي اصطلح على تسميّتها السّاميّة إلى الجزيرة العربيّة، فمهد الشّعب السّاميّ ومرباه جزيرة العرب

[1] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص 68.

[2] المرجع نفسه، ص 69.

[3] المرجع نفسه، ص 70.

أو امتدادها إلى أرض الشّام والعراق، ...وشادوا في قلب جزيرتهم العربيّة المدن والقصور والهياكل، ولعلّهم بقوا آلاف السّنين يحيون حياتهم الخّاصّة محافظين على عاداتهم وأخلاقهم متمسّكين بآرائهم"[1] ولذلك صان العربيّ وحمى بكلّ ما أوتي من قوّة على شخصيّته الفذّة هذه.

ولقد غلبت الحياة البدويّة الصّحراويّة بكلّ سماتها وخصائصها وخلالها على العربيّ إذ "كان الطّابع البدويّ هو الأغلب الأعمّ في الجاهليّة، على الرّغم من تحضّر قسم كبير من عرب الجنوب، وبعض عرب الشّمال، فمُعظم الشّماليين بدو رحّل، يتناثرون هنا وهناك في شبه الجزيرة، بطون وقبائل، وتنقسم قبائلهم قسمين كبيرين، القبائل الشّماليّة وهي العدنانيّة، والقبائل الجنوبيّة وهي القحطانيّة، ويختلف البدويّ عن الحضريّ في مسألة الاستقرار، فالحضريّ كما رأينا عند عرب الجنوب استقرّ في بقعة معيّنة وفّرت له أسباب المكوث فيها، فاستغلّ الأرض، وعمل في الزّراعة والحرف، وأنشأ المدن، أمّا البدويّ فقد ظلّ في تنقّل دائم، بحثا عن الماء والكلأ، فلم يستقرّ، بل سعى وسط المحيط القاسي للوصول إلى الرّبوع الخضراء الّتي تُتيح له أسباب البقاء، محتقرا حرف الحضر، من صناعة وزراعة وتجارة"[2] ومن هنا كانت حياة العربيّ زراعيّة فلاحيّة معتمدا على ما تهبه له الأرض بالدّرجة الأولى.

ويعتزّ العربيّ ويعتدّ بأصالته وعرقه وقبيلته الّتي ينتمي إليها وكذا نسبه حيثُ "كما تمسّك البدو والعرب بعامّة، بأنسابهم، وآمنوا بضرورتها، واعتزّوا بها، فهي بمنزلة الوطن، بالنّسبة إليهم، أو كالهويّة، وكانت العصبيّة الرّابط الجامع بينهم"[3] ولهذا كلّه قال الشّاعر دُريد بن الصَمّة[4]:

وما أنا إلّا من غَزيّةَ إنْ غوتْ   غويتُ؛ وإن تَرشدْ غَزيّةُ أَرشَدْ.

والعرب صنفان بدو وحضر ولكلاهما معيشة خاصّة لكن "من الجدير بالذّكر أنّ العلاقة بين البدو والحضر لم تكن على ما يرام، فقد تحاربوا وتناحروا تارة، وتحالفوا طورا لقاء مالٍ يؤدّيه الحَضَر إلى البدو من أجل حماية القوافل"[5] فبين البدو والحَضَر عداوة دائمة نظرا لاختلاف الحياة بينهما وتفاخرهما على بعض بمبادئهما وحياتهما، هذا "وتتّفق كلّ الشّروح الواردة في المعاجم العربيّة القديمة أنّ البداوة عكس الحَضَر؛ وأنّ البادية عكس الحاضرة؛ وإذا

---

[1] إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهليّ، رفعُ عبد الرّحمان النّجديّ، دار الطّليعة بيروت، لبنان، ط01، 1979، ص25.

[2] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص 80.

[3] المرجع نفسه، ص81.

[4] دُريد بن الصّمّة، ذخائر العرب، الدّيوان، تحقيق د. عمر عبد الرّسول، دار المعارف، كورنيش النّيل، القاهرة، 2009، ص62.

[5] المرجع نفسه، ص 81.

خرج النّاس من الحَضَر إلى المراعي في الصّحاري قيل أبدوا، والاسم: البدو، ويتجلّى من خلال هذا التّفسير أنّ البداوة تتماهى مع التّرحال نقيض الاستقرار، وهما أبرز أنماط العيش الّتي عرفتها الإنسانيّة في التّاريخ[1]"

وينضوي العرب في حياتهم تحت كتلة القبيلة "وكان للقبيلة مجلس شيوخ يضمّ شيوخ العشائر، يبحث في شؤون القبيلة، ويتقدّم هذا المجلس شيخ رئيس يختار من المسنّين لحكمتهم، ويشترط فيه إلى جانب السّن أن يتحلّ بأخلاق مثاليّة وشخصيّة مرموقة، ولا يبتّ في الأمور وحده، بل يشاور مجلس القبيلة، ويعامل الشّيخ معاملة الأكفاء، وهو يقود القبيلة في الحروب، ويستتقبل الوفود ويقسّم المغانم، ويعقد معاهدات الصّلح، وكان الفرد يخضع خضوعا تامّا لقبيلته"[2]، فكانت القبيلة تسير وفق قانون ونظام جميل يحكم ويسدّد حياتها مناسبا لظروفها.

ويعتمد البدويّون في معيشتهم على الرّذاذ إذ "كان الغيثُ منتهى أمل البدويين، ففيه حياتهم، وعليه معاشهم، ومن هنا تغنّى الشّعراء بالغيث، والرّبيع والكلأ، كما شكوا الجدب والجوع والفقر، وكانت خيّامهم الّتي يأوون إليها موضوعاً هامّا استلهمه الشّعراء، فتحدّثوا على ديّارها الدّوارس، واستوقفوا الأصحاب فبكوا واستبكوا، واستعادوا أطيب ذكريات الأحباب بتلك الخيام"[3] ويا لها من حياة جميلة تملّكتهم رغم قساوتها.

وأمّا ما ميّز معيشتهم أيضا بعد الزّراعة والاعتماد على الأرض وزرعها وغرسها، تميّزت أيضا بأنّهم كانوا يجوبون الكثير من المعالم الجغرافيّة ويقطعونها علوّا وانخفاضا وانبساطا من أجل قُوتِهم النّاتج والحاصل من الطّرود حيثُ "كان الصّيد من مشاغل العرب ومعايشهم، بل كان من ضروريّات حياتهم المعيشيّة"[4]:**العرب العاربة:** أو العرب القحطانية الّذين ينتسبون إلى قحطان بن عامر بن أرفخشد بن سام بن نوح، وهم أصحاب اللسان العربيّ الأصيل، بل يراهم البعض أنّهم العرب الأصليّون، وقد نشأوا في الزّاويّة الجنوبيّة الغربيّة من الجزيرة أي في اليمن.

---

[1] حياة قطاط، تقديم: هشام جعيط، العرب في الجاهليّة الأخيرة والإسلام المبكّر، دار أمل للنّشر، تونس، ط01، 2006، ص268.

[2] المرجع نفسه، ص82.

[3] سعد اسماعيل شبليّ، الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ، مكتبة غريب، ط02، ص16.

[4] أحمد إبراهيم الشريف، مكّة والمدينة، في الجاهليّة وعهد الرّسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربيّ، 1985، ص239.

3. شبه الجزيرة العربيّة (موقعها الجغرافيّ):

حياة العربيّ مرتبطة بأرضه ارتباطا كبيرا وعجيبا؛ فكلّ حياته من جميع نواحيها علوق بالأرض؛ ولذلك تجد العربَ يذكرون جيّدا كلّ الأعلام الجغرافيّة الّتي في شبه جزيرتهم، والفطِن الكيِّس عندهم من جال وصال وعرف هذه الأعلام الجغرافيّة؛ وكذا الطّرق والمسالك الّتي تربط بينها؛ ولذلك راح الشّعراءُ يصنعون لأنفسهم التّميّز عن باقي النّاس بالإطناب والإسهاب من ذكر المعالم الجغرافيّة في قصائدهم الطّويلة منها والقصيرة؛ بل وجعلوا المعالم الجغرافيّة مصدر إلهام لهم ومحرّك مشاعرهم الأساسيّ لقول الشّعر ولذلك "حظيت الجزيرة العربية باهتمام الباحثين والدّارسين، إذ أنّها منبع الفصاحة ومصدر الإلهام لكثير من الشّعراء الّذين وقفوا على أطلالها وناجوا شعابها ووديانها وجبالها، وخلّدوا في شعرهم الكثير من معالمها[1]"

لقد قطن العربُ شبه الجزيرة منذ زمنٍ تليد؛ ولذلك نُسبت إليهم؛ فأُضيفت كلمة العرب إلى شبه الجزيرة هذه، وهو زمنٌ يعود إلى العهود القديمة جدّا الضّاربة في أعماق التّاريخ القديم جدّا، وهذه الأرض الفاتنة لهم "تقع الجزيرةُ العربيّةُ في أقصى الجنوب الغربيّ من قارّة آسيا، وهي شبه جزيرة مستطيلة تحيط بها المياه من ثلاث جهات...البحر الأحمر من الغرب، وخليج عدن والمحيط الهنديّ من الجنوب، والخليج العربيّ من الشّرق والضّلع الرّابع منها يحدّه الماء أيضا، وإن كان ماء نهر الفرات، وهي تتقع بين خطي 60/35 طول شرقا، وخطي عرض 12/ 37 شمالا، أي أنّ مدار السّرطان يمرّ وسطها تقريا، وقد اصطلح عليها الجغرافيون العرب تسمية جزيرة العرب، وبذلوا جهدهم لتخريج تسميّتها[2]" فشبهُ جزيرة العرب مُلكٌ للعرب بالاتّفاق والإجماع؛ ولا خلاف في ذلك، وفي يوم ما إن شاء الله، سيتحّول أغلب سكّان العالم إلى عرب بعد تحوّلهم إلى الإسلام.

ولن نتعرّف على العرب وحياتهم وما يتعلّق بهم إلّا بمعرفة أرضهم بكلّ أعلامها الجغرافيّة وما احتوته ورفدته من مشاغل النّاس المترتّب عن تضاريسها ومناخها "فكان لابدّ لنا من أن نُمهّد بين يدي بحثنا بتحديد معالم هذا الإطار، وخلصنا من كلّ ذلك إلى أنّ موطن العرب، في جاهليّتهم، كان متفاوتا في طبيعة أرضه، وفي طبيعة مناخه، وفي طبيعة سكّانه، أمّا

[1] محمّد بن عبد الله بن بلهيد، صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار، ط03، 1418هـ، ص01.

[2] عفيف عبد الرحمان، الشّعر وأيام العرب في العصر الجاهليّ، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1984، ص13.

السكّان أنفسُهم فكانوا طوائف ثلاثاً، أعرابا موغلين في الصّحراء، يرتادون الكلأ، وينتجعون مواقع القطر، ويحيون حياة لا تكاد تعرف من أسباب الحضارة والمدنيّة شيئاً، ثمّ سكّان الحواضر من أهل المدر الّذين كانوا يحيون حياة مستتقرّة ثابة، في المدن والقرى، في داخل الجزير العربيّة وأطرافها، في مكّة والمدينة والطّائف، والحيرة والأنبار وقرى اليمامة، ثمّ طائفة ثالثة هم سكّان البادية الّذين ابتعدوا عن جوف الصّحراء واستوطنوا مشارف المدن والقرى في ظواهرها وضواحيها، يحيون حياة فيها شيئ من الاستقرار، وشيء من أخذ الأسباب بالحضارة والمدينة[1]" خاصّة وأنّ شبه جزيرة العرب متنوّعة الأقاليم "فموطن العرب في جاهليّتهم رقعة شاسعة من الأرض، ذات بقاع متباينة، في المناخ وفي التّضاريس، وطبيعيّ أن تختلف بيئاتها اختلافا متباينا يكاد يجعل منها مواطنا متعددة"[2]، فشبه جزيرة العرب، كلّ النّاس على كوكب الأرض ودون استثناء يُشيرون إليها بالبَنان على أنّها مُلك للعرب، كما أنّ العرب مُلكٌ لها؛ فهي لن تَرضى بغير العربِ قاطنين وساكنين بها، فلقد عرفتهم وألفتهم ولا تتخيّل سطحها بدونهم، لأنّ العرب هم من رفعوا من شأنها ولوائها، وهم من تحمّلوها رُغم قساوتها، وهم من اعترف لها بالجميل والفضل رُغم إساءتها إليهم وقساوتها بظروفها الحالكة"فكان العربُ الجاهليّون يعيشون في شبه الجزيرة العربيّة ...وكانت هذه البُقعة صحراويّةً قاحلةً، ما عدا اليمن والأراضي المنخفضة في تُهامة وهجر[3]"، ولقد اختلف الدّارسون في تسمية موطن العرب؛ وإن كان اختلافٌ لا يُسمنُ ولا يُغني شيئاً "وهذه المنطقةُ عُرفت بأنّها شبهُ جزيرة كما عُرفت بأنّها جزيرةٌ، وكان سببُ الاختلاف بين الدّارسين واستخدامهم لمُصطلحي: جزيرة وشبه جزيرة يرجع إلى الاختلاف حول توضيح الحدود الشّماليّة لهذه الرّقعة الجغرافيّة، ولتوضيح ذلك فإنّ مَن استخدموا مصطلح شبه الجزيرة جعلوا حدودها كما يلي: يحدّ هذه الرّقعة الجغرافيّة غربا بحر القلزم (البحر الأحمر)، ويحدّها شرقا بحر عمان والخليج العربيّ، ويشكّل المحيط الهندي حدّها الجنوبيّ؛ في حين أنّ بادية الشّام تشكّل حدّها الشّماليّ، وهي بذلك محاطة بمسطّحات مائيّة من جهات ثلاث، وتصحّ عليها تسمية شبه جزيرة، وفريق آخر يرى أن يُطلِق على هذه الرّقعة الجغرافيّة اسم جزيرة العرب انطلاقا من أنّ الحدّ الشّماليّ يبدأ من نقطة على البحر المتوسط من غزّة جنوب فلسطين ليمرّ خطّ هذا الحدّ جنوبيّ بحر الأبيض وشرق

---

[1] ناصر الدّين الأسد، مصادر الشّعر الجاهليّ وقيمتها التّاريخيّة، دار الجيل للنشر، بيروت، ، 1996، ط08، ص 617.

[2] عفيف عبد الرحمان، الشّعر وأيام العرب في العصر الجاهليّ، ص14.

[3] علي الجنديّ، شعر الحرب في العصر الجاهليّ ، مكتبة الجامعة العربيّة بيروت، ط03، 1966، ص15.

الأردن، إلى دمشق والفرات متّجها جنوبا حتّى ينتهي عند الخليج العربيّ ، وبالتّالي فإنّ الحدّ الشّماليّ يصبح حدّا مائيا وبذا تصح تسمية هذه الرقعة الجغرافيّة باسم جزيرة، وهناك رأي آخر حول تسميّتها بالجزيرة على اعتبار أنّ هذه المنطقة تشبه جزيرة بشريّة يتحدّث سكّانها اللّغة العربيّة وتحدّها (غير الحدود البحريّة)، مجموعات بشريّة تتحدّث لغات أخرى، وهكذا يقول ياقوت في معجمه: تسمّى جزيرة العرب لأنّ اللّسان العربيّ فيها شائع وإن تفاضل، وعليه فإنّ كلا التّسميتين لا زالتا في الاستخدام في الدّراسات الحديثة[1]"، وتتميّز شبه جزيرة العرب بأنّ أكبر نسبة منها صحراويّة "ولذا يغلب على مناخها الجفاف...فأمطارها قليلةٌ وتتوزع في فصلي الخريف والشّتاء في المناطق الشّماليّة، في حين أنّ الجزء الجنوبيّ أمطاره موسميّة في فصل الصّيف، ولندرة الأمطار في مناطق الجزيرة نجد أنّ من أسمائه (المطر) عند العرب: الغيث، لأنّه يأتي إليهم بالإغاثة من الإقفار وسنوات المحلّ والجفاف[2]"، وما تنفرد به شبه جزيرة العرب هو: أنّها أكبر الجزر وأرحبها في العالم"، وهذا الّذي تميّزت به عن الجزر الأخرى "فشبه جزيرة العرب هي أكبر شبه جزيرة في العالم، يبلغ متوسط عرضها سبعة مائة ميل ومنتهى طولها ألف ومائتا ميل[3]"، ويؤكّد ذلك أكثرُ الدّارسين بالقول: "جزيرةُ العرب أو شبه جزيرة العرب، أكبر شبه جزيرة في العالم، تقدّر مساحتها بثلاثة ملايين كيلو متر مربّع، وكانت في الأزمنة العابرة الموغلة في القدم خصبة مزروعة عامرة بالسكّان[4]" ومن مميّزاتها هو أنّه "ليس في شبه الجزيرة نهر واحد بالمعنى المعروف للأنهار، وما فيها من جداول غير صالح للملاحة، فهي إمّا قصيرة سريعة الجريان شديدة الانحدار، وإمّا ضحلة تجفّ في بعض المواسم، غير أنّ العلماء يستنتجون من اتّجاه الأودية ومن وجود العاديات والخرائب، وآثار السّكنى على أطرافها، والتّرسّبات الّتي تمثّل قيعان الأنهار، أنّ هذه الأودية كانت في الحقيقة أنهارا في يوم من الأيّام، وأنّ جوانبها كانت مأهولة بالسّكان زاخرة بالحياة[5] " وقد كان لجغرافيّة شبه جزيرة العرب أثر على تقسيمها إلى أعلام وأقاليم، فقد " قسّم العرب جزيرتهم تقسيا مسايرا لطبيعتها الجغرافيّة إلى خمسة أقسام، وهي: تهامة والحجاز، ونجد، والعروض واليمن وزاد

---

[1] جبران، روضة سحيم حمد آل ثاني، مؤسسة حمادة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، 1998، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص30.

[3] أحمد إبراهيم الشريف، مكّة والمدينة، في الجاهليّة وعهد الرّسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربيّ، 1985،ص13.

[4] يحي وهيب الجبوريّ، الشّعر الجاهليّ ، خصائصه وزفنونه، دار مجدلاوي للنّشر، عمان ط01، 2013، ص19.

[5] أحمد إبراهيم الشريف، مكّة والمدينة، في الجاهليّة وعهد الرّسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربيّ، 1985، ص18.

الإصطخريّ وابن حوقل ثلاثة أصقاع هي بادية العرق، وبادية الجزيرة، وبادية الشّام[1]"، وقد اعتمدوا واستندوا في تقسيمهم لها على جبل السّراة المعلم الجغرافيّ الّذي يجمع الأعلام الجغرافيّة الأخرى والكثيرة منها، متّخذونه المحور والفصل بين الأعلام الجغرافيّة ولذلك "تعدّ جبال السّراة العمود الفقريّ لشبه جزيرة العرب، ويجعلها الجغرافيّون العرب قاعدة لتقسيماتهم"[2].

يقول العربُ الشّعرَ بالسّليقة والارتجاليّة والعفويّة فهو يجري على لسانهم؛ فلا تكلّف ولا تصنّع، وهو فِطرة وجِبّلة وُلدت معهم؛ ذلك لأنّ لغتَهم لغةٌ متميّزة وشاعريّة، فكلّ الأعلام الجغرافيّة الّتي مكثوها لا ترى فيها إلّا الشّعر يتلألأ؛ يُطرب الآذان؛ ويفكّك الأحزان؛ وينثر الأحلام، إنّه لقد "عرف الشّعر الجاهليّ حركة ناشطة، فقد كان الشّعر فطريّا في العرب، ينذر فيهم من لا يستطيعه، حتّى المجانين واللّصوص، ناهيك بالنّساء، وكان للشّاعر الجاهليّ مكانةٌ مهمّةٌ ومرموقةٌ، لأنّ العرب حرّضوا أبناءهم على إتقان الشّعر ونظمه، فالشّعراء كانوا عندهم حماة الأعراض، وحفظة الآثار، ونقلة الأخبار، وربّما فضّلوا نبوغ الشّاعر فيهم على نبوغ الفارس، ولذلك كان إذا نبغ فيهم شاعرٌ من قبيلة أتت القبائل الأخرى فهنّأتها به، وصُنعت الأطعمة، واجتمعت النّساء يلعبن بالمزامير كما يصنعن في الأعراس، ويبدو أنّ الشّاعر كان من أرقى طبقات الجاهليين، ومن أكرم النّاس على قومه، لأنّ موقف الشّاعر في قبيلته كان التّغنّي بمناقبها ورثاء موتاها، وهجاء أعدائها"[3]، فكان الشّاعر سلاح القبيلة الصّارم للأعداء والباتر لهم.

الشّاعر مميّز بأفكاره ونظمه، فهو رُبّان القبيلة وقائدها، كلمته مسموعة غير مردودة، يُسيّر الشّاعر القبيلة ويقودها لما يرى فيه من خير وصلاح وفلاح لها، يدفعها لشأنها الجلل ومكانتها المستحقّة بين الأقوام، يرفعها سامقة ويرفدها عاليةً شامخةً بينهم؛ تُطاول أعنان السّماء تتجاوز النّشاص "فالشّاعر في نظر القبيلة أمير الكلام ولسانها وذو الرّأي الصّائب والحكيم يستعان به عن الشّدائد، يخافون لسانه الحادّ، ولذا امتاز على غيره بصفات لأنّه يخاطب الملك باسمه وينسبه إلى أمّه، كما يُخاطب أقلّ السّوقة فلا يُنكر ذلك عليه"[4] فللشّاعر شأو جلل عظيم وقد "كان الشّاعر في الجاهليّة يُقدَّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشّعر

---

[1] المرجع نفسه، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص24.

[3] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص132.

[4] ابن رشيق، العمدة، ج01ح ص31.

الّذي يُقيّد عليهم مآثرهم ويفخّم شأنهم ويهوّل على عدوّهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوّف من كثرة عددهم[1]" فيعتبرُ الشّاعر شاقول القبيلة ونبراسها ودليلها وركنها "ودور الشّاعر في القبيلة العربيّة في العصر الجاهليّ كبيرٌ، ويستطيع أن يقدّم لها الشيء الكثير، وهو أشبه ما يكون بجهاز إعلاميّ ضخم لها[2]" ولهذا كلّه "كان العربُ لا يهنّئون إلّا بغلام يولد أو بشاعر ينبغ أو فرس تُنتج[3]".

أغلب العرب يقولون الشّعر، والّذي لا يقول الشّعر يعشقه ويتذوّقه بكلّ جوارحه جميعا دون استثناء "والشّعر أقدم الآثار الأدبيّة، لصلته بالطّبع وعلاقته بالشّعور، وعدم حاجته إلى رقيّ الفكر...والعربُ أشعرُ السّامين، وأقدرهم على إنشاد الشّعر، هيّأ لهم ذلك صفاء قرائحهم واتّساع لغتهم، ومجالس الفكر والتّأمّل في جزيرتهم، وأعانهم عليه طباعٌ مرهفةٌ يستخّفها الطّربُ، ويحرّكها الجمالُ، ونفوس شاعرة رغبت ورهبت وغنّت، وافتتنت بلغتها، وسهرت على تحسينها وتجميلها...وكان في الوقت نفسه الدّيوان الّذي حفظ علومهم وحكمهم ووجداناتهم، فنظم البطولة والحبّ والحرب والجمال، ووصف الحيوان والسّهل والجبل، وأجاد التّعبير عن المودّة والخصام والجدل، وتفنّن في النّسيب والتّشبيب"[4] ولذلك فالعربُ يتنفّسون الشّعر كما الهواء تماماً، "ويعدّ الشّعر الجاهليّ أصل الشّعر الّذي انبثق منه شعرنا العربيّ في مختلف عصوره، وذلك لأنه أرسى دعائم عمود الشّعر"[5]، وقد نتج الشّعر من البيئة الجغرافيّة للعرب كما نتج من عوامل ودواعٍ أخرى كتشبّع الشّاعر بالثّقافت المختلفة "وصفوة القول أنّ الشّعر الجاهليّ اعتمد في نظمه الشّعر على السّليقة، كما اعتمد على المثاقفة أيضا، إذ إنّ الموهبة الفطريّة وحدها لا تمكّن الشّاعر من خلق الشّاعر الّذي يفرض وجوده داخل قبيلته وبين شعراء القبائل الأخرى"[6] ، ونظرا للاهتمام الكبير بالشّعر عند العرب في العصر الجاهليّ نجد النّاقد الكبير"أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) يقول: ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير، وأسباب ضياع الشّعر كثيرة، شخّص ابن سلام الجمحي (ت231هـ) أهمّها وهو مجيء

---

[1] محبوب بن بحر؛ الجاحظ أبو عثمان ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مطبعة المدنيّ، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1985، ج01، ص241.

[2] عفيف عبد الرحمان، الشّعر وأيام العرب في العصر الجاهليّ، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1984، ص25.

[3] جبران، روضة سحيم حمد آل ثاني، مؤسسة حمادة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، 1998، ص51.

[4] سعد إسماعيل شبليّ، الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ، مكتبة غريب، ط02، ص26.

[5] جدليّة القيم في الشعر الجاهليّ ، رؤية نقديّة معاصرة، بوجمعة بوبعيو، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001، ص16.

[6] المرجع نفسه، ص65.

الإسلام وانشغال العرب بالفتوح (ولهيت عن الشّعر وروايته) ويمكن ان نُضيف إلى ذلك ندرة التّدوين واعتماد ذاكرة الرُّوّاة والتماس امانتهم، إلى جانب طبيعة الجزيرة العربيّة بمناخها المتقلّب بين جمر الصّيف وزمهرير الشّتاء[1]" ولذلك كان" الشّعر ديوان العرب، وترجمان أفكارهم، وعنوان مفاخرهم، ورافع ألوية عظمتهم، ثمّ هو المرآة الصّادقة لحياتهم، فكأيّن من عادة لهم لولا الشّعر أمست طيّ الكتمان، وحال لولاه أضحت نهب النسيّان، وهو الّذي حفظ للعرب تاريخ مجدهم الأدبيّ[2]"، والشّاعر رجل سديد الرّأي راجح العقل ناطق بالحكمة "ولم يكن صاحبُ الشّعر ممّن وسوس في صدره شيطان من الجنّ دون غيره، فقد عرف بالحزم والعزم والدّراية والقوّة، وأنّه ليس كسائر النّاس، فهو النّاطق بالحكمة الّذي يأتي بالنّوابغ من الكلم، فكان الشّعر ديوان العرب، وكان العرب في جاهليتهم وإسلامهم يحتفلون بالشّاعر ويجدون في شعره ما يحمّلهم على الزّهو والفخار[3]"، "أمّا الشّعر الجاهليّ؛ وهو الّذي منح الصّحراء صفاءها وحرارتها؛ اندياحها وسعة آفاقها؛ فإنّه –لدى النّظر إليه من السّطح فقط– يتبدّى أنّه يسقط كلّ شيء لهيمنته بسهولة...يمكن تلخيصها في أنّ القصيدة الجاهليّة، وبخاصّة المعلّقة، تنطوي على كمونات نفسانيّة شديدة الخفاء على النّظرة الأفقيّة المسطّحة؛ ولا يمكن لهذه الخبوءات أن تستسلم (وبالتّدرّج طبعاً) إلّا أمام العقل التّحليليّ[4]".

4. الشّعر في الجاهليّة:

يُعتبر أدبُنا العربيُّ ثروةً هائلةً؛ وكنزٌ باهضٌ غالٍ وثمينٌ؛ جذوره عميقة ضاربة في عمق العصر الجاهليّ؛ بل ضاربة في أغوار الجاهليّة الأولى؛ عهد ابن جذام الشّاعر المَنبع؛ وأفنانه كثيفةٌ متفرّعةٌ في سماء المستقبل، أدبنا العربيّ به نعتز ونفتخر،"أدبنا العربيّ منذ العصر الجاهليّ إلى اليوم الّذي وقفتْ فيه حضارتنا عن العطاء، سِفر حافل من ماضينا لا ينفذ ثراؤه، ولا غنى لنا عن ورده؛ لأنّه جزء من حاضرنا وتطلّعنا إلى مستقبلنا، فمن التّراث يجب أن نتعلّم ما يفيد الحاضر ويعين على تشكيل المستقبل، لقد تعاورته الأقلام، في الماضي والحاضر،

[1] عبد الإله الصّائغ، الخطاب الإبداعيّ الجاهليّ والصّورة الفنّية، القدامة وتحليل الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط01، 1997، ص14.

[2] المفضّل الضبّي، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، عبد السّلام محمّد هارون، ديوان العرب، مجموعات من عيون الشّعر، المفضّليّات، دار المعارف، كونيش النيل، القاهرة، ط06، ، 1962، ص05.

[3] إبراهيم السّامرائي ، في لغة الشّعر، دار الفكر للنشر، عمان، ص08.

[4] يوسف اليوسف، بحوث في المعلّقات، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، 1978، ص07.

بحثا وتنقيبا وتعقيبا، ولا يزال للبحث فيه حظّ ونصيب كبير...وحتّى يتّصل خيط الرّسالة الحضاريّة والاستمراريّة التّاريخيّة، لا بدّ من فهم تراثنا وإفهامه من مناحٍ جديدة ورؤيته بأعين جديدة"[1]، أدبنا العربيّ لا يزال يحتاج إلى تسليط الضّوء عليه بالدّراسة والتّحليل.

يقول العربُ الشّعرَ بالسّليقة والارتجاليّة والعفويّة فهو يجري على لسانهم؛ فلا تكلّف ولا تصنّع، وهو فِطرة وجِبِلّة وُلدت معهم؛ ذلك لأنّ لغتَهم لغةٌ متميّزة وشاعريّة وذات نغم رنّان مترنّم، فكلّ الأعلام الجغرافيّة الّتي مكثوها لا ترى فيها إلّا الشّعر يتلألأ؛ يُطرب الآذان؛ ويفكّك الأحزان؛ وينثر الأحلام، إنّه لقد "عرف الشّعر الجاهليّ حركة ناشطة، فقد كان الشّعر فطريّا في العرب، يندر فيهم من لا يستطيعه، حتّى المجانين واللّصوص، ناهيك بالنّساء، وكان للشّاعر الجاهليّ مكانةٌ مهمّةٌ ومرموقةٌ، لأنّ العرب حرّضوا أبناءهم على إتقان الشّعر ونظمه، فالشّعراء كانوا عندهم حماة الأعراض، وحفظة الآثار، ونقلة الأخبار، وربّما فضّلوا نبوغ الشّاعر فيهم على نبوغ الفارس، ولذلك كان إذا نبغ فيهم شاعرٌ من قبيلة أتت القبائل الأخرى فهنّأتها به، وصُنعت الأطعمة، واجتمعت النّساء يلعبن بالمزامير كما يصنعن في الأعراس، ويبدو أنّ الشّاعر كان من أرقى طبقات الجاهليين، ومن أكرم النّاس على قومه، لأنّ موقف الشّاعر في قبيلته كان التّغنّي بمناقبها ورثاء موتاها، وهجاء أعدائها"[2]، فكان الشّاعر سلاح القبيلة الصّارم للأعداء والباتر لهم.

الشّاعر مميّز بأفكاره ونظمه، فهو رُبّان القبيلة وقائدها، كلمته مسموعة غير مردودة، يُسيّر الشّاعر القبيلة ويقودها لما يرى فيه من خير وصلاح وفلاح لها، يدفعها لشأنها الجلل ومكانتها المستحقّة بين الأقوام، يرفعها سامقة ويرفدها عاليةً شامخةً بينهم؛ تُطاول أعنان السّماء تتجاوز النّشاص "فالشّاعر في نظر القبيلة أمير الكلام ولسانها وذو الرّأي الصّائب والحكيم يستعان به عن الشّدائد، يخافون لسانه الحادّ، ولذا امتاز على غيره بصفات لأنّه يخاطب الملك باسمه وينسبه إلى أمّه، كما يُخاطب أقلّ السّوقة فلا يُنكر ذلك عليه"[3] فللشّاعر شأو جلل عظيم وقد "كان الشّاعر في الجاهليّة يُقدَّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشّعر الّذي يُقيّد عليهم مآثرهم ويفخّم شأنهم ويهوّل على عدوّهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم

---

[1] إحسان سركيس ، مدخل إلى الأدب الجاهليّ، رفعُ عبد الرّحمان النّجديّ، دار الطّليعة بيروت، لبنان، ط01، 1979، ص05.

[2] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص 132.

[3] ابن رشيق، العمدة، ج01ح ص 31.

ويخوّف من كثرة عددهم[1]" فيعتبرُ الشّاعر شاقول القبيلة ونبراسها ودليلها وركنها "ودور الشّاعر في القبيلة العربيّة في العصر الجاهليّ كبيرٌ، ويستطيع أن يقدّم لها الشيء الكثير، وهو أشبه ما يكون بجهاز إعلاميّ ضخم لها[2]" ولهذا كلّه "كان العربُ لا يهنّئون إلّا بغلام يولد أو بشاعر ينبغ أو فرس تُنتج[3]".

أغلب العرب يقولون الشّعر، والّذي لا يقول الشّعر يعشقه ويتذوّقه بكلّ جوارحه جميعا دون استثناء "والشّعر أقدم الآثار الأدبيّة، لصلته بالطّبع وعلاقته بالشّعور، وعدم حاجته إلى رقيّ الفكر...والعربُ أشعرُ السّامين، وأقدرهم على إنشاد الشّعر، هيّأ لهم ذلك صفاء قرائحهم واتّساع لغتهم، ومجالس الفكر والتّأمّل في جزيرتهم، وأعانهم عليه طباعٌ مرهفةٌ يستخّفها الطّربُ، ويحرّكها الجمالُ، ونفوس شاعرة رغبت ورهبت وغنّت، وافتتنت بلغتها، وسهرت على تحسينها وتجميلها...وكان في الوقت نفسه الدّيوان الّذي حفظ علومهم وحكمهم ووجداناتهم، فنظم البطولة والحبّ والحرب والجمال، ووصف الحيوان والسّهل والجبل، وأجاد التّعبير عن المودّة والخصام والجدل، وتفنّن في النّسيب والتّشبيب"[4] ولذلك فالعربُ يتنفّسون الشّعر كما الهواء تماماً، "ويعدّ الشّعر الجاهليّ أصل الشّعر الّذي انبثق منه شعرنا العربيّ في مختلف عصوره، وذلك لأنه أرسى دعائم عمود الشّعر"[5]، وقد نتج الشّعر من البيئة الجغرافيّة للعرب كما نتج من عوامل ودواعٍ أخرى كتشبّع الشّاعر بالثّقافت المختلفة "وصفوة القول أنّ الشّعر الجاهليّ اعتمد في نظمه الشّعر على السّليقة، كما اعتمد على المثاقفة أيضا، إذ إنّ الموهبة الفطريّة وحدها لا تمكّن الشّاعر من خلق الشّاعر الّذي يفرض وجوده داخل قبيلته وبين شعراء القبائل الأخرى"[6] ، ونظرا للاهتمام الكبير بالشّعر عند العرب في العصر الجاهليّ نجد النّاقد الكبير"أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) يقول: ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير، وأسباب ضياع الشّعر كثيرة، شخّص ابن سلام الجمحي (ت231هـ) أهمّها وهو مجيء الإسلام وانشغال العرب بالفتوح (ولهيت عن الشّعر وروايته) ويمكن ان نُضيف إلى ذلك ندرة

---

[1] محبوب بن بحر؛ الجاحظ أبو عثمان ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مطبعة المدنيّ، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1985، ج01، ص241.

[2] عفيف عبد الرحمان، الشّعر وأيام العرب في العصر الجاهليّ، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1984، ص25.

[3] جبران، روضة سحيم حمد آل ثاني، مؤسسة حمادة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، 1998، ص 51.

[4] سعد إسماعيل شبليّ، الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ، مكتبة غريب، ط02، ص26.

[5] جدليّة القيم في الشعر الجاهليّ ، رؤية نقديّة معاصرة، بوجمعة بوبعيو، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001، ص16.

[6] المرجع نفسه، ص65.

التّدوين واعتماد ذاكرة الرُّوّاة والتماس امانتهم، إلى جانب طبيعة الجزيرة العربيّة بمناخها المتقلّب بين جمر الصّيف وزمهرير الشّتاء[1]" ولذلك كان" الشّعر ديوان العرب، وترجمان أفكارهم، وعنوان مفاخرهم، ورافع ألوية عظمتهم، ثمّ هو المرآة الصّادقة لحياتهم، فكأيّن من عادة لهم لولا الشّعر أمست طيّ الكتمان، وحال لولاه أضحت نهب النسيّان، وهو الّذي حفظ للعرب تاريخ مجدهم الأدبيّ[2]"، والشّاعر رجل سديد الرّأي راجح العقل ناطق بالحكمة "ولم يكن صاحبُ الشّعر ممّن وسوس في صدره شيطان من الجنّ دون غيره، فقد عرف بالحزم والعزم والدّراية والقوّة، وأنّه ليس كسائر النّاس، فهو النّاطق بالحكمة الّذي يأتي بالنّوابغ من الكلم، فكان الشّعر ديوان العرب، وكان العرب في جاهليتهم وإسلامهم يحتفلون بالشّاعر ويجدون في شعره ما يحمّلهم على الزّهو والفخار[3]"، "أمّا الشّعر الجاهليّ؛ وهو الّذي منح الصّحراء صفاءها وحرارتها؛ اندياحها وسعة آفاقها؛ فإنّه –لدى النّظر إليه من السّطح فقط– يتبدّى أنّه يسقط كلّ شيء لهيمنته بسهولة...يمكن تلخيصها في أنّ القصيدة الجاهليّة، وبخاصّة المعلّقة، تنطوي على كمونات نفسانيّة شديدة الخفاء على النّظرة الأفقيّة المسطّحة؛ ولا يمكن لهذه الخبوءات أن تستسلم (وبالتّدرّج طبعاً) إلّا أمام العقل التّحليليّ[4]".

5. المعلّقات وأصحابها:

تعتبر المعلّقات خيار الشّعر ونخبته ولذلك "حين يتكلّم النقّاد عن الشّعر الجاهليّ، فإنّما يقصدون ما كان على نموذج المعلّقات. وهذا الشّكل هو الّذي ظلّ فعلا مطلق الهيمنة على الإبداع الشّعريّ طيلة الفترة الجاهليّة، وفرض تقبّلا معيّنا للشّعر بحيثُ لم يعد معه الشّعر شعرا إلّا إذا كان على ذلك النّموذج، ولم يترك متنفّسا لغيره من الأشكال لكي تظهر أو يتوسّع انتشارها"[5]، فالمعلّقات إبداع وابتكار وجديد جميل يُحتذى به؛ ولا يخرجُ عنها الشّعراء؛ ومن فعل دونها فهو شويعر أو شاعر ضعيف، "وللمعلقات منزلة عظيمة في الشّعر الجاهليّ، فهي أعلى قصائده طبقة في البلاغة وبُعد الأثر وجلال التّأثير والسّحر، وهي لشعراء ممتازين في

---

[1] عبد الإله الصّائغ، الخطاب الإبداعيّ الجاهليّ والصّورة الفنّية، القدامة وتحليل الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط01، 1997، ص14.

[2] المفضّل الضبّي، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، عبد السّلام محمّد هارون، ديوان العرب، مجموعات من عيون الشّعر، المفضّليّات، دار المعارف، كونيش النيل، القاهرة، ط06، ، 1962، ص05.

[3] إبراهيم السّامرائي ، في لغة الشّعر، دار الفكر للنشر، عمان، ص08.

[4] يوسف اليوسف، بحوث في المعلّقات، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، 1978، ص07.

[5] رشيد يحياوي ، الشعريّة العربيّة، الأنواع والأغراض، أفرقيا الشّرق، 1991، ط01، ص16.

منزلتهم في هذه الجزيرة المقفرة البدويّة، فوق أنّها هي النّاطقة بمجد العرب ومحامدهم وأخبارهم، شاهد صدق على أخلاقهم وطباعهم وعاداتهم ولون تفكيرهم، وتمتز بطولها ورقّتها وتهذيبها وروعتها وبجمال معانيها وسحر أساليبها وجزالتها وشدّة أسرها، فوق تنوّع فنونها وأغراضها، وما فيها من تشبيه ساحر واستعارة نادرة وكناية طريفة، وهي مع ذلك ثروة لغويّة كبييرة لا غنى عنها للباحثين والمتعلّمين"[1].

ولهذا كلّه، ونظرا لهذه الميزات والخصائص "لم أعرف في دراسة هذا الشّعر شيئا أفضل من أن نفتح فيه آفاقا جديدة في تذوّقه، وتحليله، وليس هناك أشقّ من فتح نافذة جديدة في أيّ باب من أبواب العلم، وليس هناك أفضل من هذه النّافذة وما أجدرنا بأن نفعل ذلك في أمّة من المحيط إلى الخليج فيها آلاف الجامعات، وآلاف الأساتذة، ولكنّها تبعثرت وتبعثرت جهودها في مضغ رجيع ثقافات الأمم، ولو أنّ كلّ أستاذ كتب لنا صفحة واحدة تحاول فتحَ أفقٍ جديدٍ؛ لكان لنا من وراء ذلك خير كثير"[2] وهذا الهدف والغاية من موضوع بحثنا، خاصّة وأنّ "المعلّقات قصائد من أجود ما قال العرب في جاهليّتهم، حتّى جعلها بعضُهم أفضل القصائد، الّتي قيلت في ذلك العصر...وقال صاحب المقدّمة وكانوا يقفون بسوق عكاظ لينشدونه وعرض كلّ واحد ديباجته، على فحول الشّأن"[3]، "والمعلّقات قصائد طوال مختارات من الشّعر الجاهليّ، وأصحابها أشهر شعراء الجاهليّة، وقد أكبرها العرب منذ القديم، وحاطوها بالعناية، وتناقلها النّاس جيلا بعد جيل، حتّى جاء حمّاد الرّاوية فجمعها وحضّهم عليها، وقال لهم: هذه المشهورات ليصرف اهتمامهم إليها[4]".

وليس للعرب علم أروع وأفضل وأبهى من الشّعر؛ فهو عندهم كلّ شيئ؛ فالحياة عندهم إنّما هي الشّعر؛ يتكلّمونه ويتحدّثونه ويقولونه ويروونه ويستنشقونه ويتنفّسونه، فلقد سيطر الشّعر على أفئدتهم فغمرها في أغوار الخبب و ران على نُهاهم فلا يفكّرون ولا يتخيّلون إلّا بالشّعر ولذلك "إذا كانت شعوب الأرض كلّها تعدّ الشّعر فنّا من الفنون الّتي تُباهي بها؛ كالرّسم والنّحت والموسيقى؛ فإنّ عرب الجاهليّة كانوا يعدّونه الفنون كلَّها؛ فيه اجتمعت ثقافتهم، وإليه تناهت عبقريّتهم؛ وبه وحده كان الجاهليّون يصوّرون نزوعهم إلى الإبداع، وحبّ الجمال؛

---

[1] محمّد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهليّ، دار الجيل، بيروت، ط01،1992، ص176

[2] محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ظ02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص 16.

[3] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص140.

[4] محمّد صبري الأشتر، العصر الجاهليّ، الأدب والنّصوص، المعلّقات، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعيّة، 1994، ص54.

والشّوق عن التّسامي عن الواقع؛ بعد أن يُصوّروا هذا الواقع أدقّ تصوير[1]"، فلولا أن جاء كلام اللّه القرآن؛ فلا يوجد أبدا من يضاهي الشّعر أو يُقارعه، ولولا كلام الله القرآن الّذي تحدّى العربَ فأبهرهم لكان الشّعر عند العربِ إلى اليوم يروي ظمأهم وحده وفقط، ولا يوجد ما يُنافسُه. ولذلك"والشّعر إلى جانب وجهه الفنّي؛ كان يُمثّل في الجاهليّة وجه الحياة الفكريّ؛ فيه الحكمة الرّزان؛ والمآثر والمُثل؛ وصاحبه سيّد من أشراف القبيلة؛ إن احتكم النّاس إلى رئيس القبيلة في أمور السيّاسة والحياة احتكموا إلى الشّاعر في أمور العقل؛ واستفتوه في المشكلات والمعضلات؛ بل اعتقدوا فيه قوّة سحريّة خارقة تحرّك لسانه بما لا يحسنون[2]"، "المعلّقات قصائد مختارة من شعر العرب لأشهر شعراء الجاهليّة، اختلف في من جمعها إلّا أنّ أكثر كتب التّاريخ تذهب إلى أنّ حمّاداً الرّاوية هو الّذي اختارها وحثّ العرب على قراءتها، فتذوّقها النّاس وعرفوا قيمتها ونالت لديهم حظّا كبيرا من الحفظ والتّفسير وأذاعتها واتّخذ الشّعراء أسلوبها مثالا، يقولون قصائدهم على منواله، ويرمون من خرج على طريقتها بأنّه خارج على عمود الشّعر"[3] ، "وهنا نقع أيضاً على وجه من الكيفيّة الّتي كان يتمّ بها اختيار المعلّقات الاختيار الأوّل، أو بعبارة أدقّ على وجه من وجوه تزكية الشّعر للتّعليق على الكعبة، فهذا ملِكٌ يصدر حُكمه في قدسيّة قصيدة يسمعها لأوّل مرّة من صاحبها...ولم يكن المزكّي للشّعر هذه المرّة أقلّ من ملك الحيرة عمرو بن هند"[4].

6. تعريف المعلّقات:

جدير بنا بادئ البدء أن نذكر بأن كلمة **معلّقة** ذُكِرت في القرآن الكريم، يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿..... فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلمَيلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلمُعَلَّقَةِ ....﴾ النساء: 129.

وجاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية " أي: إذا ملتم إلى واحدة منهن، فلا تبالغوا في الميل بالكلية ﴿ فَتَذَرُوهَا كَٱلمُعَلَّقَةِ﴾ أي: فتبقى الأخرى معلقة. قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن

---

[1] غازي طليمات، .عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، الأدب الجاهليّ، قضاياه، أغراضه، فنونه، ط01، مكتبة الإيمان، دار الإرشاد، بحمص، دمشق، 1992، ص53.

[2] المرجع نفسه، ص53.

[3] شرح القصائد التّسع المشهورات، أبو جعفر أحمد بم محمّد النحاس، تحقيق أحمد خطاب، دار الحريّة للطّباعة، بغداد، 1973، ص45

[4] نجيب محمود البهبيتيّ، المعلقات سيرةً وتاريخاً، ط01، 1982، مكتبة الأدب المغربيّ، دار الثّقافة، المغرب، ص219

جبير، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس، والسدى، ومقاتل بن حيان: معناه لا ذات زوج ولا مطلقة"[1].

وجاء تفسير عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمة الله عليه للآية الكريمة في قوله:"إن الزوجة إذا ترك زوجها ما يجب لها، صارت كالمُعَلَّقَةِ الّتي لا زوج لها فتستريح وتستعد للتزوج، ولا ذات زوج يقوم بحقوقها"[2].

أمّا المعلّقة في اللّغة فقد جاء في معجم مقاييس اللّغة: "علّق: العين واللام والقاف أصل كبير صحيح يرجع إلى معنى واحد، وهو أن يناط الشَّيء بالشيء العالي، ثم يتَّسع الكلام فيه...تقول: عَلّقْتُ الشيءَ أعلَقه تعليقاً، وقد عَلِق به إذا لزِمَه، والقياس واحد"[3]. "ويقال هذا علق من الأعلاق، للشيء النفيس، كأَنَّ كلَّ من رآه يَعْلَقه"[4]، وفي قوله تعالى: ﴿...فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ...﴾ النّساء: 129.

وأمّا **اصطلاحا** فالمعلّقات هي "قصائدٌ طوالٌ مختارات من الشّعر الجاهليّ، وأصحابها أشهر شعراء الجاهلية"[5]، وتعتبر" أشهر قصائد الجاهليين، وأعظمها شأنا وأعلاها منزلة في أدبهم وتاريخهم، بإجماع الباحثين والنّقاد القدامى"[6]، "بلغ عددها السبع أو العشر-على قول-برزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح، حتى عُدّت أفضل ما بلغنا عن الجاهليين من آثار أدبية"[7].

فإذا ما جمعنا المعنى اللغوي والاصطلاحي نجد أن المعلّقات هي" قصائد نفيسة ذات قيمة كبيرة، بلغت الذِّروة في اللّغة، وفي الخيال والفكر، وفي الموسيقى ونضج التجربة، وأصالة التّعبير"[8].

---

[1] إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي؛ أبي الفداء: تفسير القرآن الكريم، الجزء الأول، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2007، ص: 523.

[2] عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنَّان، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2010، ص: 205.

[3] أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء 2، 2011، ص: 167.

[4] المرجع نفسه، ص: 169.

[5]-محمّد صبري لأشتر، العصر الجاهلي: الأدب والنصوص-المعلقات، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، 1994، ص:3.

[6]- أبي زكريا يحي بن علي بن محمّد الشيباني، شرح المعلقات العشر المذهبات، ضبط نصوصه محمّد الطباع، شركة دار الارقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 2016، ص:5.

[7]- رأفت علام، المعلقات، مكتبة المشرق، مصر، 2018، ص:5.

[8]- المرجع نفسه، ص:5.

وقد يتساءل أحدُهم، كيف لعصر وُصف بالعصر الجاهليّ أن ينظم أصحابه هكذا شعر؟، لهذا كان لابدّ من توضيح أمر في غاية الأهمّيّة، وهو أنّ الجاهليّة هنا لا تعني عدم المعرفة، وإنّما تعني الجهل بأمور الدّين الإسلاميّ والتّشبّث بعبادة الأوثان، وهذا ما يؤكّده عميد الأدب العربيّ طه حسين حينما يتساءل متعجّبا: "أو ليس عجيبا أن يعجز الشّعر الجاهليّ كلّه عن تصوير الحياة الدّينيّة للجاهليين!"[1]. ورُغم أنّ أصحاب الشّعر الجاهليّ من عصور ما قبل الإسلام، إلاّ أنّه "ليست ثمّة حقبة من حقب تاريخ الشّعر العربيّ حظيت بالاهتمام، وأثارت الجدل الحادّ والقضايا الشّائكة مثل الشعر الجاهلي"[2]، وهنا يعود طه حسين مجددا ليسأل ويجيب قائلا:" أفتظن هؤلاء القوم من الجهل والغباوة والغلظة والخشونة بحيثُ يمثّلهم لنا هذا الشّعر الّذي يضاف إلى الجاهليين! كلاّ ! لم يكونوا جهّالاً ولا أغبياء ولا غلاظًا ولا أصحاب حياة خشنة جافية، وإنّما كانوا أصحاب علم وذكاء وأصحاب عواطف رقيقة وعيش فيه لين ونعمة"[3]. ولا غرابة في أن يتميّزوا بذلك الوصف، فقول الشّعر ليس بالأمر السّهل، "إن الشّعر الشّعر تعبيرٌ عن حاجيات إنسانيّة تختلج في النّفوس وتعمل بها لترى النّور بعد استيفاءٍ للزّمن ونُضوج للمعاناة، عبر كلمات لها خصائصها ومصطلحاتها وأبعادها الفكرية والدلالية، فليس الشعر كلاماً عادياً يتفاهم به الناس ولكنه كلام من نوع آخر، يتطلب كثيراً من الحذق والمهارة والأصول، إضافة إلى الموهبة الّتي يمكن لنا أن نسميها المَلَكة الشعرية"[4]. ويصف شوقي ضيف – في كتابه الفن ومذاهبه في الشعر الجاهلي– الشّعر بأنه صناعة قائلا:" الشعر ليس عملا ساذجا كما يعتقد كثير من النّاس، بل هو عمل معقّد غاية التّعقيد، هو صناعة تجتمع لها في كلّ لغة طائفة من المصطلحات والتّقاليد"[5]. "ولعلّ ذلك ما جعل **جويدي** يقول: إنّ قصائد القرن السادس الميلادي الجديرة بالإعجاب تنبئ بأنها ثمرة صناعة طويلة "[6]، "وممّا لا لا يدع مجالا للشّكّ أنّ القصيدة العربيّة الجاهليّة مرّت بمراحل من النموّ والتّطوّر حتّى وصلت إلى الشّكل الّذي وصلت به إلينا، وقد ينطبق عليها ما ينطبق على الطّفل منذ أن يكون جنينا في بطن أمّه إلى يبلغ مرحلة الولادة، وهكذا فإنّ مطوّلات امرئ القيس، وزهير بن أبي سلمى،

---

[1]– حسين طه ، في الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ص:31.

[2]– سليمان الشطّي، المعلقات وعيون العصر، عالم المعرفة، الكويت، 2011، ص: 8.

[3]– المرجع نفسه، ص:32.

[4]– مفيد قميحة، المعلقات العشر، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 5، 2002، ص:28.

[5]– ضيف شوقي ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، ط 11، ص: 13.

[6]– المرجع نفسه، ص: 14.

وعنترة بن شداد، وطرفة بن العبد وغيرها، لا تمثل بأيّ حال من الاحوال، بدايات الشّعر الجاهليّ ولكنّها تمثّل ذروة ما وصل إليه هذا الشّعر في زمنه"[1].

"ويعتقد علي الجنديّ أستاذ الأدب الجاهليّ بجامعة القاهرة أنّ من أسباب خلود المعلّقات أنّ كلّا منها تُشبع غريزة من غرائز النّفس البشريّة:

- فحبّ الجمال في معلّقة امرؤ القيس.
- والطّموح وحبّ الظّهور في معلّقة طرفة.
- والتطلّع للقيّم في معلّقة زهير.
- وحبّ البقاء والكفاح في الحياة عند لبيد.
- والشّهامة والمروءة لدى عنترة.
- والتّعالي وكبرياء المقاتل عند عمرو بن كلثوم.
- والغضب للشّرف والكرامة في معلّقة الحارث بن حلّزة.

...والعربيّ منذ الأزل ارتبط بأرضه ووطنه، فالمكان لديه أخ وأب وصاحبة والارتحال يفرّق بين القلوب إلى مدى لا يعرف، والتّأثّر يكون أقوى إن كان للمكان ذكرى حلوة ولا عجب إن فرّج عن نفسه بالبكاء؛ لعلّ الدّموع تطفئ نار الوجد، والعجيب أنّهم وإن اتّفقوا في الفكرة إلّا أنّ جانب الشّعور لديهم كان مختلفاً"[2]

7. مصدر التّسمية:

تعتبر المعلّقات من أهمّ مصادر الشّعر الجاهليّ وأوائله الّتي حظيت بالاهتمام والعناية عند الرّعيل الأوّل من الدّارسين، "وبلغت من أهميّتها واعتداد القوم بها، تمييزهم إيّاها واختيارها من سائر الشّعر"[3]، ولقد تعدّدت الآراء في تسميتها على مرّ التّاريخ قبل أن تستقرّ على هذا الاسم، "رُغم أنه لم يُصرّح أحدٌ من الأجيال الأولى بالتّعليق أو المعلّقات"[4].

منذ بداية جمع هذه القصائد تضاربت الآراءُ هنا وهناك على مرّ التّاريخ في سبب التّسمية ومصدره. "كان (حمّاد) أوّل من جمعها في أواخر عصر بني أميّة وأوائل العصر العبّاسيّ،

---

[1] بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهليّ ، رؤية نقديّة معاصرة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001، ص14

[2] عصام عبد الفتاح، الشّعر الجاهليّ، الأعمال الكاملة لشعراء عصر الجاهليّة، حياتهم، أشعارهم والمعلقات السّبع...والعشر كنوز للنشر والتوزيع، 2010، ص43

[3]– أبي زكريا يحي بن علي بن محمّد الشيباني، شرح المعلقات العشر المذهبات، ص: 5.

[4]– سليمان الشطي، المعلقات وعيون العصر، ص:11.

وذلك أنّه رأى زهد النّاس في الشّعر –الشّعر الجاهليّ طبعا– فجمع لهم هذه القصائد السّبع، وقال هذه هي المشهورات...فسمّيت القصائد المشهورة"[1]. والشّاهد أنّ القصائد المشهورة أوّل تسمية كانت تلتصق بالمعلّقات، "فكيف والحالة هذه أطلق النّاس عليها هذا الاسم (المعلّقات) وتناسوا اسمها السابق؟"[2].

كانت آراء الكثيرين من الباحثين في القديم والحديث تعتبر أن تسمية المعلّقاتإنّما كانت نسبة "لتعليقها في ركن من أركان الكعبة المقدّسة عند العرب"[3]، "وللتّعليق أسبابٌ وثيقةُ الاتّصال بالعقائد الجاهليّة، وهو صورةٌ منتزعةٌ من صوّر الحياة الجاهليّة". إلّا أنه ظهرت آراء تُنكر فكرة التّعليق على أستار الكعبة. سنُحاول فيما سيأتي البحث عن مصدر هذا الاسم من خلال تتبّع مسار هذه الكلمة بين مؤّيِدٍ ومُنكِرٍ، بداية من لسان أوّل من أطلقها.

8. مؤيّدو التّعليق:

إنّ أوّل من جرى على لسانه خبر تعليق القصائد **ابن الكلبي(204 هـ)**، الّذي نُسِب إليه هذا القول: "وأوّل ما علّق في الجاهليّة شعر امرئ القيس، علّق على ركن من أركان الكعبة أيّام الموسم حتّى نظر إليه، ثمّ أحدر فعلّقت الشّعراء ذلك بعده"[4]. فسمّيت بالمعلّقات لأنّها علّقت على جدران الكعبة.

وبعد مرور أكثر من قرن يسوغ لنا **ابن عبد ربه القرطبي(327 هـ) صاحب العقد الفريد** هذا الخبر قائلا: "قد بلغ كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد ميّزتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة"[5].

ليأتي **ابن رشيق** بعده يؤكّد خبر التّعليق في كتابه **العمدة** قائلا: "كانت المعلّقات تسمّى المذهّبات، وذلك أنّها أُختِيرت من سائر الشّعر فكُتبت بالقباطي بماء الذّهب، وعلّقت على الكعبة، فلذلك يُقال مُذهّبة فلان، إذا كانت أجود شعره، ذكر غير واحد من العلماء"[6]. كما نقل نقل رأياً آخر فيما قيل عن تسميتها بالمعلّقات يريد به تأكيد كلامه وهو أنّ "الملك إذا

[1]– أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحسين الزوزني، شرح المعلقات العشر، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1983، ص:16.

[2] المرجع نفسه، ص:16.

[3] مفيد قميحة، المعلقات العشر، ص: 33.

[4] سليمان الشطي، المعلقات وعيون العصر، ص: 13.

[5] أبي زكريا يحي بن علي بن محمّد الشيباني، شرح المعلقات العشر المذهبات، ص:6.

[6] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001، ص:101.

استجيدت قصيدة يقول: علّقوا لنا هذه، لتكون في خزانته"[1]، "واختلفوا في جمع القصائد السّبع، وقيل أنّ العرب كانوا يجتمعون بعكّاظ فيتناشدون الأشعار، فإذا استحسن الملك قصيدة قال: علّقوا لنا هذه وأثبوتوها في خزانتي، وأمّا قول من قال أنّها علّقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرّوّاة"[2]، "وقد ذهب بعض المؤرّخين إلى أنّ هذا الملك هو النّعمان بن المنذر لأنّه هو الّذي كان يُعنى من ملوك المناذرة بجمع أشعار العرب، وكان عنده ديوان مكتوب جمع فيه أشعار فحول من الشّعراء، وقد صار ذلك الدّيوان أو ما بقي منه إلى بني مروان على ما رواه أبو عبد الله بن سلام في كتابه طبقات الشّعراء الجاهليين والإسلاميين، ولكن هذا الخبر يحتاج إلى الكثير من رحابة الصّدر ليصار إلى قبوله، لأنّه من الصّعب الافتراض بأنّ ملكا عربيّا كالنّعمان مثلا كان يشهد سوق عكاظ، والقول بأنّ هذا الملك الّذي عناه أبو جعفر هو النّعمان مجرّد استنباط لا تؤكّده المصادر ولا العقل..."[3].

ويقول **البغداديّ** في المعلّقات في كتابه خزانة الأدب: "إنّ العرب كانت في الجاهليّة يقول الرّجل منهم الشّعر في أقصى الأرض فلا يُعبأ به ولا يُنشده أحدٌ، حتّى يأتي مكّة في موسم الحجّ فيعرضه على أندية قريش، فإن استحسنوه رُوي وكان فخرا لقائله وعلّق على ركن من أركان الكعبة حتّى ينظر إليه، وإن لم يستحسنوه طرح ولم يعبأ به"[4].

ويبدو أنّ **ابن خلدون** أيضا يؤيّد خبر التّعليق في قوله: "..انتهى العرب إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجّهم وبيت إبراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة..وطرفة..وعلقمة بن عبدة، والأعشى، وغيرهم"[5].

---

[1] ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد عطا، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001، ص:101.

[2] أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزّوزني، شرح المعلّقات العشر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1983، ص13.

[3] المرجع نفسه، ص13.

[4] عبد القادر بن عامر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمّد نبيل طريفي، الجزء1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009، ص: 137.

[5]– أبي زكريا يحي بن علي بن محمّد الشيباني، شرح المعلقات العشر المذهبات، ص:6.

وبرز في العصر الحديث من المحدثين من أَيَّدَ خبر التّعليق، وها هو الأديب **جرجي زيدان** يقول: "...أي غرابة في تعليقها وتعظيمها بعدما علمنا من تأثير الشّعر في نفوس العرب؟!"[1].

ويستدلّ **أحمد حسن الزيّات** على خبر التّعليق قائلا: "على أنّ تعليق الصّحائف الخطيرة على الكعبة كان سنّة في الجاهليّة بقي أثرها في الإسلام، فمن ذلك تعليق قريش للصّحيفة الّتي وكدوا فيها على أنفسهم مقاطعة بني هاشم والمطلب لحمايتهم رسول الله–صلى الله عليه وسلم– حين أجمع على الدّعوة، وتعليق الرّشيد عهده بالخلافة من بعده إلى وَلَديه الأمين والمأمون، فلم لا يكون الأمر كذلك في هذه القصائد مع ما علمت من تأثير الشّعر فيهم ومكانة الشعراء منهم؟"[2].

ويعرّج **بدوي طبانة** على صحة التعليق مناقشا من يعترضون على ذلك قائلا:" ولا نجد من الأسباب الظاهرة ما يدعو إلى الشك في صدق هذه الروايات ولا نرى سببا معقولا يدعو إلى نفي هذه المعلّقات، أو تكذيب هذه الروايات الّتي توارد عليها الرواة في مختلف العصور"[3].

9. منكرو التّعليق:

بعدما تطرقنا إلى خبر التعليق ومؤيديه فلابد لنا من أجل تقصي حقيقة مصدر تسمية المعلّقات إلى المنكرين للتّعليق ومعارضيه. فكما أنّ هناك باحثين كثر يؤكدون خبر التعليق كما سبق الذكر، فإن هناك باحثين رغم قلتهم يؤمنون بأن المعلّقات من أحسن الشعر ولكنهم ينكرون أنها عُلِّقت على الكعبة.

وأوّل منكر للتّعليق هو **ابن النحّاس** (338هـ) حيثُ قال: "وأمّا من قال إنّها عُلِّقت في الكعبة فلا يعرفه أحد من الروّاة"[4]. وابن النحّاس "هنا لا ينفي خبر التّعليق وإنّما ينفي خبر التّعليق في الكعبة ومعرفة الرّوّاة له"[5].

ويأتي بعده من يؤيّدوه في رأيه هذا من أمثال محمّد الأنباري(577هـ)، وياقوت الحموي (626هـ). ويتّفق **كارل بروكلمان** أيضًا معهم وهو أحد المستشرقين الّذين بحثوا في تاريخ

1- عبد الله خضر حمد، الشعر الجاهلي في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (267هـ)- دراسة أسلوبية، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2018، ص: 63.

2- سليمان الشطي، المعلقات وعيون العصر، ص: 22.

3- المرجع نفسه، ص: 23.

4- المرجع نفسه، ص: 14.

5- مفيد قميحة: المعلقات العشر، ص:34.

الأدب العربي، يتّفق مع ابن النّحاس بأنّ حماد الرّاوية هو من اختار وجمع تلك القصائد الّتي سمّيت بالمعلّقات في قوله: "والحقّ أنّ هذه المجموعة من اختيار حمّاد الراوية"[1]، كما ينفي خبر التّعليق قائلا: "وزعم المتأخّرون أنّها سمّيت معلّقات لأنّها كانت معلّقة على الكعبة لعلو قيمتها، ولكن هذا التّعليل إنّما نشأ من التّفسير الظّاهر للتّسمية وليس سببا لها"[2].فحسب بروكلمان فإنّ "التّعليق تسمية مجازيّة مأخوذة من الجودة والحرص والمحافظة على الشّيء...فالاهتمام بالشّعر عند العرب والحرص عليه، هو الّذي جعل الباحثين يميلون إلى هذه التّفسيرات المجازية للتّسميّة"[3].

وقد أشار **مصطفى صادق الرّافعي**(1298هـ-1356هـ) أنّ خبر التّعليق الّذي وصل إلينا مصدره تعليق قريش للصّحيفة – الّتي أرادوا بها مقاطعة بني هاشم- على الكعبة، حيثُ يقول في كتابه (تاريخ آداب العرب): "عندنا إن الّذي روى التعليق إنما أخذه من تعليق قريش للصّحيفة، وذلك أنّه لمّا فشا الإسلام وقوي المسلمون بحمزة وعمر، ائتمرت قريش في أن يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على أن لا ينكحوا بني هاشم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئا، فكتبوا بذلك صحيفة بخط منصور بن عكرمة، ثم علقوها في جوف الكعبة توكيدا لذلك الأمر على أنفسهم"[4]. ولكنّه أنكر ذلك الخبر في كتابه نفسه حين قال: "وأعجب شيء أنك لا ترى في كلام أحد من الصدر الأول من لدن النبي صلى الله عليه وسلم ما يشير إلى ذلك الخبر، مع أنّهم تكلّموا في الشّعر والشّعراء وفاضلوا بينهم وورد في الحديث كلام عن امرئ القيس وعنترة، وكلّ ذلك ممّا يدلّ على **إنّ ذلك التّعليق إنّما كان بحبل التّلفيق!**"[5].

ومن الباحثين المعاصرين من يميلون إلى فكرة نفي خبر التّعليق، فعبد الله خضر حمد أشار في كتابه (السّبع المعلّقات- دراسة أسلوبية): "ممّا يحتجّ به في نفي فكرة التّعليق أنّه لا توجد أيّة إشارة تُثبت فكرة التّعليق في كتب تاريخ الأدب العربي ولا المصادر الّتي اختصّت بتاريخ العرب، إذ لا يوجد أثر يبيّن كيفية هذا التّعليق وزمانه، ولعلّ فكرة التّعليق كانت

---

[1]- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي،الجزء الأول، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط 5، ص:67.

[2]- المرجع نفسه : الصفحة نفسها.

[3]- مفيد قميحة: المعلقات العشر، ص:35.

[4]- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، الجزء الثاني، راجعه وضبطه عبد الله المنشاوي و مهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، المنصورة، ص:168.

[5]- المرجع نفسه، ص:168.

مقصودةٌ من قبل بعض اللّغويين المتأخّرين"[1]، ويعزّز رأيه هذا بعدم ذكر القرآن الكريم للمعلّقات رغم إن القرآن تكلّم كثيرا عن أخبار الأقدمين قبل الإسلام في قوله: "ولا تجد في القرآن الكريم أيّة إشارة إلى أن المعلّقات قد علّقت على الكعبة، وكما هو معلوم فإنّ القرآن الكريم أشار إلى أسماء الآلهة عند العرب كاللاّت والعزى..إلخ، كما ذكر القرآن بعض الطّقوس الّتي تمارس عند الكعبة كالمُكاء والتّصدية"[2].

وغير بعيد عن هذا نجد **طه حسين** يُنكر المعلّقات من أساسها، حيثُ يرى أن مرآة الحياة الجاهليّة يجب أن تُلتمس في القرآن الكريم لا في الشّعر الجاهليّ، حيثُ يقول في كتابه (في الشّعر الجاهليّ): "إنّي لا أُنكر الحياة الجاهليّة وإنّما أنكر أن يمثّلها هذا الشّعر الّذي يسمونه الشّعر الجاهليّ. فإذا أردت أن أدرس الحياة الجاهليّة فلست أسلك إليها طريق امرئ القيس والنّابغة والأعشى وزهير، لأنّي لا أثق بما ينسب إليهم، وإنّما أسلك إليها طريقا أخرى، وأدرسها في نصّ لا سبيل إلى الشكّ في صحّته، أدرسها في القرآن، فالقرآن أصدق مرآة للعصر الجاهليّ"[3].

كما نجد شوقي ضيف يُنكر خبر التّعليق قائلا:" أمّا ما يقال أن المعلّقات كانت مكتوبة ومعلّقة في الكعبة فمن باب الأساطير"[4].

ونجد الدّكتور جواد عليّ يأبى هو الآخر الأخذ بفكرة التّعليق "وقد ذكر الدّكتور جواد عليّ أدلّته على رفض فكرة التّعليق ما يأتي: إنّه حينما أمر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بتحطيم الأصنام والأوثان في الكعبة وطمس الصّوّر لم يذكر وجود معلّقة أو جزء معلّقة أو بيت شعر فيها. عدم وجود خبر يشير إلى تعليقها على الكعبة حينما أعادوا بناءها من جديد. لم يشر أحد من أهل الأخبار الّذين ذكروا الحريق الّذي أصاب مكّة، والّذي أدّى إلى إعادة بنائها لم يشيروا إلى احتراق المعلّقات في هذا الحريق. عدم وجود من ذكر المعلّقات من حملة الشّعر من الصّحابة والتّابعين ولا غيرهم"[5] إلّا أنّه رغم هذا "إنّ الّذين نفوا تعليق هذه القصائد على

---

[1]- عبد الله خضر حمد: السبع المعلقات–دراسة أسلوبية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2017، ص:23.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- حسين طه: في الشعر الجاهليّ، ص:27، 28.

[4]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي– العصر الجاهليّ، دار المعارف، القاهرة، ط11،ص: 140.

[5]- عبد الله خضر حمد: الشّعر الجاهليّ في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (267هـ)– دراسة أسلوبيّة، ص: 65.

الكعبة شغلوا بإيجاد تفسير معقول لكلمة معلّقات الّتي قد يكون لها ظلّ من الحقيقة"[1] وربّما الحقيقة كلّها ذلك لأنّ المعلّقات من التّعليق لا غير.

10. عدد المعلّقات:

لقد اختلف الأدباء والباحثون قديما وحديثا حول أشهر شعراء الجاهليّة، ولكنّهم اتّفقوا على أنّ أصحاب المعلّقات يأتون في المراتب الأولى، ويأتي الخلاف مرّة ثانية في عدد المعلّقات وقائليها، "فابن الأنباري والزّوزني اكتفيا بشرح سبع منها والنحاس نفسه أقرّ بذلك وقال بعد أن انتهى من شرح قصيدة عمرو بن كلثوم وهي القصيدة السّابعة عنده: فهذه آخر السّبع المشهورات، على ما رأيت أكثر أهل اللّغة يذهب إليه منهم أبو الحسن بن كيسان، وعلّل سبب إضافته إليها قصيدتي الأعشى والنّابغة يقول: وقد رأيت أنّ من يذهب إلى أنّ قصيدة الأعشى وهي: (ودّع هريرة) وقصيدة النّابغة وهي: (يا دار ميّة...) من القصائد، وقد بيّنا أنّ هذا لا يؤخذ بقياس غير أنّا قد رأينا أكثر أهل اللّغة يذهب إلى أنّ أشعر أهل الجاهليّة: امرؤ القيس وزهير بن أبي سُلمى والنّابغة والأعشى إلّا أبا عبيدة فإنّه قال: (أشعر الجاهليّة ثلاثة: امرؤ القيس وزهير بن أبي سُلمى والنّابغة...وقال التّبريزيّ بعد شرحه قصيدة الحارث بن حلّزة، (هذا آخر القصائد السّبع وما بعدها المزيد عليها) ويضيف قصيدة عاشرة وهي لعبيد بن الأبرص"[2].

"وأمّا التّبريزيّ فقد تابع النحّاس في القصائد التّسع مضيفا إليها قصيدة عبيد ابن الأبرص ومقدّما قصيدة عمرو بن كلثوم على قصيدة الحارث"[3]، ومن هنا فإنّ عدد المعلّقات هو عشرة فشعراء العصر الجاهليّ أقوى بكثر من نظم عشر قصائد طوال وتعليقها على جدار الكعبة، فلا ضير أن تكون لهم مئات المعلّقات، ولذلك لا نتفلسف أكثر في إضافة ثلاثة قصائد أخرى للسّبعة الشّهيرة.

---

[1]- سليمان الشطّي، المعلّقات وعيون العصر، سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة يصدرها المجلس الوطني الثقافيّ للفنون والآداب، الكويت، منتدى مكتبة الإسكندريّة، 2011، ص17

[2] أبو جعفر أحمد بم محمّد النحاس، شرح القصائد التّسع المشهورات،تحقيق أحمد خطاب، دار الحريّة للطّباعة، بغداد، 1973، ص49.

[3] المرجع نفسه، ص57

11. أهمّية المعلّقات:

إنّ موضوع بحثنا يحاول التماس الجديد في الدّراسة البينيّة للأعلام الجغرافيّة في شعر المعلّقات الجاهليّة بهدف "تحليل مباني الشّعر وتذوّقه من خلال البحث فيه عن طرائق أخرى لا تزال خافية فيه لأنّ القراءات السّابقة لم تستقص كلّ ما فيه من أصول نقديّة وبلاغيّة والمطلوب كما قلت وأكرر أن نستصحب ما استخرجوه ثمّ نفتح عيوننا للبحث فيه عن شيء تركوه"[1]، وأمّا ما تركوه ولم يقفوا عنده بالدّراسة والتّحليل فالأعلام الجغرافيّة بمختلف أشكالها وأنواعها وأقسامها وألوانها في المعلّقات وهي تلوّنها بالإبداع والاختراع ونقل الأخبار والجمال، والمعلّقات كنز باهض الثّمن، بل تراث لا يقدّر ثمنه وهو من الكنوز النّادرة الّتي بقيت لدى العرب بها يفتخرون، "والمعلّقات موضوع مثير في كلّ عصر، بل كلّ حقبة يبرز ويتصدّر فيها الشّعر الجاهليّ الواجهة، ليمثّل معضلة من معضلات البحث الأدبيّ في تاريخ الأدب[2]"، وبذلك أشرقت الأعلامُ الجغرافيّةُ في الشّعر العربيّ والمعلّقات "مثل عسل منحدر من كلّ زهرة بريّة تتجمّع حوله هجمة المتذوّقين للشّعر الجاهليّ[3]"، وتعتبر الأعلام الجغرافيّة أجنحةً عملاقةً في المعلّقات حلّقت بها وطارت، في الفضاء شامخةً سامقةً ووهبت المعلّقات مكانة بارزة كالشّمس في وضح النّهار "فقد كانت تدورُ على الألسنة إعجاباً وإنشادا، ويقلّبها أصحاب الاستشهاد يتلمّسون فيها الحُجج اللّغويّة والبلاغيّة، وتدور حولها الأفكار فهماً وشرحاً، وعندما دوّنت تراجم الأعلام جاء شعراؤها في المقدّمة دائماً، تفرّد الأحاديث المطوّلة عنهم وعن شِعرهم وقصائدهم هذه المختارة[4]" ، والأمرُ نفسُه "وبهذه النّظرة نظر إليها علماءُ اللّغة وعلماءُ الأدبِ الّذين اتّخذوا منها مواطن الاستشهاد على صحّة اللّفظ وصحّة الأسلوب، ومقياساً من مقاييس التّشريع اللّغويّ وكانوا على حقّ فيما ذهبوا إليه[5]"، فلقد استحقّت المعلّقات حقّا كتابتها بماء الذّهب والتّعليق بها في أقدس مكان على وجه الأرض بالكعبة المشرفة، واستحقت استحسان بالعرب لها وتعلّقهم بها حيثُ" عبّرت تلك المعلّقات أقوى تعبير عن أماني النّفس وعواطفها وانفعالاتها، وكانت أصدق صورة للمجتمع الّذي عبّرت عنه في ذلك الشّعر القويّ

---

[1] محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ط02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص ط.

[2] د. سليمان الشّطّي، المعلّقات وعيون العصور، منتدى مكتبة الإسكندريّة، الكويت، 2011، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص07.

[4] المرجع نفسه، ص 11.

[5] بدوي طبّانة، معلّقات العرب، دراسة نقديّة تاريخيّة في عيون الشّعر الجاهليّ، مكتبة الأنجلو مصريّة، ط01، 1958، ص06.

الرّائع[1]"، وطفقت المعلّقات منذ العصر الجاهليّ إلى يومنا هذا العمود الفقريّ للشّعر أو قل وداده ومخّه، فهي الأساس الّذي وضعوا به أُسُس وقوانين الشّعر "وكذلك نظر نقّاد الأدب إلى هذه المعلّقات، لأنّهم إنّما يضعون مقاييسهم وفقا لمجموعة التّقاليد الّتي سنّها الأدباء، وينظرون إلى الظّواهر المشتركة والخصائص الفنّية ليَقيسوا ما ينشأ في عصورهم بما كان قبلهم، ومعنى ذلك لا يبتدعون جديدا في تلك المقاييس، وإنّما يستكشفون من طبيعة التّراث الأدبيّ تلك المقاييس بما يجمعون منه من أسباب الجمال أو القوّة أو الوضوح[2]".

12. أصحاب المعلقات:

المعلّقات عشرة لشعراء عشرة مختلفين "وهؤلاء الشّعراء العشرة كلّهم من نجد؛ ما عدا امرأ القيس، أربعة منهم من ربيعة، وهم: عمرو بن كلثوم والحارث بن حلّزة وطرفة بن العبد والأعشى، وأربعة من قيس عيلان، وهم: زهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة العامريّ، والنّابغة الذّبيانيّ، وعنترة بنت شدّاد العبسيّ، وعبيد بن الأبرص من بني أسد، وامرؤ القيس من اليمن، وأكثر إقامته في نجد[3]".

وإنّ ترتيب أصحاب المعلّقات العشرةٌ لقد نال هو الآخر اهتمامه من طرف النقّاد إذ "إنّ مكوّنات المعلّقات العشرة – أخذ بالآراء المختلفة للرُّواة (المفضّل الضبّي، وحمّاد الرّاوية، والتّبريزيّ) في عدّتها تتتابع هكذا[4]:

- **امرؤ القيس:** الأطلال، المرأة، اللّيل ، الفرس، البرق والسّحاب.
- **طرفة بن العبد:** الأطلال، المرأة، النّاقة، مفاخره وفلسفته في الحياة.
- **الحارث بن حلّزة:** رحيل أسماء، نار هند، النّاقة، الحوادث والمفاخر.
- **عمرو بن كلثوم:** الخمر، الظعن، المرأة، عمرو بن هند والفخر عليه.
- **عبيد بن الأبرص:** الأطلال، حكمة الفراق، النّاقة، الفرس.
- **عنترة بن شدّاد:** الطّلل، عبلة، النّاقة، عبلة، المفاخرة.
- **النّابغة الذّبيانيّ:** الأطلال، النّاقة، مدح واعتذار.
- **زهير بن أبي سلمى:** الأطلال، الظّعائن، الإصلاح، الحكمة.

---

[1] المرجع نفسه، ص05

[2] المرجع نفسه، ص06

[3] محمّد بن عبد الله بن بلهيد النّجديّ، صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار، ج01، ط03، 1418هـ، ص14

[4] عبد الله بن أحمد الفَيفي، مفاتيح القصيدة الجاهليّة، قديّة جديدة، عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا، عالم الكتب الحديث، 2014، إربد، الأردن، ط01. ص16.

- **الأعشى:** وداع هريرة، وصفها، المطر، النّاقة والقوّة، تهديد.
- **لبيد بن ربيعة:** الأطلال، نوار، النّاقة، نوار.



الفصل الأوّل: في ماهية الدّراسات البينيّة.

تمهيد:

تعريف الدّراسات البينيّة لغة واصطلاحا.

أهمّ اصطلاحات الدّراسات البينيّة استعمالا (مسميّاتها).

المصطلحات الأكثر تداولا واستعمالا في الدّراسات البينّيّة.

البينيّة والتّباين.

أنواع البينيّة.

أسباب ظهور البينيّة ونشأتها.

أهمّية الدّراسات البينيّة ومزاياها.

عراقيل وحواجز اعتماد الدّراسات البينيّة.

الحلول المقترحة لتجاوز عوائق التّطبيق واعتماد الدّراسات البينيّة.

أعلام العرب القدامى في الدّراسات البينيّة.

تمهيد:

كلّ التّخصّصات انفردت بمبادئها ومقوّماتها وسلكت دربا واحدا لا تحيد عنه ولا تميل؛ تماما كاختصاص النّمل في شأن شغله متّخذا سبيلا واحد لا غير والّذي سيكلّفه غاليا إن هو اصطدم بأمر ما وهذا ما أصاب التّخصّص الواحد حيثُ "إن كان التّوجّه نحو التّخصص الدّقيق هو السّمة الغالبة على البحث العلمي والتّفكير العلميّ حتّى منتصف القرن العشرين، فإنّ آليات العولمة وتَفجُّر الثّورة المعلوماتية قد فرضت على العالم المعاصر توجّهات وأفكار مغايرة تؤكّد على وحدة المعرفة وأهميّة التّكامل بين التّخصّصات فيما أُطلق عليها اصطلاح interdisciplinary **(الدّراسات البينية)**. ذلك الاتّجاه المعرفي الجديد الّذي يؤكّد علّة تشابك وجهات النّظر العلميّ وضرورة ربط المعلومات في نظام يتّصل فيه جميع التّخصّصات، فضلا عن ارتباط كل هذه المجالات بالعلوم الإنسانية الأخرى: النّفسية، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة وغير ذلك ممّا يعدّ حتميا للوصول إلى مخرجات موضوعيّة للبحث العلميّ وتفسير الظّواهر وحل المشكلات..... يمكن القول إنّ الدّراسات البينيّة مرحلة من مراحل تطوّر العلم تلت مرحلتي الموسوعيّة والتخصصيّة"[1]. فالدّراسات البينيّة مفتاح جديد للعلم والمعرفة نحو أفق شامل.

وسنحاول في هذا الفصل الإلمام بالإطار النّظريّ للدّراسات البينيّة من خلال تعريفها لغةً واصطلاحًا، وتبيان أهمّ اصطلاحات الدّراسات البينيّة استعمالا، والفرق بين البينيّة والتّباين، كما سنتطرّق إلى أسباب نشأتها وتطوّرها، وأنواعها، وأهميّتها، وأهمّ العراقيل الّتي تحول دون تطبيقها، والحلول المقترحة لتجاوز تلك العراقيل.

1. تعريف الدّراسات البينيّة لغة واصطلاحا:

أ. التّعريف اللّغوي:

---

[1]– الدّراسات البينيّة، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمان، الرياض، 2017، ص5

في اللّغة "تتكوّن كلمة **البينيّة interdisciplinary** من مقطعين أساسيين، مقطع **(inter)** وتعني **بين**، وكلمة **(disciplinary)** وتعني مجال دراسيّ معين "[1].

وإنّ "البين في كلام العرب جاء على وجهين: يكون البَيْنُ الفُرْقَةُ، ويكون الوَصْلَ، بَانَ يَبينُ بَيناً وبَيْنُونَةً، وهو من الأضدادِ، وشاهِدُ البَينِ الوَصْلِ قول الشّاعر:

لقد فَرَّق الوَاشونَ بيني وبينها فقَرَّت بذاكَ الوَصلِ عَينِي وعَينُهَا.

وقال قيس بن ذريح:

لَعَمرُكَ لولا البَيْنُ لا يُقْطَعُ الهَوَى ولولا الهَوَى ما حَنَّ للبَيْنِ آلِفُ.

فالبين هنا الوصل"[2].

ومن معانيها أيضا "قد تأتي بين (اسم)، أخذ مكاناً بين أمّه وأبيه: وسطهما، وتأتي ظرف مكان: جلس بين الأصدقاء، أو ظرف زمان: مابين يوم وليلة، وبين ظرف مبهم لا يستبين معناه إلاّ بإضافته إلى اثنين فصاعداً، كقوله تعالى:﴿ عوانٌ بينَ ذَلك ﴾ البقرة:68، وقد تُزاد عليها الألف فتصير بيناً. أمّا بينيّة اسم مؤنث منسوب إلى بين"[3].

أمّا المقطع الثاني **disciplinary** "مأخوذ من الفعل نظم ينظم نظما. نظم الأشياء: ألفها وضم بعضها إلى بعض. ومن ثم النّظام: يعني التّرتيب والاتّساق"[4].

ب. التّعريف الاصطلاحي:

إنّ العلم في تطوّرٍ مذهلٍ، وممّا ليس فيه شكّ هو أنّ كلّ فترة زمنيّة من الأزمنة السّابقة قد تميّزت بميزات خاصّة، وبرز فيها مجال من المجالات العلميّة بقوّة، لذا فلا ضير أن تكون هذه الفترة إذن مميّزة بمجال يساير متطلبات هذه الحقبة؛ فظهرت إلى الوجود الدّراسات البينيّة كمجال يبحث في تلاقي العلوم وتفاعلها وهذا نظرا لكثرة فروع العلوم وتخصّصاتها، خاصّة مع عجز هذه التّخصصات في تحقيق الهدف والمبتغى في الكثير من القضايا الشّائكة؛ أو على الأقلّ البحث في دوائر تلاقي العلوم هو الحلُّ الأمثل والملجأ الّذي يجب اعتماده للوصول إلى الكثير من الحلول النّاجعة للكثير من المُعضلات الّتي وقف التخصّص الواحد عاجزا أمام حلّها، **فالدّراسات البينيّة هي "منهج** يساهم في تبادل الخبرات البحثية والاستفادة من الخلفيات

---

[1]- المرجع نفسه، ص6.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ط. دار المعارف، ص403.

[3]- محمّد سيد بيومي، معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية – دراسة ميدانية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ص128.

[4]- المرجع نفسه، ص128.

الفكريّة والمناهج البحثيّة المختلفة بين الباحثين، وإدماجها في إطار مفاهيميّ ومنهجيّ شامل، يُساعد على توسيع إطار دراسة الظّواهر والمُشكلات، وتقديم فهم أفضل لها، الأمر الّذي يؤدّي في نهاية المطاف إلى الخروج بنتائج دقيقة وتقديم حلول نافعة قابلة للتّطبيق"[1]. إنّ الباحث في الدّراسات البينيّة مثله مثل النّحلة يطوف بين جميع العلوم الّتي هي كالأزهار من أجل أن يجد حلّا لمعضلة ما يكون هذا الحلّ كالعسل المصفّى سائغ شرابه مختلف ألوانه، يشفي صدور المتعطّشين للمعرفة؛ فاكّا لكربتهم وحسرتهم وضيقهم من هذه المعضلة، فالباحث البينيّ هو تماما كالنّحلة في طوافها ونشاطها وهي تنهل من من الحقول علوم شتّى متنوّعة وكثيرة مختلفة، وهو أيضا كالنّملة في نشاطها وعملها الدّؤوب لكن باحث البينيّة يتفوّق على نشاط النّملة في كونه لا يسلك طريقا واحدا، بل عليه ألّا يعود من الطّريق الّذي سلكه في الأوّل راجعا من تخصّص لم يكن يعلم بأنّه كان بحاجة إليه ولكن فرضه منهجه ليستفيد من جميع العلوم في حلّ المشكلات العاقلة.

وقد تطرّق بعض علماء الغرب إلى مفهوم البينيّة حيثُ "قد عرف كل من **julie** , **william** الدّراسات البينيّة بأنّها دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة العلميّة، التّطبيقيّة أو النّظريّة. أو هي عملية يتمّ من خلالها الإجابة على بعض الأسئلة أو حلّ بعض المشاكل أو معالجة موضوع متّسع، أو معقّد للغاية يصعب التّعامل معه بشكل كافٍ عن طريق نظام أو تخصّص واحد"[2].

وعرّفها ميشال نيساني على أنّها "عمليّة تفاعل وتبادل للمعارف بين تخصّصات مختلفة، وهو تبادل قد يُفضي إلى أن تتكامل التّخصّصات المتداخلة فتكون تخصّصا جديدا. والبينيّة هي تضايفٌ يحدُث بين مُكوّنين أو أكثر يكون كلّ مكوّن منها منتميا الى علم من العلوم أو تخصّص من التّخصّصات"[3].

كان للدّراست البينيّة نصيب وفير للكثير من العلوم و"لقد جرت المعارف البينيّة على علاقات اللّغة بعلوم الاجتماع والنّفس والحقوق والفلسفة وعلوم الدّين والتّاريخ والعلوم الفيزيائيّة وغيرها"[4]، حيثُ تتداخل العلوم فيما بينها. "ويكون التّداخل عادةً وفق منهجين: تداخل بينيّ

---

[1]- الدّراسات البينيّة، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، ص6.

[2]- محمّد سيد بيومي، معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية – دراسة ميدانية، ص128.

[3]- صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني : أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، ص15–16.

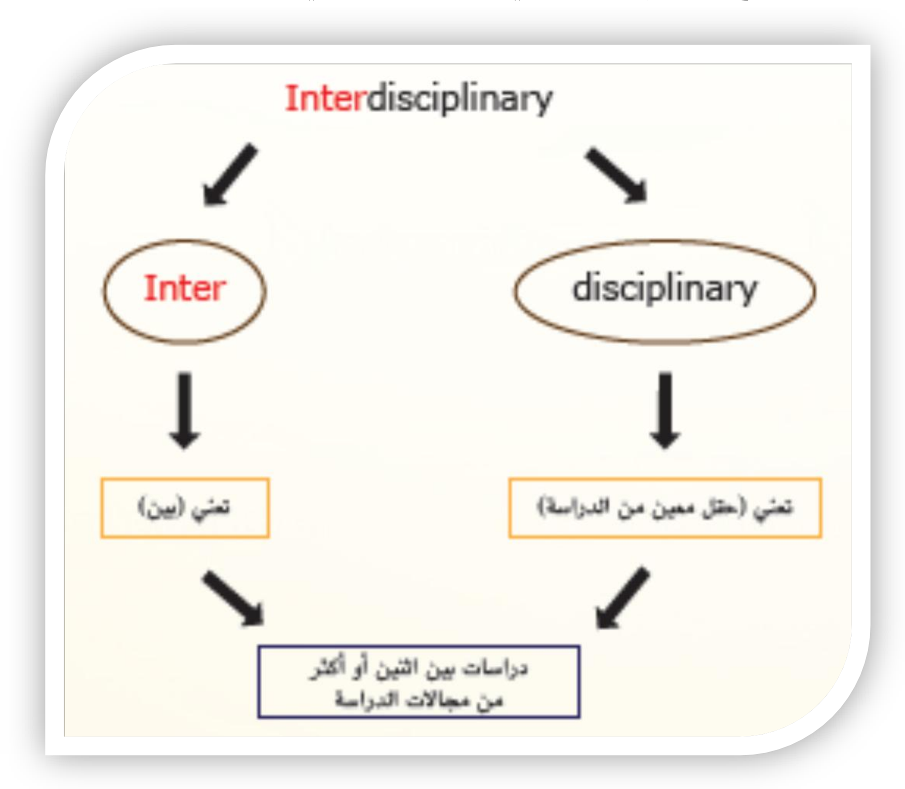
[4]- أحمد مداس، معالم في مناهج تحليل الخطاب، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ص53.

ضيّق، يكون بين الحقول المتقاربة كحقل العلوم (فيزياء، كيمياء، جيولوجيا..)، أو العلوم الاجتماعية (كعلم النّفس، علم الاجتماع، وعلم الإنسان...)، أو العلوم الإنسانيّة (الأدب، الفنون، التّاريخ والفلسفة). أو تداخل بينيّ واسع يكون أكثر تعقيدا، إذ تتداخل فيه اختصاصات لم يكن من السّهل تلاقيها قبل البينيّة"[1].

وذلك لأنّه "تسعى البينيّة إلى دمج المعارف وتحقيق التّكامل بما يُعطي إبداعا في التّفكير من حيثُ الجمع بين الطّبيعة النّصيّة الحاملة للمعرفة ومناهج تحصيلها، بعيدا عن المبالغة في رسم الحدود بين التّخصّصات، وعزل الذّات عن التّخصص الدّقيق"[2] .

وإنّ في الأخير "وبشكل عام اتّفقت آراءُ التّربويين حول تعريف التّخصّصات البينيّة بأنّها نوع من الحقول المعرفيّة الجديدة النّاشئة من تداخل عدّة حقول أكاديميّة تقليديّة أو مدرسة فكريّة تفرضُها طبيعة متطلّبات المهن المستحدثة "[3].

ويمكن توضيح مفهوم البينيّة في المخطّط التّالي:



المصدر: الدّراسات البينيّة، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، ص: 6.

---

[1]– نادية خميس ، الدراسات البينية: نحو استراتيجية بديلة في البحث العلمي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة 1، المجلد 14، العدد 2، 2021، ص246.

[2]– أحمد مداس، معالم في مناهج تحليل الخطاب، ص 50–51.

[3]– الدّراسات البينيّة، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، ص6

فالبينيّة ميدان تلتقي فيه العلوم لتبادل المعرفة واستفادة بعضها من بعض وهي جسر يعبُر عليه الباحث للانتقال فيما بين هذه العلوم، فالبينيّة هي عصارةُ تفاعلِ نتائجِ مختلفِ العلوم؛ وخاصّة في عصرنا هذا نظرا لكثرة التخصّصات والفروع وتشعّبها؛ فلابدّ من إعادة شمل هذه التّخصّصات لبلوغ نتائج جديدة حيثُ "إنّ سمة هذا العصر ألاّ ينعزل علم عن العلوم الأخرى أو أن يستعين بعونها وما وصلت إليه من نتائج"[1].

والدّراسات البينيّة موجودة في القديم بشكل أو بآخر، بشكل مباشر صريح أو غير مباشر وذلك "لأنّ تداخل المعارف ليس شيئا طارئا على فلسفة العلم ومناهجه، بل هو مُعطى تاريخيّ وواقعيّ اكتسب صورة جديدة في العلم الحديث مع استقلال العلوم وبروز التّخصّصات ثم بدا الارتباط من جديد في إطار تداخل على مستوى المفاهيم والمناهج والمضامين"[2]

ولكن مطلب الدّراسات البينيّة اليوم لقد أصبح أكثر إصرارا ودعوة من الماضي؛ ويعود هذا لتفرّع العلوم وتشعّبها وبُعد غورها في التّخصّص، فقد أضحت توجد تخصّصات لا حصر لها؛ والّتي لابدّ أن تلتقي وتشترك في كثير من النّقاط القابلة للتّفاعل والتّلاقح لتوليد معانٍ وأفكار إبداعيّة جماليّة جديدة "وفي ضوء حالات عديدة من تجارب العلوم المعاصرة، يُعتبر إدغار موران أنّ تاريخ العلوم ليس تاريخ المسار التخصُّصي فحسب؛ وإنّما هو تاريخ تغيّر الحدود التّخصّصية، وهجرة بعض المُشكلات والمفاهيم والمناهج من تخصُّص إلى آخر، وتشكّل تخصّصات هجينة وهو كذلك تاريخ تكتّل التّخصُّصات والتصاق بعضها ببعض"[3]

ممّا سبق التّطرّق إليه نجد أنّ البينيّة مجال معرفيّ يهتمّ بتلاقح العلوم وتفاعلها وهي في عهدنا هذا ضرورة لا مفرّ منها لمن أراد النّجاح والتّطوّر وابتكار أفكار وحلول جديدة لمختلف مشاكل الإنسانيّة، خاصّة وأنّ التّخصّص الواحد لم يعد يُجدي نفعا لوحده وأصبح عاجزا عن حلّ المُشكلات والكثير من المعضلات حتّى في التّخصّصات الّتي كانت تبدو يقينيّة ثابتة دقيقة لكنّها فشلت؛ فتجاوزت المنطق والعقل كمنطق متعدّد القيّم في الفيزياء وهي نتائج خارقة متجاوزة للعقل ممّا يضطرّ الفيزيائيّ إلى البحث في تخصّص آخر؛ عساه يجد حلّا لها وبالتّالي على الباحث أن يكون اليوم واسع الفكر غير محدّد النّظام أو المجال الّذي يبحث

---

[1] – محمّد محمود محمّدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، الرياض 1996، ط2، ص24.

[2] محمّد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصّص في الفكر الإسلاميّ العربيّ (دراسة في العلاقة بين العلوم) ط01، بيروت، لبنان، مركز نماء للبحوث والدّراسات، ص16

[3] – نورد الدّين بن خود، دليل الدّراسات البينيّة العربيّة في اللّغة والأدب والإنسانيّة، ص09.

فيه، وهذا كلّه يجبر أصحاب التخصّص الواحد الاستعانة بغيرهم من أهل التخصّصات الأخرى؛ ويجب أن يكون هذا في أقرب وقت ودون تردّد، ولذلك فالدّراسات البينيّة تحتاج اليوم وليس غدا لفتح ورشات العمل وإنشاء مؤسّسات خاصّة بجميع فروع التخصّصات وتحاورها لالتماس نتائج منطقيّة واقعيّة، كما يكشف الواقع أنّ أصحاب التّخصصات العديدة هم دائما أصحاب الإبداع والنّظرة الثّاقبة والعقل المنير والأفكار الحيّة وفي تراثنا أمثلة كثيرة عن ذلك كما أسلفتُ الحديث عن الجاحظ ولدينا كذلك العلاّمة صاحب المقدّمة ابن خلدون الموسوعيّ والّذي تمكّن من تفعيل ما بين العلوم الّتي هو محيطٌ بها والّذي ساعده على الإبداع والاختراع والابتكار "وهكذا فإنّ الفكر البينيّ هو المحرّك المعرفيّ الّذي مكّن ابن خلدون من اكتشاف علم الاجتماع الإنسانيّ أو علم العمران البشريّ"[1] ومن الاجتهادات الّتي حاولت ضبط مفهوم البينيّة نجد جهود المحلّلة النّفسيّة النمساويّة **ميلان كلاين** "وتحدّد كلاين البينيّة بأنّها مدخل يعبّر عن دمج تخصّصات متعدّدة في معالجة قضيّة ما يتعدّى مجالها نطاق تخصّص واحد، وذلك وفق معياري التّكامل والتّفاعل بما يؤدّي إلى تطوير المفاهيم والافتراضات النّظريّة والتّوصّل إلى نتائج معمّقة"[2].

ومن خلال ما أسلفنا ذكره في التّحليل ومحاولة الإحاطة بمفهوم الدّراسات البينيّة؛ يتّضح بأنّ الدّراسات البينيّة هي تخصّص علميّ معرفيّ غايته الجمع بين العلوم جميعا – وليس فقط بين نظامين بل كلّما كثرت المجالات والمعارف زاد عمق الدّراسات البينيّة وقيمتها وزادت معها قوّة الإبداع وجماليّتها وشموخها – عن طريق التّنسيق بين هذه المجالات للبحث عن النّقاط والمحاور الّتي تلتقي فيها هذه المعارف بهدف تفعيلها والعمل على تنشيطها وتحريرها إلى مجال مستقلّ؛ وأكثرُ حريّةً يُساعدها على التّطوّر والرّقيّ والاغتراف ممّا تباين عنها؛ وهذا استجابة لمتطلّبات التطوّر المذهل للعلوم، وإذا كان البشر بمختلف أشكالهم وألوانهم وألسنتهم وخصوصيّاتهم يريدون التقرّب من بعضهم تحت مسمّى العولمة الّتي اختصرت المسافات وأزالت الحدود بينهم وقلّصت الفجوات بين البشر، فهذا هو السّعي والهدف الّذي تصبو إليه الدّراسات البينيّة وتأمل على تحقيقه على أرض التّطبيق والواقع وتعمل على صنعه فعلا

[1] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص244.

[2] محمود جابر حسن الجلوي، بناء مناهج الدّراسات الاجتماعيّة بالمرحلة الابتدائيّة وفق مدخل الدّراسات البينيّة، مجلة الجمعيّة التّربويّة للدّراسات الاجتماعيّة،العدد 74، القاهرة،2020، ص28.

وعملا لتجاوز الحدود بين التخصّصات العلميّة. وإن كان البشر على الكرة الأرضية مختلفون في كلّ شيء؛ في ألسنتهم وألوانهم ومعيشتهم ودينهم وعاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم وحياتهم كلّها؛ إلّا أنّه لا بدّ لهم من أن يتعارفوا ويقتربوا من بعضهم وإن بدا ذلك مستحيلا وغير منطقيّ كما أراد لهم اللّه خالقهم كما جاء في الآية الكريمة ﴿ يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إنّ اكرمكم عند الله أتقاكم، إنّ الله لطيف خبير﴾ سورة الحُجُرات الآية: 13.

إلّا أنّه "وفي حالات كثيرة لا يحدث في أثناء مرحلة نشوء اتّجاه علميّ جديد تخصيص للاتّجاه الأصليّ فحسب، بل تتحقّق غالبا أشكال ترابط انتقاليّة متداخلة الاختصاصات أيضًا"[1]، و المتخصّص في الدّراسات البينيّة مثله مثل الّذي يذهب إلى السّوق إذ عليه أن يشتري ويأخذ من جميع ما في السّوق، وكلّ ما كان جمعه كثيرا كان قد حفل بطعام متنوّع جميل وجديد لذيذ، وكلّما قلّت المشتريات كان الأمر أكثر سوءا وأقلّ حظّا.

2. أهمّ اصطلاحات الدّراسات البينيّة استعمالا:

للدّراسات البينيّة مصطلحات عديدة؛ فهي لم تستقرّ بعد على مصطلح واحد نظرا لتعاور الكثير من المصطلحات حيثُ "من الطّبيعي أنّ كلّ علم في بداياته، وتطوّراته، وإرهاصاته الأولى، تكثر تسميّاته، بفعل عدم التّوحيد في الرّؤية بين الدّارسين"[2]، فلا غرابة إذن في كثرة تسميات الدراسات البينيّة وتعدّد مصطلحاتها. فالدّراسات البينيّة لا تزال تسير خبط عشواء؛ فرُغم الاجتهادات والمجهودات المبذولة مازالت تبحث عن هويتها وكنهها إذ مازال الدّارسون مختلفين في المصطلح الأفضل والمناسب لها أو تعريف دقيق يضع حدّا نهائيا لمفهومها كما باقي جميع العلوم الّتي تبحث عن ذاتها في جدّتها وحداثتها "وككل مصطلح جديد لم يتّفق الدّارسون بعد على تعريف مفهوم البينيّة وحدودها ومجالاتها، ولم تنتج دراساتهم ما يكفي من الأعمال الّتي تهتمّ بالمصطلح والّتي يمكن أن يطمئن إليها أهل التّخصص فيما يعرف اليوم بالعلوم البينيّة"[3] إذ يوجد من يطلق عليها اسم تداخل التخصّصات فمثلا نجد الدّكتور مضر خليل عمر الكيلاني يقول: "هناك مفهومان للدّراسات المتداخلة التّخصّصات"[4].

---

[1] تون أ. فان دايك، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، مدخل متداخل الاختصاصات 2001، ط01، دار القاهرة للكتاب،ص15.

[2]– خالد حوير الشمس، اللسانيات البينية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2022، ص19.

[3]– صالح بن الهادي رمضان، التفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص15.

4– مضر خليل عمر الكيلاني. العلم وتداخل التخصّصات فيه.

والدّارسون يختلفون في استعمال المصطلح إذ "تذهب روبرتا فرانك إلى أنّ مصطلح البينيّة قد نحت في فترة متقدّمة من القرن العشرين، ولكنّه سبق بمصطلح آخر قريب منه هو الإدماج (integration)"[1]. وقد نازع مصطلح البينة تسميّات أخرى، "بسبب عدم وضوح الحدود لهذا النّوع من الدّراسات، وكذلك تعدّد مناطق اشتغالها في العلوم كافّة سواء أكانت علميّة أم إنسانيّة، مع التّنويه بأنّ ذلك التّعدّد المصطلحي لا يغيّر من المنظومة العلميّة لهذه الرّؤية الجديدة، لأنّ الخلاف ليس جوهريًّا في تنازع هذه المصطلحات، بل جاء بفعل التّرجمة، فقد ورد في الفرنسيّة **interdiscipline** وهو عبارة عن مقطعين الأولى **inter** ويعني (بين) الدّال على التوسّط، والآخر **discipline** وترجمته (نظام) من نظم ينظم، وورد في الإنكليزية **interdisciplinary** وترجم إلى البين- ميدانيّة، والعبر -ميدانية، وتعدديّة الميادين" [2].

إنّ المنظومة الاصطلاحية للدّراسات البينيّة وردت في عدّة مفردات أهمّها: التخصّصية المتعدّدة (polidisciplinary/polidiscipline)، التخصّصيّة المتجاوزة (transdisciplinary/transdiscipline)، التخصّصية البينيّة (/interdisciplinary interdiscipline).

أمّا **التّخصّصيّة المتعددة** "يعتبرها **جان بياجي** المستوى الأوّل من التقاء الباحثين، وذلك حينما يقتضي حلّ مشكلة في مجال ما طلب مجموعة من المعلومات من علوم أخرى دون أن تؤدّي هذه الاستعارة إلى تغيير التّخصّصات المستعار منها أو إثرائها. فهو جمع أو تبادل للمعلومات دون تفاعل حقيقي"[3]. فالتخصّصية المتعدّدة هي معالجة موضوع مشترك من طرف باحثين آتين من ميادين مختلفة، ويحتفظ كلٌّ منهم لدى معالجته بخصوصيّة مفاهيمه ومناهجه وتخصّصه"[4]. فمصطلح **تعدّد التخصّصات** "يركّز على دراسة موضوع أو ظاهرة ما، وهذا يعني إسهام العديد من التّخصّصات البحثيّة في موضوع محدّد من منظور متخصّص، ومن

[1]- صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني: أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص33.

[2]- خالد حوير الشمس، اللسانيات البينية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2022، ص17-18.

[3]- نور الدين بنخود، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب واللسانيات، مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية، ص12.

[4]- كاظم جهاد حسن، في البينية : نشأتها ودلالتها، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد 25، الآداب 2، الرياض، 2013 ص243.

أمثلة ذلك إسهام علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد وعلماء النّفس في معالجة مشكلة البطالة"[1].

أمّا **التخصّصية المتجاوزة** يعتبرها **جان بياجي** "تهتمّ بوضع الرّوابط بين العلوم داخل نظام عام دون حدود ثابتة بين التّخصّصات، ويأمل أن تكون نظرية عامّة شاملة لمختلف الأنظمة والبنى وما تتضمّنه من تحديدات وإمكانات واحتمالات"[2]، أي أنّها تخترق العلوم دون الأخذ بالحسبان الحدود الّتي تفصل تلك العلوم.

أمّا مدار عمل **التخصّصية البينيّة** هو"الارتقاء من مجرّد الجمع وتنضيد الرّؤى البحثيّة المتنوّعة والتّعاون على كشف جوانب مختلفة من الموضوع نفسه، إلى التّفاعل الحقيقيّ والتّبادل الفعّال وتأثير التّخصّصات بعضها في بعض بل الاندماج أحيانا"[3]. أي أنّ البينيّة "تفترض الحوار وتبادل المعلومات والمعارف والإجراءات التّحليلية والمناهج بين متخصّصين آتين من ميادين عديدة لمعالجة مشكلة واحدة أو موضوع واحد"[4]. فالبينيّة تقوم على أساس "ألاّ يكون لتخصّص ما وجود فعليّ إلاّ بالتّقاطع بين تخصّصات مختلفة ، وأن تسعى التّخصّصات المختلفة إلى بناء معرفة واحدة من خلال تقاطعهما كالكيمياء الحيويّة أو اللّسانيّات الحاسوبيّة أو علم اللّغة الاجتماعيّ"[5].

ومن هنا "فمصطلح البينيّة يعتمد على تبنّي مفهوم التّكاملintegration، ويقصد به حرفيا **العمل معًا**، حيثُ إنّ التّكامل هو العمليّة الّتي يمكن من خلالها عمل التّآلف والتّرابط، والمزج بين البيانات والمعلومات والمناهج والأدوات والمفاهيم والنّظريات، من خلال فرعين أو أكثر من فروع المعرفة"[6].

ومن أجل توضيح أكثر لمصطلح البينيّة، سنعرض في المخطّط الآتي التّمييز بين مصطلح التّخصّصية المتعدّدة ومصطلح البينيّة:

---

[1]– هاني خميس أحمد عبده، البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة: تجارب عملية وخيارات مستقبلية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، عمان، ص159.

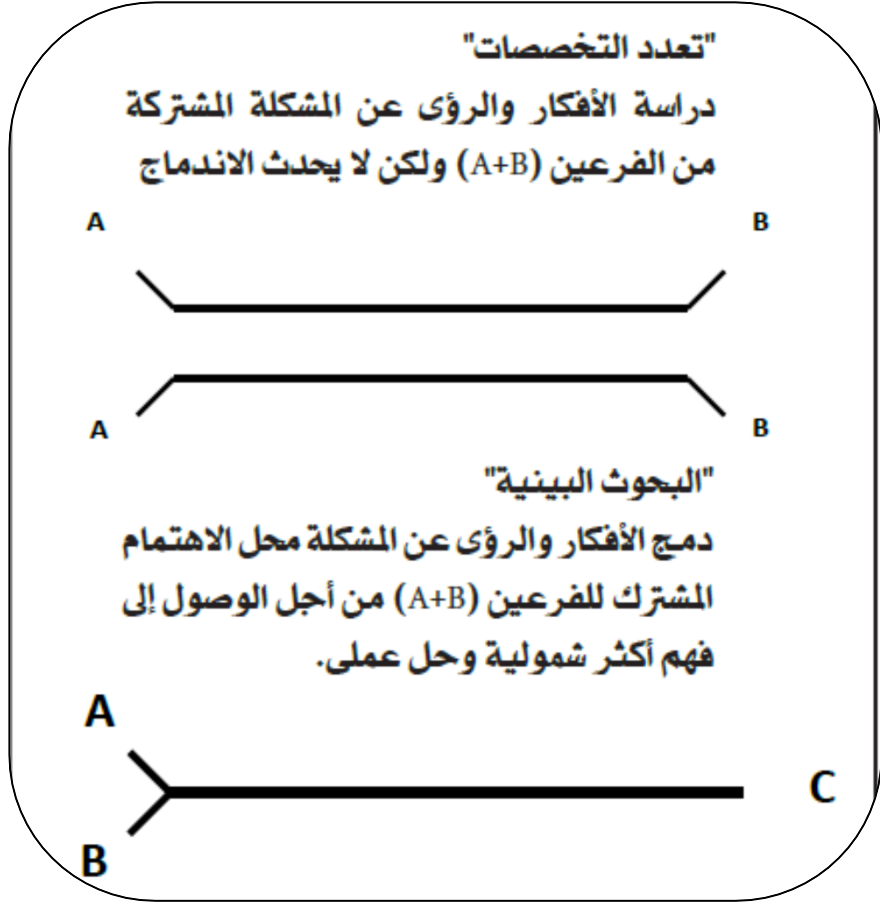
[2]– نور الدين بنخود، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب واللسانيات، ص13.

[3]– المرجع نفسه، ص12.

[4]– كاظم جهاد حسن، في البينيّة : نشأتها ودلالتها، ص243.

[5]– صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني : أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص14–15.

[6]– هاني خميس أحمد عبده، البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة: تجارب عملية وخيارات مستقبلية، ص159.



المصدر: هاني خميس أحمد عبده، البحوث البينيّة وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة، ص: 159.

وتشترك الدّراسات المتعدّدة التخصّصات والدّراسات البينيّة في الكثير من النّقاط خاصّة من حيثُ الهدف والغاية إذ "تتّفق كلٌّ من الدّراسات المتعدّدة التّخصّصات والدّراسات البينيّة في أنّ لديهم هدف مشترك هو أنّهم يسعون للتّغلب على أحاديّة التّخصّص ومع ذلك فإنّهم يسلكون طرقاً مختلفة، كما أنّ الدّراسات المتعدّدة التّخصّصات تُعنى بتحديد وجهات النّظر الانضباطيّة للعلوم، في حين أنّ الدّراسات البينيّة أكثر شموليّة من حيثُ اعتمادُها على النّظريّات والمفاهيم والأساليب المناسبة لحلّ المشاكل العلميّة، أو الانفتاح على طرق بديلة لتحقيق حلّ المشكلة"[1].

ويُعتبر المصطلح من أساسات العلوم ولبناتها؛ فالمصطلح هو عنوان المجال العلميّ "وعلى الرّغم من أنّ المصطلح ليس سوى لفظة أو عبارة تدلّ على مفهوم معرفي نظريّ أو عمليّ، وهذا يعني أنّ المصطلح مرحلة فكريّة ثانية يصل إليها الفكر بعد تكوُّن المفهوم" [2]، ر

---

[1]– إسلام عبد الله عبد الغني غانم، مستقبل الدراسات البينية في العلوم الإنسانية: علم الأنثروبولوجيا نموذجا، المؤتمر الدولي العلمي الثالث، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر، مارس 2016، ص543.

[2]– آمنة بلعلي، الدراسات البينية وإشكالية المصطلح العابر للتخصصات، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، المجلد2، العدد5، ابريل 2017، ص275.

في حين يرى الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسيّ (إدغار موران) أنّ الاختلاف بين الدّراسات البينيّة والدّراسات متعدّدة المناهل تتمثّل في "أنّ الدّراسات المتعدّدة التخصّصات تشير إلى وضع العلوم بجانب بعضها البعض لاثنين أو أكثر من التّخصّصات العلميّة وذلك لتقدير الاختلافات في وجهات النّظر التّعرف على طرقهم في مواجهة مشكلة ما، واكتشاف القواسم المشتركة دون محاولة الوصول إلى دمج هذه العلوم كما يفعل علم الدّراسات البينيّة"[1]

المصطلحات الأكثر استعمالا في الدّراسات البينّة (الكلمات المفتاح):

كلّ علم من العلوم يحوي في دائرته مجموعة من الإجراءات والأدوات الّتي يستعين بها عند العمل والاشتغال، والباحث البينيّ واحد من الّذين بحاجة ماسّة إلى بعض الأدوات في عمله ودراسته البينيّة، فهو يحتاج بقوّة إلى بعض المصطلحات ككلمات مفتاح لولوج الدّراسة والتّحليل ومن هذه المصطلحات الكلمات المفتاح **نذكر:**

- **التّفاعل والتّبادل والتّضايف:** إنّ مصطلح التّفاعل لفظ لا غنى عنه عند الكثير من الباحثين في الدّراسات البينيّة وقد استعمله **ميشال نيسابي** إذ قال في تعريفه للبينيّة" عمليّة تفاعل وتبادل للمعارف بين تخصّصات مختلفة" وواصل تعريفه فقال " هي تضايف يحدث بين مكوّنين أو أكثر "[2].
- **الرّبط أو التّرابط:** "ومدخل من المداخل المهمّة إلى تصنيف العلوم والمعارف وربطها بالفكر العلميّ"[3] "التّرابط النّصّيّ مفهوم من المفاهيم المتولّدة عن التّفاعل البينيّ بين اللّسانيّات الحاسوبيّة وسائر قطاعات المعرفة"[4]
- **التّقاطع:** "ويمكن أن نقف على أهمّ المجالات الّتي تقاطعت فيها اللّغة العربيّة وعلم الحاسوب بالاطّلاع على النّدوة الهامّة الّتي أنجزها مختبر المعالجة الآلية بكلّية الآداب والفنون والإنسانيّات بجامعة بنوبة سنة 2002 وحدّد فيه آفاق البحث البينيّ ومجالات التّقاطع بين العلوم العربيّة وتكنولوجيات الاتّصال والمعلوماتيّة"[5]

---

[1]محمّد بدير ، المجال المعرفيّ البينتيّ في الدّراسات النقديّة المسرحيّة، نحو مدى ارتباط البينيّة بمسلّمة القدّيس توماس الأكويني، أعمال الملتقى الدوّلي الافتراضي التّاسع لتحليل الخطاب " الدّراسات البينيّة في اللّغة والأدب والنّقد" ماهيتها وطبيعتها ومصادرها، 15، 16 2022، إشراف وتنسيق الدكتورة هنية عريف،ص 92.

[2] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني: أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص15.

[3] المصدر نفسه، ص15.

[4] المصدر نفسه، ص103.

[5] المرجع نفسه، ص103.

- **التّناظميّة:** "يحيل مفهم التّناظميّة في المستوى الابستيمولوجي إلى التّعاون بين التّخصّصات المختلفة تسهم في إنجاز مشترك"[1].
- **التّآلف:** " وبالبحث عن طبيعة التّآلف البينيّ الذّي تحقّقه المجالات المعرفيّة وفق هذا المنهاج التّنظيميّ"[2].
- **التّداخل:** " رفعت اللّسانيات لواء هذا التّداخل عندما انفتحت على العلوم الأخرى لإعطاء تفسير مغاير[3]".
- **التّكامل:** "فمصطلح البينيّة يعتمد على تبنّي مفهوم التّكاملintegration، ويقصد به حرفيا **العمل معًا**"[4]
- **الدّمج والتّنسيق:** " تقوم الدّراسات البينيّة على دمج منظورات ومساهمات عدّة مركّبات".
- **تمازج الاختصاص:** " فأمّا تمازج الاختصاص فإنّه يُعدّ أُسّاً من أسس البحث الحديث"[5]
- **الوجاه:** "يعتبر مفهوم الوجاه (interface) في النّظريّة اللّسانيّة على الخصوص، وفي الحقل العلميّ على العموم مفهوما نظريّاً وإجرائيّا مركزيّاً في مجال الدّراسات البينيّة"[6].
- **التّحاور:** " تأخذ بالاعتبار مسار التحاور بين التّخصّصات من خلال الأشكال الخطابيّة المختلفة"[7]
- **التّأثير والتّأثّر:** "مجالا مهمّا من مجالات البحث عن التّأثير والتّأثّر"[8]
- **التّقاسم:**" فقد تقاسمت اللّسانيّات والأسلوبيّة وجوه الاستفادة من العلوم الإحصائيّة"[9]

[1] محمّد بن سعود الآفاق المعرفية والرهانات المجتمعية ، اللغة العربية والدّراسات البينيّة، مؤتمر دوليّ، ص103.

[2] المرجع نفسه، ص103.

[3] آمنة بلعلي، الدراسات البينية وإشكالية المصطلح العابر للتخصصات، مجلة سياقات، 2017/04/30، ص270.

[4] هاني خميس أحمد عبده، البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة: تجارب عملية وخيارات مستقبلية، ص: 159.

[5] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني : أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص252.

[6] الآفاق المعرفية والرهانات المجتمعية ، اللغة العربية والدّراسات البينيّة، مؤتمر دوليّ، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، ص24.

[7] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البيني : أسسه النظرية وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص 121.

[8] المصدر نفسه، ص127.

[9] المصدر نفسه، ص129.

وهذه الكلمات المفتاح الّتي يجب أن تكون بين يدي الباحث البينيّ ليعتمدها وتساعده في بحثه وهي غير كافية وإنّما توجد مصطلحات أخرى كثيرة يمكنه الاستعانة بها وتطرّقت إلى هذه المصطلحات على سبيل المثال فقط لا الحصر نظرا لقوّة تعاورها في هذا المنهج الواسع الجميل والفعّال.

3. البينيّة والتّباين:

عند حديثنا عن الدّراسات البينيّة وبموجب أن ندرك أنّها مجال معرفيّ يبحث في تلاقي العلوم باختلافها وتفاعلها مع بعض، يتبادر إلى ذهننا بالضّرورة ما يقابل مصطلح البينيّة ألا وهو مصطلح التّباين، التّباين في تخصّصات العلوم، والتّباين في الثقافات والحضارات. فالبينيّة تهتمّ بالتقاء العلوم والحضارات، والعلوم تتميّز بالتّباين والاختلاف، ومن أجل تِبيان علاقة التّباين بالبينيّة ومساهمتهما في تلاقح المعارف؛ سنحاول الإجابة على التّساؤل الآتي: ما مكانة التّباين في الدّراسات البينية ؟ وما هو دور التّباين في تحقيق هدف الدّراسات البينية؟

نعيش اليوم عصر العولمة الّتي تعمل على تقريب كلّ ما هو متباعد من المجتمعات، وتجتهد لتجعل من الأمم أمّةً واحدة تتّحد في كلّ شيء، وليس لها الحقّ في مخالفة الآخرين، وكلّ مجتمع تخلّف عن ركوب هذا الفكر سيعود الضّرر عليه أوّلا وآخرا وذلك لأنّه "لا يمكن لأمّة أن تتقدّم وتُشبع حاجيّاتها الثّقافيّة وتجاربها المعيشيّة بمعزل عن التّراكم المعرفي الّذي يتمتّع به تاريخ الإنسانيّة"[1]. وإنّ ذلك لا يتحقّق إلاّ من خلال التّفكير البينيّ، "فهو فكر مؤمن بأنّ تطوّر الثّقافات والحضارات لا يتمّ إلاّ بالتّلاقح بين التّجارب والمعارف، لذلك تزدهر في جميع الحضارات المتوثّبة للنّهوض حركة التّرجمة عن الثّقافات السّابقة"[2].

إنّ الدّراسات البينيّة في أصلها لا تُقصي العلوم المتباينة؛ بل تعمل على نقيض ذلك من خلال تعزيز هذه الاختلافات والتّخصّصات وتباينها. إذ لا بينيّة بلا تباين.

إنّ الّذي تبحثُ فيه البينيّةُ هو نُقطةُ تلاقي العلوم المتباينة وزيّادة تفاعلها وتلاقحها مع بعض، وإلزاميّتها على الجُلوس على طاولة واحدة لتبادل المعرفة والخبرات، وبالتّالي ظهور نتائج جديدة ذات أهمّيّة أكبر وفائدة أعظم من خلال بروز أفكار جديدة؛ فالتّفكير البينيّ يقوم على مبدإ أساسه "أنّ هناك التقاء متواصل بين المجالات العلميّة دون أن يُقلّل ذلك من تفرُّد

---

[1] المصدر نفسه، ص240.

[2] المرجع نفسه.ص240.

كلّ منها في خصوصيّتها كمجال متميّز من مجالات المعرفة"[1]. فالتّباين بين العلوم موجود بالضّرورة ولا مناص منه، ولكن لا بدّ من استفادة هذه العلوم من بعضها البعض، حيثُ تهتمّ البينيّة بجمع العلوم المختلفة التّخصّصات؛ وتفعيل ما تقاطعت فيه، إذ تعتمد بالضّرورة على وجود مجالين معرفيين مختلفين أو مجالات معرفية مختلفة. "فالفكر البينيّ هو فكر غيريّ بالضّرورة"[2].

فلا يمكن الحديث عن البينيّة إلّا بوجود التّباين، والتّباين ليس بمعنى أنّ المجالين المعرفيين مختلفين في خصوصيّات ومشتركين في أخرى؛ بل حتّى وإن كان التّباين لا يُظهر أيّ تقارب بين المجالين الموجّهين للدّراسة والبحث؛ كأن يكون بين العلوم الإنسانيّة والعلوم الصّرفة من ريّاضيات وفيزياء وكيمياء وغيرها، وحين تبحث البينيّة في نظامين مفترقين فهي: تُكثّف من جهودها لتجد نقاط الاشتراك والتّلاقي بينهما مهما بدا أنّهما لا يلتقيان لشدّة تباينهما ولهذا "نفهم من **قول دولاكرو** أنّ البينيّة تقوم على التّباين في الفكر؛ وهذا التّباينُ هو جوهرُ المشروع الّذي ارتبط بهؤلاء المفكّرين؛ فتكون البينيّة بذلك؛ ليس مجرّدَ تجميعٍ لمختلفٍ؛ بل توليفةٌ تتعاون وتتضافر من أجل تقديم توصيف علميّ للظّواهر أقرب إلى الصّحّة ومن ثمّ فالبينيّة ظاهرة معرفيّة؛ أي موضوع ومنهج في الوقت ذاته...وإنّ هذا التّلاقح الفكريّ هو الّذي هيّأ للدّراسات البينيّة اتّساع أُفقها"[3].

فعمل البينيّة هو: "تقوم الدّراسات البينيّة على دمج منظورات ومساهمات عدّة مركّبات معرفيّة، وإحداث تكامل واتّساق بين الأفكار والأساليب الّتي يستخدمها كلّ مركّب معرفيّ في عمليّات المعالجة عند الإجابة عن سؤال أو حلّ مشكلة مركّبة أو الدّراسة المتعمّقة لموضوع حيثُ يُسقط الحواجز بينها، بهدف تحقيق هدفا أكثر شمولا أو الارتقاء بالمعرفة، وفي ذات الوقت يحتفظ كلّ مركّب معرفيّ بخصوصيّاته"[4].

كما تبحث البينيّة في جميع العلوم دون استثناء حتّى الّتي تبدو متباعدةً ولا تلتقي في أيّ نقطة من النّقاط؛ فهي تعمل على تفعيل وتقريب المختلفين المتباينين حتّى يلتقيا وكما تعمل أيضا على توليد أفكار جديدة منهما؛ فالدّراسات البينيّة لا تتوقّف فقط عند الظّاهر البينيّة

---

[1] المرجع نفسه، ص204.

[2] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص240 .

[3] آمنة بلعلي، الدراسات البينية وإشكالية المصطلح العابر للتخصصات، مجلة سياقات، 2017/04/30، ص271.

[4] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص273.

والواضح التّلاقي بين العلوم؛ بل تعتمد التّباين جوهر البينيّة ولذلك قال أبو شمر: " إذا كان لا يتوصّل إلى ما يحتاج إليه إلّا بما لا يحتاج إليه فقد صار ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه"[1].

لم يعد يوجد جدوى ولا طائل من تشعّب التخصّصات وبُعد عمقها ما لم تتّحد وتُمزج لإيجاد حلول جديدة للعديد من المعضلات والمشاكل الإنسانية أو ابتكار تنتفع به الإنسانيّة؛ ولا يتأتّى هذا إلّا بالاشتراك والتّقارب وتضايف العلوم وتفاعلها خاصّة في العصر المعاصر؛ عصر التخصّصيّة بامتياز والتفرّع الدّقيق "العلم المعاصر يسمح بالتقارب غير المرتقب بين العلوم ويسمح في التّعايش بين مجموعة العلوم الكثيرة والمتنوّعة، ويقبل إعادة التّنظيم والتّنسيق المستمر بين فروعه المختلفة"[2].

فلم يعد يوجد أيّ مجال من مجالات العلم والمعرفة جميعا، لم يعد يوجد مجال أو تخصّص له الاستقلاليّة التّامة والمطلقة عن باقي فروع العلوم الأخرى وتخصّصاتها، حيثُ الذّكاء الفعليّ للتخصّص اليوم هو ذلك التّخصّص الّذي ينهل من باقي العلوم بنهم وشراهة ولا خجل في ذلك ولا تكبّر، ممّا يساعده على الإبداع والاختراع، وليس يبقى التخصُّص منطويّا على نفسه، لذلك بدأ تغيّر المفاهيم للكثير من العلوم وأصبح الأدب والشّعر مثلا "والأدب الحقيقي هو تلك الأشكال التّواصليّة الّتي تسعى للالتقاء بالآخر، إذ لا يمكن لنصّ أدبيّ أو للوحة فنّيّة أو مسرحيّة أو نحوها من أشكال الإبداع أن تحيا إذا لم يكن ذا طابع بينيّ أو حمل تجربة غيريّة...ويرى آخرون أنّ الشّعر هو مواجهة لغويّة أو فضاء مشترك مع الآخر"[3].

4. أنـواع الـبينـيّة:

إنّ كثرة التّخصّصات وتعدّدها، والكمّ الهائل من المعرفة الّتي تعرفها الإنسانيّة حاليا يُوجِب علينا تحديد المجالات والحقول الّتي يمكنها تحقيق التّكامل بينها؛ والّذي يعتبر المبدأ الأساسي للدّراسات البينيّة، وهذا يقودنا إلى الخوض في أنواع الدّراسات البينيّة من خلال تحديد مجالات تطبيقها حتّى تحقّق هدفها المنشود وتجني ثمارها. ويجب التّذكير بأنّ ذلك ليس من السّهل تحقيقه، فتداخل المعارف محفوف بالكثير من المخاطر، "لأنّ هذا التّداخل في عمقه هو حديث على أرض متحرّكة، بل متوتّرة، هي خطوط التماس الفاصلة بين التّخصّصات المعرفيّة، فليس سهلا إذن، تأسيس بناء معرفيّ على أرض غير ثابتة كما أنّها غير متجانسة

---

[1] المصدر نفسه، ص252.

[2] المصدر نفسه، ص206.

[3] الآفاق المعرفية والرهانات المجتمعية ، اللغة العربية والدّراسات البينيّة، مؤتمر دوليّ، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، ص 208.

المكوّنات"[1]، "ولأنّ التّكامل ليس وصفة جاهزة، فإنّه كان لزاما أن تكون هناك معايير واضحة تضمن وجود التكامل بالصورة الّتي تجعله يحقق غايته، وهي فهم الظّاهرة الاجتماعيّة فهما صحيحا، ومن هنا كان النّموذج المعياري للدّراسات البينيّة على معايير تضمن وجود تكامل حقيقي بين الموضوعات محل البحث، وتحدّدت هذه المعايير في خمسة: التّوازن، الربط، الأصالة، المرجعية، المتلقي"[2]. وقد ذكر محمّد همام (2017) بأنّ تداخل المعارف وتكاملها يستلزم مجموعة من المعايير، تتمثّل في:" **المرونة والخصوية والتنبؤ والشّموليّة والاتّساق والبساطة.**

أ. **المرونة**: في ربط التّداخلات بين المعارف، وربط المبادئ بالنّتائج في إطار منطق مرن، يستطيع استنتاج العلاقة الّتي تجمع بين ما يسمى بالمتغيّرات المستقلّة والمتغيّرات التّابعة.

ب. **والخصوية**: بالوقوف على الثّراء المعرفي الّذي يحصل بتداخل المعارف.

ج. **والتّنبّؤ**: برسم معالم أولية لمعرفية (ابستمولوجيا) مستقبليّة لتداخل المعارف، تعوّض الأفاق التّخصّصيّة الضّيّقة.

د. **والشّموليّة**: باستيعاب المعرفة في كلّيتها، **والاتّساق**: بضخّ المعطيات بحسب الحاجة في تدرج وانسجام وتكامل.

هـ. **والبساطة**: بالابتعاد عن الأسلوب الملغّز، والتّعبير الغامض، والاستدلال المخل"[3].

ولمّا كان هذا الكمّ الهائل من المعارف في المجالات الفكريّة المختلفة أصبح من الضّروري الأخذ بهذه المعايير من أجل ضمان تحقيق التّكامل بينها الّذي هو غاية الدّراسات البينيّة، وغيّابها وفقدانها قد يكون عائقا في تحقيق تلك الغاية، وبالتّالي يفقد منهج الدّراسات البينيّة قيمته في البحث العلميّ.

[1]– محمّد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2017، ص17.

[2]– لطيفة الكعبي، نموذج معياري للمقررات البينية– دراسة تهدف إلى ضبط الجانب المفاهيمي والمعياري للمقررات البينية في التعليم الجامعي، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر، ص4.

[3]– محمّد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي:دراسة في العلاقات بين العلوم، ص18.

والأخذ بالمعايير يقودنا إلى تحديد العلوم الّتي تستجيب لتلك المعايير، وبمعنى آخر تحديد مجالات تطبيق الدّراسات البينيّة. وعلى ذلك الأساس يمكن تحديد **أنواع البينيّة** حسب المجال المختصّ بدراسته كالأتي:

☜ **في مجال الفنون:** ربطت الدراسات البينية في مجال الفنون الموسيقى والمسرح والتصميم والفنون البصرية [1].

☜ **في مجال العلوم الاجتماعيّة:** جمعت الدّراسات البينيّة بين الأنثروبولوجيا والدّراسات السيّاسيّة، كما جمعت بين علم الاجتماع وعلم النفس[2].

☜ **في مجال التّعليم:** جمعت الدّراسات البينيّة بين التّعليم والتّربية والعلوم الإنسانيّة[3]

☜ **في مجال الصحّة:** جمعت الدّراسات البينيّة بين علم اضطرابات التّواصل وإدارة الرعاية الصّحيّة والمعلوماتيّة[4].

☜ **العلوم الإنسانيّة:** تجمع الدّراسات البينيّة بين الشّرقيّ أوسطيّ، أو الأسيويّ، أو الأفريقيّ، وبين دراسة المرأة والدّراسات الدينيّة والفلسفيّة والتاريخيّة[5].

☜ **العلوم الفيزيائيّة:** جمعت بين علم الفلك والكيمياء والفيزياء. وفي علم الأحياء: جمعت الدّراسات البينيّة بين الأحياء والعلوم الطّبيّة الحيويّة [6].

وغيرها من المجالات الّتي جمعت فيها الدّراسات البينيّة الكثير من العلوم.

وقد صنّف سيّد بيوميّ- أستاذ بجامعة عين الشّمس- البحوث البينيّة حسب مصدر تمويلها إلى **نوعين** "**الأوّل:** مشروعات بحثيّة رسميّة تفرضها حاجة المجتمع ومشكلاته، وتقوم بها مؤسّسات الدّولة البحثيّة، أو مشروعات بحثيّة خاصّة بالتّنمية وهي الأكثر عدداً تقوم بها نفس المؤسّسات البحثية ويتمّ تنفيذها عن طريق فريق بحثي من كافة التّخصّصات العلميّة الطبيعيّة والاجتماعيّة والإنسانيّة، ويتم اختيار الفريق البحثي بتكليف من الدّولة، أو بالعلاقات الاجتماعيّة، ومنها المشروعات البحثيّة الموجّهة للرّأي العام..إلخ. أمّا **النّوع الثّاني:** فهي

---

[1]- إسلام عبد الله عبد الغني غانم، مستقبل الدراسات البينية في العلوم الإنسانية، ص554.

[2]- المرجع السابق، ص554.

[3]-المرجع نفسه، ص544.

[4]- المرجع نفسه ، ص544

[5]- المرجع نفسه، ص544.

[6]- المرجع نفسه، ص544.

مشروعات غير رسميّة مموّلة من الهيئات الدّوليّة مثل اليونسكو والأمم المتّحدة ومنظّمات حقوق الإنسان...إلخ"[1].

كما حدّد الكثير من الباحثين في مجالات البحوث البينيّة نمطين من المعرفة: "الأوّل هو المعروف المألوف الّذي يتّصف بأنّ المعرفة فيه ترَاتبيّة، متجانسة، وأنّها نتيجة عمل حقل معرفي محدّد. أمّا النّوع الثّاني فهو المعرفة الّتي تحتاج إلى إعادة تشكيل وتَبيِئَةٍ سياقيّة، تتّصف المعرفة فيها بالتّعقيد، والتّركيب وعدم التّجانس، وتجاوز التّخصّصات"[2].

ورغم ذلك "ومازالت مجالات الدّراسات آخذة في الاتّساع خاصّة أنّها أحد الأفكار الّتي تربط بين مرحلة التعليم وبين سوق العمل، ومن الأمثلة الدالة على ذلك هذا التّوسّع الكمّيّ زيّادة عدد الجامعات والمراكز البحثية الّتي تدرس الدّراسات البينيةّ كفرع مستقلّ من العلوم"[3].

5. أسباب نشأة الدّراست البينيّة:

ممّا ليس فيك شكّ هو أنّه كلّ شيء ظهر إلى الوجود؛ بكلّ تأكيدٍ لم يأت من فراغ؛ فلا بدّ أنّ له نقطة بداية وإرهاصات وبواعث دفعت به إلى الظّهور، ولعلّ الدّراسات البينيّة من الأمور الّتي دفع بها أمرٌ حتميٌّ إلى البروز وقد "دخلت البينيّة عن طريق البنيويّة التّكوينيّة بوصفها علامة فارقة للمعالجة الاجتماعيّة وهو ما يهتمّ به النّقد البيئيّ في الوقوف عند المنجز الإبداعيّ وقيّاس رجاحته بعيون المجتمع من حيثُ التّأثّر والتّأثير"[4] ومن هذه الدّوافع والأسباب نذكر:

عجز التّخصّص الواحد في إيجاد حلول مناسبة للعديد من المُعضِلات الإنسانيّة ولم يعد بإمكانه الفصل فيها أو توضيحها.

وكما "ترجع الملامح الفكريّة للدّراسات البينيّة إلى عصر الفلاسفة اليونانيين القدماء الّذين تميّزوا بنظريّاتهم الفلسفيّة المعروفة كالمثاليّة والواقعيّة، إذ كانت المعرفة لديهم تنطلق من فكرة وحدة المعرفة وشموليّتها، الّتي تنبع من اجتهادات الفلاسفة وتأمّلاتهم الفكريّة الّتي تجتمع

---

[1]– محمّد سيد بيومي، معوّقات تفعيل الدّراسات البينيّة في العلوم الاجتماعيّة – دراسة ميدانيّة، ص127.

[2]– فتحي حسن ملكاوي، مقالات في إسلامية المعرفة، ص156.

[3]– إسلام عبد الله عبد الغني غانم، مستقبل الدراسات البينية في العلوم الإنسانية، ص555.

[4] أسامة حسين شاهين، مجلة العلامة، النّقد البيئي والدّراسات البينيّة، قسم اللغة العربيّة، كلية التّربية الأساسية، جامعة المثنى (العراق)، تاريخ النشر: 2022/05/15.

أحيانا في نقاط معيّنة وتختلف في نقاط أخرى، كما كانت الفلسفةُ في حينها مُرادفة لمفهوم العلم بمفهومه الواسع في عصرنا هذا"[1].

ومع ازدهار المجتمعات ومن أجل مواكبة عصر العولمة برز في مجال المعرفة تخصّصات في مجالات متعدّدة، الاجتماعيّة، الاقتصاديّة ، السياسيّة.....الخ، حيثُ "ظهر التّنظيم التّخصّصي للمعرفة في القرن التّاسع عشر مع افتتاح الجامعات الحديثة، ثم تطوّر مع تقدّم البحث العلميّ في القرن العشرين"[2].

والعلوم في طبيعتها إنّها سليلة بعضها البعض "ولهذا فرضت الظّروف الاجتماعية والاقتصاديّة والثّقافيّة والسياسيّة الّتي مرّ بها الإنسانُ سعيًا لتحسين حياته المعيشيّة إلى تطوّر العلوم والمعارف والتّخصّصات، فمن العلوم الاجتماعيّة تفرّعت عنها فروع الاقتصاد والاجتماع وعلم النّفس والأنثروبولوجيا والعلوم السياسيّة ثمّ التّربيّة، ومن تحت عباءة الفيزياء خرجت الكيمياء والرّياضيّات التّطبيقيّة، وكلّ نظام تخصّصي كان يجعل في داخله هدفه الّذي دفعه إلى التّخصّص باطّراد"[3]. وهذا ما أدّى إلى ظهور أعلام يهتمّون و يبحثون في تلك المعارف الجديدة "حيثُ برز أعلام في مختلف الحواضر قد جمعوا بين المعرفة بالفلسفة والمنطق والعلوم اللّغويّة والأدبيّة والدّينيّة والفلك والرّياضيّات والطّب وعلوم الطّبيعة وغيرها، وأنتجوا رسائل وكُتبا علميّة في تلك المجالات المتنوّعة مع بروزهم وشهرتهم في هذا المجال أو ذاك، أو مع اهتمامهم بعلم أكثر من غيره، والأمثلة كثيرة، نكتفي منها بذكر الخوارزميّ والرّازيّ وجابر ابن حيان وابن سينا و ابن الهيثم والبيرونيّ وابن طفيل وابن رشد"[4]. وهذا ما عُبِّرَ عنه بمصطلح **الموسوعيّة**، بحيثُ يهتمّ الباحث بالبحث في عدّة معارف وتخصّصات كما ذكرنا آنفا. ومع تراكم المعارف واتّساعها وتعمّقها، "كما أن تطوّر العلم والتّكنولوجيا قد أدّى إلى ظهور فروع علميّة جديدة، وكلّما ظهر فرعٌ علميٌّ جديدٌ سرعان ما تحوّل إلى تخصّصٍ

---

[1]– رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، المجلة التربوية، كلية التربية، جامعة سوهاج، عدد يناير، ج1، 2021، ص27.

[2]– رانيا عبد المعز الجمال، الدراسات البينية وبعض التجارب العلمية، المؤتمر الدولي" اللغة العربية والدراسات البينية–الأفاق المعرفية والرهانات المجتمعية"، الرياض، المجلد الأول 2018، ص1015.

[3]– رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، ص28.

[4]– نور الدين بنخود، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب واللسانيات، ص5.

جديد"[1]، بدأت بوادر التّفكير في التّخصّص في مجال معرفيّ واحد، من أجل التّعمّق فيه والبحث عن مناهجه و تطبيق نتائجه في الجامعات والمؤسّسات التّربويّة، وهذا ما أطلق عليه مصطلح **التّخصّص.** حيثُ "تَراجَع الفكر الموسوعيّ لحساب التّخصّصات الّتي ارتبطت بنشأة العلوم المختلفة"[2]. وبين الموسوعيّة والتّخصصيّة يقول **محمّد حسن عصفور(2013):** "إنّنا نجد أنفسنا أمام مُفارقة يصعب التّخلّص منها، وهي أنّ الإحاطة بالموسوعيّة بمعناها القديم لم تعد ممكنة، وإنّ التّخصّص بمعناه الضّيّق يضع المتخصّص في دائرة مغلقة بحيثُ لا يرى الدّوائر الأخرى الّتي تحيط به ولا يكترث لها رغم أنّها تؤثّر في صميم عمله"[3]. فهو يرى بأنّ الموسوعيّة والتّخصّصيّة لم يعودا قادرين على حلّ المشاكل الّتي تواجهنا في العصر الحالي؛ ويدعو إلى إيجاد منهج جديد قد يربط بينهما ويحقق التّكامل فيما بينها؛ بحيثُ تكون له القدرة على إيجاد الحلول للكثير من المشاكل والمسائل المطروحة وتفسير الظّواهر الاجتماعيّة والاقتصادية والإنسانيّة.

كان منذ مدّة زمنيّة غير قصيرة اعتماد التّخصّص الواحد سيّد الموقف "ولا ريب في أنّ النّزعة التّخصّصيّة الّتي ميّزت مسار العلوم في القرنيين الأخيرين خاصّة، قد كانت لها فوائد ونتائج مثمرة لا تكاد تحصى في اكتشاف ما لم يكشف من الطّبيعة والإنسان وتطوير حياة البشر في مختلف مجالاتها"[4]، ومع تعدّد التخصّصات "أثبت التّاريخُ وجود مفاهيم ومناهج ونظريّات عابرة للتّخصصات، أي أنّه يمكن توظيفها في أكثر من تخصّص، وإن كان تخصّصٌ معيّنٌ هو الّذي أفرزها"[5]، ومعنى ذلك أنّه يمكن لبعض التّخصّصات أن تلتقي وتشترك في عدّة مفاهيم، أي بروز نقاط مشتركة تتقاطع فيها التّخصّصات. وهنا بدأ الاهتمام بتحقيق التّكامل بين الاختصاصات الّتي تلتقي في مفاهيم مشتركة ودمج المعارف للحصول على نتائج جديدة قد تكون حلولا لمشاكل مطروحة، فبرزت في الحقول المعرفيّة بحوث تهتمّ بذلك وهي ما أُطلق عليه **الدّراسات البينيّة.** فبعد الموسوعيّة والتخصصيّة تأتي البينيّة لتجمع بينهما من أجل تحقيق التّكامل المعرفيّ. ورغم أنّ هذا العلم يبدو حديث الولادة، إلاّ أنّ **جولي**

---

[1]– رانيا عبد المعز الجمال، الدراسات البينية وبعض التجارب العلمية،ص1015.

[2]– آمنة بلعلي، الدراسات البينية وإشكالية المصطلح العابر للتخصصات، ص269.

[3]– محمّد حسن عصفور، الدراسات البينية والتخصصية في العلوم الإنسانية، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المجلد 25، العدد2، 2013، ص232.

[4]– نور الدين بنخود، دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب واللسانيات، ص7.

[5]– رانيا عبد المعز الجمال، الدراسات البينية وبعض التجارب العلمية،ص1015.

كلين وهي تتحدّث عن التّعدديّة في التّخصّصات أشارت بغير ذلك حيثُ قالت:" أنّ الفلاسفة الأقدمين (مثل أفلاطون، وأرسطو، ومن بعدهما إيمانويل كانت، وجورج هيجل) كانوا يعدّون مفكّري التّخصّصات البينيّة، حتّى لو كان المصطلح من إفرازات القرن العشرين"[1].

ومن **الأسباب والعوامل** الّتي ساهمت في تطوير وازدهار التّفكير البينيّ في المجال المعرفيّ ما يلي:

☜ المخاطر الاقتصاديّة والصحيّة والبيئيّة الّتي تواجه المجتمعات الإنسانيّة، وأصبح البحث العلميّ مُطالَباً بإيجاد حلولٍ لها "فهناك حاجة ملحّة لمواجهة تلك التّحدّيات والمخاطر المتزايدة من خلال التّأمل، والبحث، والتّفكير الإبداعيّ، والنّقديّ، الّذي يتطلّب تجاوز الحدود فيما بين التّخصّصات المعرفيّة للباحثين"[2].

☜ التّحول الجذريّ الّذي عرفته النّظريّات المعرفيّة منذ أواسط القرن الثّامن عشر، وكان لإمانويل كانتE.Kant بعيد الأثر فيها[3].

☜ انتقال الفكر العلميّ من فكر دائريّ تُردُّ بمقتضى قوانينه جميع الجزئيّات والتّفاصيل والمفردات والفروع إلى الأصول المعرفيّة، وتُردّ فيه الأشياء المتنوعة في كافة مظاهر الحياة وأنماط التّفكير والسّلوك والمعيشة إلى المنوال الأمثل والنّموذج المتفرّد أو إلى خليّة أُمّ، وتختزل الظّواهر على تعقّدها في عنصرٍ بسيطٍ يفسّر نشأتها[4].

☜ إنّ التّطوّرات الّتي حصلت في عدد من التّخصّصات، منها: الأحياء التّطوريّة والعصبيّة، وعلم النّفس، واللّسانيّات، والإناسة الاجتماعيّة والإحيائيّة،..إلخ، أدّت إلى تبيّن طبيعة الظّواهر الّتي تدرسها العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، وتبيّن الرّوابط الّتي تجمعها بمبادئ باقي العلوم، ومنها العلوم الطبيعيّة، فسمح ذلك بظهور نموذج معرفيّ جديد يسمّيه **توبي وكوسميدس(1992)** النّموذج السببيّ المندمج، لقيامه على اندماج مكوّنات المعرفة العلمية وعدم استقلالها، وهو نموذج يسعى إلى أن يكون حصيلة تعاون بين عدد كبير من الباحثين

---

[1]– فتحي حسن ملكاوي، مقالات في إسلامية المعرفة، المعهد الدولي للفكر الإسلامي،2018، ص155.

[2]– خميس أحمد عبده، البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة، ص157.

[3]– صالح بن الهادي رمضان، التفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص34.

[4]–المرجع نفسه، ص34.

العاملين في حقول مختلفة من حقول العلوم النّفسيّة والاجتماعيّة وغيرها، خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين[1].

☜ شيوع فكرة التّخصّص الّتي أدّت إلى "قيام عوازل فاصلة بين العلوم والمعارف، بدأ ضررها يتجلّى بسرعة من خلال ما ينبثق داخل الميادين المختلفة من مشاكل لا يمكن حلّها، وأسئلة لا يمكن الإجابة عنها إلاّ بالاستعانة بأدوات ميادين أخرى"[2].

☜ العديد من المشكلات المتزايدة الّتي تهمّ المجتمع العربي لا يمكن أن تحلّ بشكل كامل أو واقعيّ عن طريق تخصّص واحد، وإنّما تتطلّب إجراء دراسات بينيّة ذات رؤى واضحة تعتمد على الطّرق والأساليب الحديثة وعلى باحثين يتميّزون بالجدّية والمهارات المعرفيّة العالية، لإنتاج معارف جديدة يمكن من خلالها مواكبة التّطوّر الجاري في الكثير من التّخصّصات عالمياً ومن ثمّة قد نلبي متطلّبات المجتمع العربي الحديث[3].

☜ خشية التّخصّص والانغلاق، وما ستؤول إليه تلك العزلة من عدم الخروج بنتائج داعمة للمعرفة[4].

☜ انتقال الفكر العلميّ من فكر الأشباه والنّظائر إلى فكر أفقي انتشاري منفتح، فالعقل العلميّ يعمل من أكثر من أربعة قرون على تجديد الخطاب العلميّ في ضوء الاكتشافات الكبرى ليتّجه به نحو تغليب النّظرة الاستكشافيّة على النّظرة التبريريّة الّتي يعمل الفكر القديم على الوفاء لها[5].

☜ تحوّل فلسفة العلوم من فلسفة تصنّف العلوم وترتّبها بحسب موضوعاتها إلى فلسفة تنظّم صلات العلوم بعضها ببعض بحسب منفعتها الاجتماعيّة وبحسب أسبقيتها داخل كلّ منظومة من منظومات العلوم[6].

☜ بروز مناطق عدة تتقاطع وتتداخل فيها تخصصات مختلفة [7].

---

[1]- محمّد غاليم، بعض الأصول المعرفية للدراسات البينية نموذج الوجهات اللغوية، المؤتمر الدولي" اللغة العربية والدراسات البينية- الأفاق المعرفية والرهانات المجتمعية"، الرياض، المجلد الأول 2018، ص28.

[2]- كاظم جهاد حسن، في البينية : نشأتها ودلالتها، ص242.

[3]- محمّد سيد بيومي، معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية – دراسة ميدانية، ص130.

[4]- خالد حوير الشمس، اللسانيات البينية، ص20.

[5]- صالح بن الهادي رمضان، التفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص34.

[6]- المرجع نفسه.

[7]- رانيا عبد المعز الجمال، الدراسات البينية وبعض التجارب العلمية، ص: 1015-1016.

☜ محاولات بناء التّكامل بين المبادئ والنّظريّات والبحوث العلميّة من جهة وتطبيقاتها العمليّة من جهة أخرى، وظهرت في مطلع القرن العشرين حاجة الفيزياء إلى الرّياضيّات، وحاجة البيولوجيا إلى الكيمياء، فظهرت العلوم البينيّة الّتي تؤكّد اعتماد التّطوّر والتّقدّم في علم من العلوم على علم آخر أو علوم أخرى. كما طرحت أفكار عديدة حول التّكامل بين العلم والدّين. وفي التّربيّة والتّعليم أُعتُمِدَ التّكامل واحدا من المداخل المهمّة في بناء المناهج التّعليميّة . ثم طرأت الحاجة إلى أفكار الجمع بين الأصالة والمعاصرة"[1]

6. أهمّية الدّراسات البينيّة:

مجرّد ظهور الفكرة والإيحاء إليها؛ أو محاولة البحث في طريقة ونمط آخر لإيجاد منفذ أو وسيلة لتحقيق غايات أو حلول هو في الحقيقة دليل على فشل الوسيلة أو المنهج الّذي أنت الآن تعتمده وهو اعتراف صريح بأنّك في مُعضلة حيران لابدّ لك من سبيل ينجيك، وهو الكلام نفسه ينطبق تماما على الدّراسات البينيّة فظهورها لم يكن عبثا وإنّما يعود إلى فوائد جمّة فرضت ظهورها والدّعوة إليها وبإلحاح، وهي دراسة تبحث عن سبل الخروج من المآزق وحلّ المشكلات الإنسانيّة والاجتماعيّة كما تحاول الإبداع والابتكار في توليد الأفكار والمعارف الجديدة من خلال تلاقح وتفاعل مختلف التّخصّصات والعلوم؛ فهي استجابة لسدّ ثغرات وفجوات التّخصّص الواحد استنادا على مجال معرفي آخر "وهي دراسة تجيب عن أسئلة وعن مشاكل يعسر على نظام معرفيّ واحد حلّها"[2].

يمكن اعتبار البحوث البينيّة هي مستقبل الدّراسات الأدبيّة نظرا للنّتائج الّتي يمكن أن تحقّقها في المجالات المعرفيّة المختلفة، حيثُ "أصبحت برامج الدّراسات البينيّة مطلبا أساسيّا للعديد من المهن في سوق العمل إلى حدّ تعريفها لدى البعض بعلوم المستقبل"[3]. ولعلّ من أهمّ إيجابيّات الدّراسات البينيّة ومزاياها "أنّها تعمل على إظهار القواسم الإبستمولوجيّة"[4]، كما أنّها تعمل على "تنبيه القدرة عند الباحث على استخدام معايير أكثر من علم واحد لحلّ المشاكل المعقّدة، بالإضافة إلى إكساب الباحث القدرة على التّنظيم الذّاتيّ لحلّ المشكلة الّتي

---

[1]– فتحي حسن ملكاوي، مفاهيم في التكامل المعرفي،مجلة الفكر الإسلامي المعاصر،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المجلد15، العدد 60، 2010، ص6.

[2] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص273

[3]– رانيا عبد المعز الجمال، الدراسات البينية وبعض التجارب العلمية،ص1020.

[4]– إسلام عبد الله عبد الغني غانم، مستقبل الدراسات البينية في العلوم الإنسانية: ص544.

تواجهه"[1]. ورغم أنّه لكلّ علمٍ مجاله الخاصّ به إلّا أنّ "أسلوب الدّراسات البينيّة يرى أنّه يمكن استخدام تلك العلوم كأدوات إضافيّة لفهم أو حلّ المشكلات الأخرى في العلوم الأخرى"[2].

وكما ذكرنا سابقا فإنّ من الأسباب الّتي أدّت إلى اللّجوء إلى التّفكير البينيّ تعدّد المخاطر والتحدّيات الّتي تواجه المجتمعات الإنسانيّة، وذلك لقدرة البحوث البينيّة على "مواجهة التحديات الّتي تواجه البيئة والجامعة، وخاصة المشكلات الّتي قد بلغت من التعقيد لدرجة تحتاج إلى تعاون ودراسة من خلال تجاوز الحدود التقليدية بين العلوم المختلفة، بل تحتاج لبرامج بحثية تقوم على التّداخل والتّكامل عبر تخصّصات معرفيّة متنوّعة"[3]. ممّا تساعد على تذليل الصّعوبات، فالكثير من المهمّات كانت تبدو في ظاهرها مستحيلة ولكنّها أصبحت ممكنة من خلال ما حقّقه تكامل العلوم من نتائج، ومن أمثلة ذلك: "لقد أصبحت العمليات الجراحيّة في القلب المفتوح ، وتصميم سفن الفضاء، وتحديد خريطة المورثات البشريّة، إجراءات روتينيّة، مع أنّها مهمّات في غاية الصّعوبة"[4].

هذا وقد "أصدرت اللّجنة الاستشاريّة لدول الاتّحاد الأوروبيّ لسيّاسات البحوث في عام 2004 تقريرا كان أبرز توصيّاته دعم البحوث البينيّة في دول الاتّحاد الأوروبي، كما تضمّن التّقرير التّأكيد على أهمّيّة تلك البحوث"[5]. ونلاحظ أنّ العديد من الجامعات تجاوزت المفهوم التّقليدي لمنح الشّهادات العليا الّذي يتعلّق بتخصّص علميّ واحد، حيثُ أصبحت تمنح شهادات عُليا في تخصّصات علميّة مزدوجة، ومن أمثلة ذلك: "جامعة Montreal في كندا تمنح شهادات عليا في تخصّصات علميّة مزدوجة لا ترتبط بتخصّص علميّ تقليديّ محدّد من برامج المرحلة الأولى من التّعليم الجامعيّ، مثل شهادة الدّكتوراه في العلوم الإنسانيّة التّطبيقية، أو علوم الحاسوب الحيويّة، أو علوم الإحصاء الاجتماعيّة. وتمنح **جائزة باترا Putra بماليزيا** درجة الماجستير في برنامج الهندسة الطبّيّة الحيويّة، وبرنامج الفلسفة في هندسة الطّيران والفضاء. كما تمنح جامعة الكويت درجة الماجستير في علوم الأرض التّطبيقية ونظم

---

[1]- المرجع نفسه، ص544.

[2]- المرجع نفسه، ص544.

[3]- رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، ص33.

[4]- فتحي حسن ملكاوي، مقالات في إسلامية المعرفة، ص169.

[5]- خميس أحمد عبده، البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة، ص159.

المعلومات الجغرافيّة. وتمنح جامعة الإسكندريّة درجة الماجستير في الإدارة البيئيّة للموارد المائية. وتمنح جامعة البرتا Alberta درجة الماجستير في هندسة البترول والكيمياء"[1].

وعموما فإنّ الدّراسات البينيّة تسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

☜ تحقيق التّكامل: ويؤكّد **ارنست بوير(1990)** على أهميّة التّكامل بين مجالات البحث العلميّ، إذ يقول "إنّه من خلال التّكامل فقط يصبح البحث جديرا بالثّقة"[2]. فالدّراسات البينيّة تعمل على "استدعاء الموضوعات بوصفها مضامين التّخصّصات المعرفيّة/البينيّة إلى محاورتها ومناقشتها، بما يتيح تكاملا معرفيّا يقوم على تضافر التّخصّصات كالفلسفة والمنطق وعلم النّفس المعرفيّ والأنثروبولوجيا والبيولوجيا وعلم الحاسوب والذّكاء الاصطناعيّ، وهو ما يؤسّس لتفكير مفهوميّ في دراسة العقل الإنسانيّ واستعداداته وكفاءته الّتي تتيح له الفهم والتّحليل والتّأويل وتمثُّل المعرفة وتمثيلها"[3].

☜ دمج المعرفة: وتعني ربط وتكامل المدارس الفكرية والمهنية والتقنية للوصول إلى مخرجات ذات جودة عالية مبنية على العلوم الإنسانية والطبيعية[4].

☜ تساعد على الإبداع، والإيجاد لنظريات جديدة[5]، تعني تطوير القدرة على عرض القضايا ومزج المعلومات من وجهات نظر متعددة لتحدي الافتراضات الّتي بنيت عليها وتعميق فهمها[6].

☜ تساعد على حلّ بعض المشكلات الّتي تصادف الباحث أو الدّارس في بعض العلوم[7].

العلوم[7].

☜ مواكبة التّطوّرات الحاصلة في المعرفة ، وتوظيف تلك التّطوّرات في علوم قديمة[8].

---

[1]– محمود مصطفى محمّد إبراهيم، الدراسات البينية لدى أعضاء هيئة التدريس في العلوم الاجتماعية ودورها في تحقيق التنمية المستدامة–دراسة ميدانية، مجلة البحث العلمي في التربية، كلية البنات للآداب والعلوم التربوية، جامعة عين الشمس،القاهرة، العدد 7، 2016، ص583.

[2]– فتحي حسن ملكاوي، مقالات في إسلامية المعرفة، ص154.

[3]– أحمد مداس، معالم في مناهج تحليل الخطاب، ص59.

[4]– الدراسات البينية، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، ص9.

[5]– خالد حوير الشمس، اللسانيات البينية، ص24.

[6]– الدّراسات البينية، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، ص9.

[7]– خالد حوير الشمس، اللسانيات البينية، ص24.

[8]– المرجع نفسه، ص24.

☜ المساهمة في تشخيص واقع العمليّة التّعليميّة من حيثُ المدخلات والعمليّات والمخرجات، والعمل على تلبية احتياجات ومتطلّبات المجتمع للنّهوض بمستوى العمليّة التّعليميّة بما يتلاءم والتّطوّرات الحديثة في المجالات التّربوية[1].

ولقد لخّص محمود مصطفى إبراهيم (2016) أهداف البحوث البينيّة في ثلاث: "تكامل المعرفة، حريّة الاستعلام والتّساؤل، والتّجديد والإبداع"[2].

تعمل الدّراسات البينيّة على تطوير الأدب والرقيّ به إلى أعلى المستويات، فيجمعُ الأدبُ وينهلُ الكثيرَ من المعارف من العلوم الأخرى وخاصّة الإنسانيّة والاجتماعيّة منها والّتي تسمح له بصقل ذاته ونهيته واكتشاف مفاهيم جديدة تساعده على الإبداع وتعبئة قريحته وتوسيع آفاقه؛ باعتبار أنّ الشّعر ملتقى الكثير من العلوم المتنوّعة "وقد أسهم هذا النّوع من الكتابة الأدبيّة البينيّة في توسيع آفاق مفهوم الأدب وتعميق صلة اللّغة العربيّة بالثّقافة الاجتماعيّة... فكان الأدب بفضل هذه الثّقافة أقرب ما يكون إلى المفهوم الإنسانيّ للثّقافة"[3]

تساهم الدّراسات البينيّة أيضا في توسيع المعجم وتهذيبه وتزيينه وتزويده بالعديد من الجديد النّابع من التّخصّصات الأخرى الّتي تفرض عليه الاحتكاك بها وتفاعله معها لاستنطاقها والاستفادة منها "في الجملة كي يكون لنا معجم له موقع بين معاجم الأمم الأخرى من حيثُ المظهر، ومن حيثُ المخبر والمحتوى لابد على الأقل من ثلاثة شروط: "الأوّل الانفتاح على مختلف التخصّصات المعرفيّة"[4]

فجلوس العلوم جميعا على طاولة واحدة للتّنسيق فيما بينها وتبادل الخبرات والتّجارب والبحث في مشكلات البشريّة وخاصّة الشّائكة منها أمرٌ حتميّ لا مجال للاستغناء عنه أو إنكاره وبكلّ تأكيد، ففي الاتّحاد قوّة وفي التّضامن تقدّم ورقيّ، فالدّراسات البينيّة هي رأس مال التطوّر وهي العمود الفقريّ الّذي يمثل بصر وبصيرة انطلاق ازدهار العلوم وهي اللّبنة الأساسية في وقتنا الحالي والقاعدة الّتي ترتكز عليها العلوم جميعا؛ وهي نتيجة تراكم العلوم وتفرّعاتها الّتي تبحث في أن تكون تحت غطاء واحد يجمعها استجابة للعصر الحديث

---

[1]– رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، ص35.

[2]– محمود مصطفى محمّد إبراهيم، الدراسات البينية لدى أعضاء هيئة التدريس في العلوم الاجتماعية ودورها في تحقيق التنمية المستدامة–دراسة ميدانية، ص579.

[3] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص206

[4] الآفاق المعرفية والرهانات المجتمعية اللغة العربية والدراسات البينية، ص2080

والمعاصر وخاصّة مع تداعيّات العولمة الّتي تريد أن تجعل من العالم قرية واحدة، و"علم الأنساب قدّم حضارة العرب لأنّه الشّاهد لها، وهو يعتبر بحقّ مفخرة من مفاخر هذه الحضارة لما تضمنه من شمول ودقّة، ...وقد جاءت العلوم الحديثة كعلم الأجناس، وعلم الاجتماع، وعلم النّفس، وعلم التّربية تتؤيّد أصالة هذا العلم ووجوب دراسته وإحيائه[1]".

7. عراقيل اعتماد الدّراسات البينيّة:

لقد تطرّقنا آنفا إلى أهمّية الدراسات البينية في البحث العلميّ، والمزايا الّتي تتمتّع بها والّذي يعتبرها الكثير من الباحثين منهج المستقبل في البحث العلميّ، إلا أنّها لا تخلو من بعض المطبّات، إذ إنّ هناك حواجز ومعوّقات تقف عثرة أمامها، وتحول دون تحقيق الأهداف الكاملة لها، وعلى الرّغم من أهمّيتها العظيمة إلّا أنّ الدّراسات البينيّة لم تلق التّرحاب اللّازم المناسب لمقامها ومكانتها من طرف بعض الدّارسين؛ أو لقد وجدت عوائقا وقفت في طريقها وألْفتْ أغلالا تكبّل بريقها دون أن تتمكّن من تحقيق جميع أهدافها؛ كما لم تجد مساعدة تعمل على تطبيقها على أرض الواقع بالرّغم من وضوح علوّ كعبها وقيمتها وقمّتها، إذ لم تسلم البينيّة كمجال علميّ مفيد جدّا من عوائق وحواجز وقفت أمام طريق نموّه وتحقيق كنهه وغايته وما كان يصبو إليه الدّارسون والباحثون في ترسيخها واعتمادها إجرائيا رُغم ضرورتها في هذا العصر لتوسيع دوائر العلم أكثر، ومن هذه العراقيل نجد على سبيل المثال لا الحصر:

أ. **معوّقات تتعلّق بالبنى التّقليديّة للمؤسّسات الأكاديميّة:** حيثُ تؤكّد على عزل التّخصّصات بأقسام علميّة لا يربطها رابط[2]. فالنّظام الأكاديمي لا يزال يرتكز- إلى حدٍّ كبير- على تخصّصات محدّدة، وأنظمة محدّدة، ممّا جعل إدماج الدّراسات البينيّة غير عادي في ميادين الدّراسة التقليديّة، ويخلق حاجزا لمزيد من التّكامل[3]. فالمؤسّسات الأكاديميّة قد تحوّل دون تطبيق الدّراسات البينيّة من خلال "المبالغة في رسم الحدود بين التّخصصات،.. وافتقادها الرّؤية الدّقيقة لكيفية بناء الدّراسات البينيّة بالجامعات نتيجة لضعف العلاقة بين الجامعات وسوق العمل"[4]. فهناك فجوة أساسا بين التّخصّصات

[1] محمّد توفيق أبو علي، الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ، دراسة تحليليّة، دار النفائس، بيروت، ط01، 1988، ص159.

[2]- محمود مصطفى محمّد إبراهيم، الدراسات البينية لدى أعضاء هيئة التدريس، ص584.

[3]- رانيا عبد المعز الجمال، الدراسات البينية وبعض التجارب العلمية،ص1022.

[4]- رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، ص34.

الأكاديميّة واحتياجات سوق العمل المحليّ[1]. كما أنّ "التّرقية تتمّ في إطار البحوث الفرديّة وليس في مجال البحوث البينيّة في جلّ النّظم الأكاديميّة، ومن ثمّة فهو عائق في الإجراءات القانونيّة المنظّمة للجامعات والحصول على الشّهادات العلميّة في مختلف الأنظمة القانونيّة، ناهيك عن طبيعة تنظيم التّخصّصات الجامعيّة، فهي لا تشجّع، بل تعيق طموح الأساتذة الباحثين ورغبتهم في حوار المعارف"[2]. وكذا المبالغة في رسم الحدود بين التّخصّصات: تجد عالما من صاحب التّخصّص الواحد وعند فشله في الخروج بحلّ مناسب من مشكلة ما في تخصّصه؛ تجده يزيد عمقا وتدقيقا في تخصّصه سالكا طريقا واحدا فقط لا غير، ولا يلجأ إلى الفروع الأخرى من العلوم عساه يجد فيها حلاّ يغنيه عن البحث في عمق التخصّص الواحد.

ب. معوّقات تتعلّق بالأكاديميين والباحثين: "إن أعضاء هيئة التدريس من الباحثين الّذين يركزون على الدراسات البينية قد عزلوا أنفسهم من صميم مجال تخصصهم، حيثُ تركز الدراسات البينية على هامش التخصص، مما يقلل من سمعة الأكاديمي في عيون زملائه ويقلل فرص بقائه في عمله، وكذا افتقاد جيل القديم للأساتذة بالجامعات إلى أسلوب الدراسات البينية، وإلى الأساليب المناسبة لتعليمه أو عدم اقتناعهم بها"[3]. بالإضافة إلى "عدم وجود الوقت الكافي لأعضاء هيئة التدريس لاشتراكهم بالأبحاث البينية لانشغالهم بالأعمال الأكاديمية والإدارية"[4]، وميلهم الزائد إلى العمل منفردا لغرض الترقية. ومما يزيد الأمر تَأَزُمًا" انقطاع صلة بعض الباحثين في الدراسات البينية بالروافد المتجددة للحقول المعرفية، ومن ثَمَّ الوقوع في فخ التعميم الساذج، فإخراج النظريات والمنهجيات من بيئتها الطبيعية وتطبيقها قسرًا في بيئة أخرى دون دراسة جدوى مسبقة من شأنه الخروج بنتائج خاطئة وغير دقيقة، فمن المعروف أن نظرية النشوء والارتقاء مازالت تعاني المحاولات المتكلفة لإخراجها من إطارها الطبيعي لاستخدامها في العلوم الاجتماعية"[5].

---

[1]– الدّراسات البينيّة، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، ص13.

[2]– ريمة برقراق، رهان التخصصات البينية: مقاربة مفاهيمية، مجلة الموروث، المجلد9، العدد1، 2021، ص121.

[3]– الدراسات البينية، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، ص11.

[4]– رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، ص34.

[5]– محمود مصطفى محمّد إبراهيم، الدراسات البينية لدى أعضاء هيئة التدريس في العلوم الاجتماعية ودورها في تحقيق التنمية المستدامة–دراسة ميدانية، ص584.

ج. **معوّقات تتعلّق بالمصطلحات والمفاهيم:** وقد أشرنا سابقا إلى كثرة تسميات الدّراسات البينيّة وتعدّد مصطلحاتها، فالتّعميم المفرط والعشوائيّة في استخدام المفاهيم والمصطلحات قد يَخلُقُ "إشكاليّات لغويّة وصعوبة استخدام الألفاظ بين التخصّصات، وأبرز مثال على ذلك لفظ (معيار) الّذي يستخدم بمعان لها دلالات متباينة بين التّخصّصات"[1]، كما أنّ الدّراسات البينيّة "تتمخّض عنها تصوّرات تقريبية وعن شيء من الخلط بين المفاهيم، وتوهّم الإحاطة بجميع المعارف والبراعة في استخدام أكبر قدر ممكن من المصطلحات، خاصّة عندما يضطلع بهذه الدّراسات فرد بذاته أو فريق صغير من الباحثين"[2].

د. **معوّقات تتعلّق بالتمويل:** حيثُ أن "العمل بالبحوث البينية يتطلب دعم مادي في الغالب كبير، لا يمكن توفيره كي يكون حافزا للباحثين للاشتراك معا من أجل تحقيق أهداف يسعون إليها"[3]. فضعف التمويل العام وقلة انخراط القطاع الخاص في البحث العلمي يؤدي إلى محدودية المصادر التمويلية للبحوث البينيّة.

بالإضافة إلى ذلك هناك معوّقات أخرى **تتمثّل في** : "صعوبة النّشر العلميّ وخاصّة في بعض التّخصّصات، وضعف اشتراك الطلاّب في مراحل البكالوريوس في عمل البحوث والعمل في الفرق البحثيّة"[4]. كما أنّ الدّراسات والبحوث البينيّة في الوطن العربي "لم تأتِ نتيجة احتياج علميّ أو معرفيّ بقدر ما تنمو لكونها حدثت في الغرب، فما يُنقَلُ إلينا هو المعلومة والمعرفة فقط، في غياب الإدراك للدّافع الأساسي وراء امتزاج العلوم الاجتماعية"[5].

8. اعتماد الدّراسات البينيّة:

بالرّغم من التّحدّيّات الّتي تواجه الدّراسات البينيّة، والمعوّقات الّتي تحول دون اعتماد تطبيقها في مجالات البحث العلمي. ولمّا كان أسلوب الدّراسات البينيّة مستقبل البحث العلميّ لما له من قدرة على حلّ المشكلات، فقد أصبح يشقّ طريقه بصمت في أوساط الأكاديميين والباحثين، كما أصبح من الاستراتيجيّات الّتي تسعى الجامعات والمؤسّسات الأكاديميّة إلى

---

[1]–المرجع السابق، ص584.

[2]– محمود مصطفى محمّد إبراهيم، المرجع نفسه، ص584.

[3]– الدّراسات البينيّة، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، ص12.

[4]– المرجع نفسه، ص12.

[5]– محمود مصطفى محمّد ابراهيم، الدراسات البينية لدى أعضاء هيئة التدريس في العلوم الاجتماعية ودورها في تحقيق التنمية المستدامة–دراسة ميدانية،ص585.

الاعتماد عليها في المستقبل القريب. ممّا يوجب علينا طرح تصوّرات للحلول المقترحة لتجاوز عوائق تطبيق الدراسات البينية- الّتي تم ذكرها آنفا- من أجل تهيئة المناخ لذلك. ويمكن اقتراح عدّة إجراءات في ضوء الدّراسات الّتي أُجرِيَت في هذا المجال تتمثّل فيما يلي:

☜ **إجراءات تخصّ المؤسّسات الأكاديميّة:**

- على المؤسّسات الأكاديميّة إعادة النّظر في المنظومة القانونيّة، عن طريق إصدار قوانين ولوائح تتضمّن" موادا وأحكاما مناسبة تعمل على تفعيل الشّراكة البينيّة للإشراف العلميّ، وأن تلتزم جهات الاختصاص بتطبيق وتنفيذ ما يردّ في هذه اللوائح والقوانين...، وإصدار تشريعات مناسبة لإلزام جميع أعضاء هيئة التدريس لمتابعة الباحثين واختيارهم لموضوعات تجمع بين أكثر من تخصص"[1].

- التّوفيق بين المنهجيات المختلفة وصولا لصيغة تقرب بين التخصصات[2].

- ضرورة تأسيس لجنة علمية من الخبراء في مجال الدراسات البينية من العلوم الطبيعية والاجتماعية تتولى وضع المعايير والاستراتيجيات، والخطط الكفيلة بتفعيل نظام الدراسات البينية وتوخي معايير الجودة والاعتماد العلمي لها، ومن ثم تطوير البحث العلمي بالوطن العربي ليواكب متطلبات مجتمع المعرفة الجديد[3].

-إيجاد نشاط تركيبي أو دمجي يصار فيه إلى استقبال كافة الميادين المعنية لمختلف وجهات النظر النّاشئة عن موضوع معين وعلى تراكم المعطيات وتجميع الاستنتاجات[4].

-التّنسيق بين البرامج التّعليميّة وحاجات سوق العمل وتطلّعات أفراده.

-تطوير واقع البحث العلميّ بصفة عامّة والبحوث القائمة على الشّركات البينيّة، من خلال بنية تحتيّة مؤسّساتيّة والتّوصل إلى اعتماد مراكز بحثيّة جامعيّة، كمراكز بحثيّة متفوّقة أو متميّزة بعد خضوعها لتقييم معياري، وربط هذه المراكز فيما بينها من خلال منظومة للبحث

---

[1]- رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، ص64.

[2]- محمود مصطفى محمّد إبراهيم، الدراسات البينية لدى أعضاء هيئة التدريس في العلوم الاجتماعية ودورها في تحقيق التنمية المستدامة-دراسة ميدانية،ص585.

[3]- محمّد سيد بيومي، معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية - دراسة ميدانية، ص138.

[4]- محمود مصطفى محمّد إبراهيم، الدراسات البينية لدى أعضاء هيئة التدريس في العلوم الاجتماعية ودورها في تحقيق التنمية المستدامة-دراسة ميدانية،ص585.

العلميّ والتّطوير والابتكار[1]. ولا حرج في اللّجوء إلى من سبقونا في هذا المجال للاستفادة من تجاربهم وخبراتهم، "ممّا يعني النّظر في ربط العلوم أو التّخصّصات المختلفة حسب التّجارب العالميّة للإفادة منها، مع عدم الوقوف عند تلك الأنماط من الرّبط سعيا إلى أنماط جديدة، ليس لأنّها جديدة أو مختلفة ولكن لأنها قد تكون الأكثر ملاءمة لاحتياجات علميّة وبحثيّة نابعة من صميم الأوضاع الثقافية والاجتماعية، وأكثر كفاءة في التعامل معها"[2].

☜ **إجراءات تخصّ الأكاديميين والباحثين والأساتذة:**

-إجراء دورات تدريبيّة وتكوينيّة تهدف إلى التّوعية بأهمّية الدّراسات والبحوث البينيّة، ويمكن أن تكون: "دورات تدريبيّة متخصّصة لأعضاء هيئة التّدريس للتّوعية بأهمّية الشّراكات البينية"[3]، أو "دورات متخصّصة للقيّادات الأكاديميّة للتّوعية بطرق تفعيل الشّراكات البينيّة لدى أعضاء هيئة التّدريس المتخصّصين في العلوم المختلفة، ودورها في تحقيق التّنمية المستدامة في المجتمع"[4].

-ضرورة الاهتمام بالباحثين والأكاديميين المهتمّين بهذا المنهج وتشجيعهم من قبل جامعاتهم، ومراكزهم البحثيّة، ودعمه علميّا وماديّا، لكي يلقى هذا النّهج الجديد القبول من الآخرين[5].

-تقديم حوافز مادّية للباحثين للمشاركة في المؤتمرات والملتقيات والنّدوات العلميّة.

☜ **إجراءات تخصّ المفاهيم والمصطلحات:**

– تحديد المفاهيم والألفاظ والمصطلحات المستخدمة في الدّراسات البينيّة تحديدا واضحا"[6].

---

[1]– رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، ص65، 66.

[2]– سعد بن عبد الرحمان البازغي، الدراسات البينية وتحديات الابتكار، مجلة جامعة الملم سعود، المجلد25، الاداب2، الرياض، 2013، ص227.

[3]– رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، ص66.

[4]– المرجع نفسه، ص66.

[5]– محمّد سيد بيومي، معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية – دراسة ميدانية، ص138.

[6]– محمود مصطفى محمّد إبراهيم، الدراسات البينية لدى أعضاء هيئة التدريس في العلوم الاجتماعية ودورها في تحقيق التنمية المستدامة–دراسة ميدانية،ص585.

ـضرورة الابتعاد عن الجدل الفلسفيّ واللّغويّ للتّفرقة بين ماهية الدّراسات البينيّة والمتّعدّدة والعابرة، وأيّهما أفضل. وبالتّالي علينا الالتزام بتحقيق هدف تلك الاتّجاهات البحثيّة، ألا وهو تحقيق التّكامل المعرفيّ في فهم القضايا، باتّباع الدّراسات البينيّة، لأنّها تحقّق الغرض لكلّ تلك الاتّجاهات البحثيّة[1].

☜ **إجراءات تخصّ التّمويل:**

– الإيمان بالفكرة؛ فكرة مجال الدّراسات البينيّة إيمانا عميقا جدّا؛ والثّقة في النّفس على قدرة تحطيم وتهديم جميع الحدود والحواجز فيما بين التّخصّصات مع سبق الإصرار والتحدّي.

ـتشكيل لجان استشاريّة متعدّدة القطاعات لتحديد أولويّات تمويل وعمل ميزانيّة خاصّة لتمويل وعمل ميزانيّة خاصّة لتمويل البحوث البينيّة في المناحي الرّئيسيّة، وفي مواضيع عمليّة تمكّن من دمج وجهات نظر الخبراء والمستفيدين في آليّات توظيف البحوث البينيّة في النّقد والتّطور والرّقيّ، والإفادة من خبرات بعض الدّول الّتي كان لتلك البحوث دور في تقدّمها ورقيّها، ولابّد من استخدام معايير واضحة لعمل هذه اللّجان الاستشاريّة، والّذي يعدّ عاملاً حاسماً في نجاح عملها، ومن الضّروري أن تعمل هذه اللّجان في إطار تنسيقيّ داخل الدّولة وخارجها[2].

فتح المجال للقطاع الخاصّ وتشجيعهم لتمويل هكذا أبحاث.

– لا بدّ من إنشاء مؤسّسات خاصّة يكون دورُها الأساسيّ التقاء جميع أهل التّخصّصات، مع التّركيز بداية الأمر على التّخصّصات الأكثر تقاربا لتتّسع الدّائرة للتّخصّصات الأخرى لاحقا وإلحاقها بهم إلّا عند الضّرورة فلا بأس بذلك. "تناولنا في ما سبق بعض عناصر النّظريّة الموحّدة الّتي تحاول أن توظّف عدّة علوم لدراسة ظاهرة مركّبة، والعلوم الموظّفة هي علم النّفس الخاصّ بإدراك الأصوات؛ والميكانيكا الحيويّة، والذّكاء الاصطناعيّ؛ والموسيقى

---

[1]– محمّد سيد بيومي، معوقات تفعيل الدراسات البينية في العلوم الاجتماعية – دراسة ميدانية، ص: 138.

[2]– رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، ص: 65.

الحاسوبيّة؛ والنّظريّة الموسيقيّة، وعلم النّفس اللّغويّ؛ وأمّا الظاهرة المركّبة فهي المبصرات الحركيّة؛ واللّغويّات؛ والموسيقات[1]".

9. أعلام العرب القدماء في البينيّة:

أغلب علمائنا قديما هم أصحاب منهج بينيّ بقصد أو بغير قصد بأسلوب مباشر أو غير مباشر ذلك لأنّهم ذوو ذهنيّة قويّة وفكر فذّ، فكانوا ينهلون العلوم من هنا وهناك بشتّى أنواعها وألوانها، فلا غرو أن يكونوا ذا مستوى منقطع النّظير كما ويمزجزن علومهم حتّى وإن بدت في موضوع واحد إلّا أنّه لا بدّ أنّه ساقها وأضاف إليه من مختلف المعارف الّتي غرف منها من قبل وسنذكر البعض من علمائنا التّراثيين الّذين كان لهم الفضل انطلاقا من علومهم ومعارفهم في بصمات الدّراسات البينيّة.

أ. ابن خلدون:

لدينا في تراثنا العربيّ العلاّمة الكبير الغنيّ عن التّعريف ابن خلدون مؤسسس علم الاجتماع وعلم التّاريخ وصاحب مواضيع كثيرة ومتنوّعة مختلفة من المعرفة، ويعتبر ابن خلدون عالم بينيّ وقد عدّه كذلك الأستاذ الدّكتور المتخصّص في البينيّة صالح بن الهادي رمضان حيثُ "إنّ العمران البشريّ عند ابن خلدون علم بينيّ ومجمع تقاطع جملة من العلوم القديمة والعلوم المستحدثة...وهكذا فإنّ الفكر البينيّ هو المحرّك المعرفيّ الّذي مكّن ابن خلدون من اكتشاف علم الاجتماع الإنسانيّ أو علم العمران البشريّ وقد عددنا ابن خلدون من أعلام الفكر البينيّ لأنّه طرح بشكل واضح مسألة التّقاطع بين علم التّاريخ وعلوم اللّغة"[2]، ذلك لأنّ موضوع العمران البشريّ "إنّ الموضوع حيّز بينيّ لأنّه خلاصة الرّوافد الثقافيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة"[3].

ب. الجاحظ:

يُعتبر الجاحظ أيقونة الأدب العربيّ القديم؛ بل والأدب كلّه جميعا من بعد فهو الشّمس عبر العصور أشعتها تنير وتدفئ الأدب وتسمو به إلى العلوّ والرّفعة؛ وهثل جهاز الكمبيوتر يحتوي

---

[1] محمّد مفتاح، مفاهيم موسّعة لنظريّة شعريّة، اللغة؛ الموسيقى؛ الحركة؛ ج02، نظريات وأنساق، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدار العربيّ؛ المغرب، ط01، 2010، ص175.

[2] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص 244.

[3] المرجع نفسه، ص151.

على عديد العلوم والثقافات المتنوّعة؛ فهو موسوعة علميّة جمعت في صدرها تخصّصات كثيرة لا حصر لها، وقد فرض على الدّارسين الوقوف عند كلّ علومه ومعارفه وقد قيل أنّ كتب الجاحظ تعلّم العقل والقلب معاً؛ وقد ترك إعجابا ودهشة كبيرة مثيرة عند المفكرين من بعده "ومن العجيب أن يحذق الجاحظ هذه الثّقافات المختلفة، ويمزجها ويخلط بين عناصرها في عمق وفهم، وأن تكون مُؤلّفاته وكُتبه عصارة تلك الثّقافات المتعدّدة بعد هضمها وتفاعلها، وإضفاء الطّريقة الجاحظيّة عليها وتقديمها للقرّاء شرابا سائغا عذب المذاق؛ وأنّنا لا نجد في تاريخ الفكر الإسلاميّ استوعبتْ مؤلّفاتُه ما استوعبته مؤلفات الجاحظ من جوانب الحياة المتعدّدة في عصره"[1] وبهذا كان الجاحظ عالما وفيلسوفا ومفكّرا عربيّا كبيرا؛ بينيّ في تفكيره.

ولذلك كان للجاحظ مؤلّفات كثيرة وعديدة ومختلفة التفرّعات والمواضيع، وقد أشار الجاحظ بنفسه إلى أهميّة التّفكير البينيّ وكيف أنّ كتابه كان جامع لمعارف شتّى "فها هو صاحب الحيوان الجاحظ يظهر ذلك في مقدّمته قائلا "وهذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم وتتشابه فيه العرب والعجم، لأنّه وإن كان عربيّا أعرابيّا، وإسلاميّا جماعيّا فقد أخذ من طرف الفلسفة وجمع بين معرفة السّماع وعلم التّجربة وأشرك بين علم الكتاب والسُّنّة، وبين وجدان الخاصّة وإحسان الغيرة"[2]، فلا غرو أن يكون الجاحظ من مفكّريّ البينيّة منذ عهده فهو المرجعيّة والمصدر ومنبع العلوم الّتي انبجست وانفجرت منها تخصّصات كثيرة تتجاوز اثنتا عشرة نظاماً، "يقول الجاحظ: لا يكون المتكلّم جامعا لأفكار الكلام متمكّنا في الصّناعة يصلح للرّياسة؛ حتّى يكون الّذي يحسن لكلام الدّين في وزن الّذي يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الّذي يجمعهما[3]"، "وقد كان الجاحظ علما من أعلام الأدب الشّوامخ في تاريخ أدبنا العربيّ، وإماما من أئمة البيان وأستاذا من أساتذة النّقد والبلاغة، الّذين تتلمذ له آلاف الدّارسين...ألّف في اللّغة والأدب والتّاريخ، وصنّف في الأخلاق والسياسة والاجتماع، وكتب في الحيوان والنبات، وردّ على النّصارى واليهود والشّعوبيين، حتّى لقد أربت مصنّفاته ورسائله على المائتين في مختلف العلوم والأدب والفنون، أهمّها الحيوان في سبعة أجزاء، البيان والتّبيين"[4].

---

1 عبد الرحمن حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط01، 1984، ص97.

2 المرجع نفسه، ص188.

3 جابر عصفور، الصّورة الفنيّة في التّراث النّقديّ والبلاغي عند العرب،المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط03، 1992، ص407.

4 عبد الرحمن حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط01، 1984، ص97/96.

ج. **عند عبد القاهر الجرجانيّ:** يعتبر عبد القاهر الجرجاني من العلماء الكبار الأجلاّء المُفضّلين للاشتراك بين العلوم؛ كما ودمجها وزجّها إلى بعضها البعض، فهو يقول عن الموضوع "ولن يبعد المدى في ذلك ولا يدقّ المرمى إلّا بما تقدّم من تقرير الشّبه بين الأشياء المختلفة، فإنّ الأشياء المشتركة في الجنس المتّفقة في النوع تستغني بثبوت الشّبه بينها وقيام الاتّفاق فيها عن تعمل وتأمّل في إيجاب ذلك لها وتثبيتها فيها، وإنما الصّنعة والحذق ، والنّظر الّذي يلطف ويدقّ في أن تجمع أعناق المتنافرات والمتباينات في ربقة وتعقد بين الأجنبيات معاقد نسب وشبكة، وما شرفت صنعة، ولا ذكر بالفضيلة عمل، إلّا لأنّهما يحتاجان من دقّة الفكر ولطف النّظر ونفاذ الخاطر إلى ما لا يحتاج إليه غيرهما ويحتكمان إلى من زاولها والطّالب لهما من هذا المعنى، ولا يقتضيان ذلك إلّا من جهة إيجاد الإئتلاف في المختلفات"[1].

ويواصل عبد القاهر الجرجاني كلامه يوضّح المقصود بالحذق في إيجاد الائتلاف بين المختلفات في الأجناس يقول: "ولم أُرد بقولي إنّ الحذق في إيجاد الائتلاف بين المختلفات في الأجناس أنّك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها أصل في العقل، وإنّما المعنى هناك مشابهات خفيّة بدقّ المسلك إليها، فإذا تغلغل فكرك فأدركها فقد استحققت الفضل، ولذلك يشبّه المدقّق في المعاني كالغائص على الدرّ ووزان ذلك أنّ القطع الّتي يجيء من مجموعها صورة الشنف، والخاتم أو غيرها من الصّوّر المركّبة من أجزاء مختلفة الشّكل لو لم يكن بينها تناسب أمكن ذلك التّناسب أن يلائم بينها الملاءمة المخصوصة ويوصل الوصل الخاصّ لم يكن ليحصل لك من تأليفها الصّورة المقصودة"[2].

وكلام الجرجاني هنا واضح جدّا، وهو يحدّثنا عن الدّراسات البينيّة بكلّ جلاء بمفهومه الخاصّ، إذ لا يريد في الجمع بين المختلفات بأن يكون تركيبها عشوائيا فوضويّا لا يقبله العقل، وإنّما يكون بالبحث في أعماق المختلفين للوصول إلى ما هو خفيّ وغير ظاهر يتقاطعون فيه.

ويواصل الجرجاني أيضا في جمع المختلفات على أنّه ممكن بحيثُ يجب الجدّ والاجتهاد وعدم النّفور فيقول:"ألا ترى أنّك إذا جئت بأجزاء مخالفة لها في الشّكل ثمّ أردتها على أن

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صحّحها على نسخة الإمام الشّيخ محمّد عبده الّتي قرأها دروسا في جامع الأزهر، وعلّق حواشيه السيد محمّد رشيد رضا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط01، 1988 ص 127.

[2] المصدر نفسه، ص130.

تصير إلى الصّورة الّتي كانت من تلك الأولى طلبت ما يستحيل، فإنّما استحققت الأجرة على الغوص وإخراج الدّرّ، لا إنّ الدرّ كان بك، واكتسى شرفه من جهتك، ولكن لمّا كان الوصول إليه صعبا وطلبه عسيرا ثمّ رزقت ذلك وجب أن يجزل لك وكبّر صنيعك"[1]

فعبد القاهر الجرجاني يدعو من خلال كلامه هذا إلى الجدّ أكثر؛ والغوص في أعماق المختلفات الّتي تبدو أنّها لا تأتلف ولا تلتقي، كعلم الأدب والريّاضيات أو الفيزياء والكيمياء مثلا، فيرى أنّه لا بدّ أن تصل باجتهادك إلى الدّرر وإن ظهر ذلك مستحيلا، وأنّك تستحقّ التّشجيع و المواصلة على الدّرب ومكافأتك على صنيعك وجهدك المبذول.

[1]. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.



الفصل الثاني: الشّعر والأعلام الجغرافيّة (علاقة تأثير وتأثّر).

تمهيد:

الشّعر يمثّل بينيّة علوم العرب.

النّقد والعلوم الأخرى.

المقصود الأعلام الجغرافيّة.

علاقة الشّاعر بالأعلام الجغرافيّة

هالة الأعلام الجغرافيّة.

في بينيّة الشّعر والجغرافيّة.

الأعلام الجغرافيّة منبع وموضوع محوريّ وقلب للكثير من العلوم.

تسمية الأماكن والأعلام الجغرافيّة.

أبنية الأعلام الجغرافيّة.

مصادر الأعلام الجغرافيّة.

أقسام الأعلام الجغرافيّة وأنواعها.

أهميّة الأعلام الجغرافيّة في الشّعر.

جماليّة الأعلام الجغرافيّة في الشّعر وبلاغتها.

1. الشّعر يمثّل بينيّة علوم العرب:

تمهيد: الشّعر محور أساس ولبنة فعّالة لتلاقي العلوم وتفاعله معها باستضافته لها بين أبياته؛ فجميعها تجد ضالّتها بين أكنافه، وبسبر أغوار الشّعر نجد ونستفيد الكثير من الأخبار والأفكار والمعطيات، فللشّعر قدرة على جمع الكثير من العلوم على اختلافها وتناقضها وتنوّعها ولن يتأتّى هذا إلّا للشّعراء الأقوياء الأكفاء المبدعين ذوي العقول الثّاقبة والفكر السّليم الّذين هم من الطّبقات الأولى من فحول الشّعراء من أمثال أصحاب المعلّقات؛ خاصّة وأنّه لم يكن للعرب فنّ ولا أدب ولا تدوين غير الشّعر ولذلك وقد "ظل مفهوم الثقافة العربيّة مرتبطا بالشّعر"[1] ولقد كان" يسعى الشّاعر لتآلف المتنافرات، وهذا يدلّ على مقدرة الشّاعر الإبداعيّة في ذلك"[2]، "فالنّصّ الأدبي يوجد بوصفه ظاهرة تاريخيّة في نقطة تتلاحم فيها الأنساق والسيّاقات المتنوّعة والمختلفة: الاجتماعيّة والحضاريّة والدّينيّة والسيّاسيّة والفكريّة والثقافيّة، إذ يمكن عدّ النّصّ ظاهرة ثقافيّة مركّبة تمتدّ جذورها إلى عدد كبير، ومتداخل ومتناقض من المرجعيّات الّتي بات من الضّروريّ أن نحاول فهم الجذور والأنساق والسيّاقات والمرجعيّات الّتي نشأ داخلها النّصّ"[3]، "إنّ الشّاعر الجاهليّ يستمدّ المادّة الفنّية وصوّرها الشّعريّة من خلال ثقافة التّفاعل مع مجتمعه"[4].

ويذهب الكثير من النقّاد والدّارسين إلى القول بأنّه ليس للعرب علوم؛ وإن وجدت فهي سطحيّة لا ترقى لوصفها بالعلم أو المعرفة، فهم لا يعترفون مثلا بأنّ لهم طبّ، وكأنّ الأمم الأخرى كانت متطوّرة تستعمل الطبّ الحديث من سمّاعة وليزر وغيرها من أجهزة الطّب المتطوّرة، وكأنّ الأمم الأخرى كانت تملك الأسلحة النووية وأسلحة الدّمار الشّامل،لا ندري بما فاتتنا الأقوام الأخرى لنجزم أنّه ليس للعرب علوم أو فلسفة كما جاء في كتاب الأصول الفنّية للشّعر الجاهليّ "لم يعرف العربُ في جاهليّتهم شيئاً ذا قيمةٍ من علم أو الفلسفة، فلم يكونوا

---

[1] مشري بن خليفة، الشعريّة العربيّة ، مرجعياتها وإبدالاتها النصّيّة، ط01، 2011، ص46.

[2] بدر نايف الرّشيديّ، إشراف د. عبد الرؤوف زهدي صورة المكان الفنيّة في شعر أحمد السقاف، إعداد الطالب، ، رسالة ماجستير مقدمة لكليّة الآداب والعلوم، جامعة الشّرق الأوسط، 2012/2011عبقرية الصورة والمكان طاهر عبد ص 117.

[3] محمود خليف خضير الحياني، صابرة بن قرماز، استراتيجيّة فهم المقروء الثّقافيّ في معلّقة عنترة العبسيّ، مجلّة المخبر أبحاث في اللّغة والأدب الجزائريّ، المجلّد 17، العدد: 01، 2021، ص221.

[4] مريم عفانة إشراف: أمل نصير، المعلّقات العشر؛ دراسة ثقافيّة، رسالة ماجستير في جامعة اليرموك، 2008/2007، ص28

على حظٍّ كبير من الحياة العلميّة الرّاقية، فما هي إلّا حياة بدويّة لا تعرف الاستقرار، ولا تتيح الفرصة للعلم المنظّم، الّذي يبدأ بالملاحظة وينتهي إلى القاعدة أو التطبيق"[1].

لكن في بيت عنترة بن شدّاد ما يثبت قوّة العرب في هذا المجال فهم يستعملون عند فحص المريض الذّراع؛ تماماً كما في عصرنا هذا إذ أوّل ما يتفقّده الطبيب هو الذّراع عند قيّاس الضّغط وهنا فعنترة بن شدّاد يقول:

يقول لك الطّبيبُ دواك عندي إذا ما جسّ كفّك والذّراعَا.

ولو عرف الطّبيبُ دواءَ داءٍ لردّ الموت ما قاسا النِّزاعا.

فمن البيتين نُدرك أنّ للعرب طبٌّ وطبيبٌ ودواءٌ؛ وهذا يعني ويوحي بوجود صيدلة تناسب عهدهم وعصرهم، ولا يُنكر هذا إلّا جاحدٌ غرّتهُ كلمةُ الجاهليّةِ الّتي وُسم بها هذا العصر، رُغم أنَّ الجاهليّةَ في معناها لا علاقة لها بالمعرفة والعلوم؛ وإنّما تعني الطّيش والسّفه والغضب وكلّ ما هو ضدّ الإسلام، وإذا كان يرى بعضُ النُّقاد والفلاسفةُ والدّارسون كموسوليني أنّ الحرب هي أساس العلم والنّجاح والتطوّر وهي منبع النّشاط حين قال: "إنّ السّلام لا هو بالممكن ولا هو بالمفيد؛ إنّ الحرب وحدها بما تحدثه من توتّر هي الّتي تبعث الإنسان إلى أقصى نشاطات العالم" فإنّنا إذا أخذنا برأي موسوليني فإنّنا نجد بأنّ العربَ هم الأكثرُ حروباً كما هو معلوم؛ إذ تندلعُ الحروب والمعارك الطّاحنة عندهم لأتفه الأسباب، وربّما بدون سبب أصلا ممّا يدفعهم هذا إلى أقصى النّشاطات وأفضل العلوم والاختراعات والابتكارات بحسب مبدأ موسولوني الإيطالي الفاشيّ، ولذلك كانوا في أتمّ الاستعداد وكامل الجاهزيّة لينقضّوا على الشّعوب وينشروا دينهم الإسلام الجديد فيما بعد ولا ريب في ذلك. فالشّعر نقل إلينا حياة العرب وعلومهم جميعا وهي كنوز بين جنابيه وظهرانيه لا يشكّ فيه ظانٌّ. ثمّ إذا أخذنا بضعف العرب في العلم والمعرفة فهم لم يكونوا أقلّ شأناً من الأمم الأخرى بل هم ندٌّ لها، و"أوّل ما يثير الانتباه في أمر الطّب الجاهليّ، أنّ معطياته ليست حكرا – في الأغلب الأعمّ – لشخص بذاته دون الآخرين، فكثير منها تكاد تكون بمثابة الإرث الجماعيّ، يشترك فيه معظم أفراد المجتمع، لكن بنسبة تختلف من فرد لآخر، ولعلّ هذا الأمر نفسه مشترك بين مختلف المعارف، كدأب الثّقافة الجاهليّة في كلّ اتّجاه، والّتي كانت تقوم على تزويد المرء بكل معارف محيطه وبيئته فيصيب بكلّ شيء بنصيب، فقد كانوا يتعلّمون الفروسيّة والشّعر وأخبار

---

[1] سعد اسماعيل شبليّ، الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ، مكتبة غريب، ط02، ص23.

القدماء وعلم النّسب والطّب في وقت واحد، وكانت مدرستهم الأساسيّة في كلّ ذلك مجالس القبيلة[1]"، "يبدو من خلال كتب الأمثال، أنّ الطّبّ النّسائي كان مزدهرا في الجاهليّة، وهذا لا يعني أنّه له اختصاصيين ماهرين على غرار ما لدينا اليوم[2]"، "وكما عرف العرب مداواة الأمراض على اختلاف أنواعها، فقد عرفوا شيئا من الجراحة متواضعا كتواضع حياتهم نفسها في نسق فطرتها[3]".

مارست المرأة في البيئة البدويّة من الصّناعات والأعمال العامّة ما يلائم البيئة؛ وما تحتاج إليه الأسرة، فربّت أولادها، واشتركت في الحرب وضمّدت جراح المقاتلين...وهي تداوي المرضى والجرحى بعيدا عن ميدان الحرب أيضاً؛ فقد كانت لكعيبة بنت سعد الأسلميّة خيمة بالمسجد تداوي فيه المرضى والجرحى؛...واشتهرت بعضهنّ في الطّبّ في الجاهليّة؛ كزينب طبيبة بني عوّاد، كانت تعالج الأبدان، وتطبّ العيون؛ وتداوي الجراح[4]"، "وكان الشّعر الينبوع الأوّل الّذي استقيت منه، لأنّه في الشّعر العربيّ كالآثار الماديّة، والآثار المعنويّة، وكلّ أمّة تعتمد في استيفاء مآثرها على ضرب من الضّروب، وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليّتها تحتاج في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشّعر الموزون والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها[5]".

وممّا ليس فيه شكٌّ هو أنّ العلوم متّصلة ببعضها البعض منذ زمن بعيد، فكلُّ العلوم فيما بينها متداخلة ومتفاعلة وهي أعضاء لجسد واحد؛ والشّعر علم من علوم العرب واحد من هذه الأعضاء الّتي تساعدهم كما يساعدونها فقد قيل الفلسفة أمّ العلوم؛ فمنها انبثقت العلوم الأخرى؛ وقيل أيضا "الجغرافيا أم العلوم "فكلُّ علمٍ يعتبر هو المصدر وهو الأصل يستفيد منه علم آخر، ولذلك" "لمّا رجعوا إلى الشّعر لاستخراج علمهم لم يكونوا بدعا في ذلك"[6]. وممّا هو متّفق عليه عند العرب والدّارسين والباحثين جميعا؛ هو أنّ الشّعر ديوانُهم الّذي تجتمع فيه مختلف أحوالهم الحياتيّة الاجتماعيّة والنّفسيّة والثّقافيّة وعاداتهم وتقاليدهم ولن تجد شيئا من حياتهم خارجا عن الشّعر؛ ولذلك كان ديوانَهم، فالشّعر وإن بدا بعيدا عن باقي العلوم فهو كان

---

[1] محمّد توفيق أبو علي، الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ، دراسة تحليليّة، دار النفائس، بيروت، ط01، 1988، ص174/173.

[2] محمّد توفيق أبو علي، المرجع نفسه، ص174.

[3] المرجع نفسه، ص178.

[4] أحمد محمّد الحوفي ، المرأة في الشّعر الجاهليّ، دار الفكر العربيّ، ط02، ص398.

[5] المرجع نفسه، ص08.

[6] محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ظ02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص 07.

بالأمس البعيد أصلُها، فأمّا اليوم تجلّى بوضوح حاجة جميع العلوم لبعضها مهما كلّف الأمر حتّى وإن ظهرت كالخطّين المتوازيين اللّذين لا يلتقيّان من مثل الآداب ومنها الشّعر وكذا باقي العلوم "فروّضت العلوم الإنسانيّة نفسها منذ قرون على النّظر إلى العلوم الطبيعيّة على أنّها نوع من الفردوس الّذي لن يتاح لها دخوله أبدا، ولكن فجأة ظهر منفذٌ صغيرٌ انفتح بين هذين الحقلين، والفاتح لهذا المنفذ هو علم اللّغة (الألسنيّة)"[1] "لم تشتهر أمّة بالشّعر، مثلما اشتهرت الأمّة العربيّة، فالشّعر كان يجري في عروقها، وينبض في قلوبها، تهتزّ لسماعه أحلامُها...ولهذا فلا غرابة أن يكون الشّعر ديوان العرب"[2] وقد جاء في طبقات ابن سلام الجمحي:" كان الشّعر في الجاهليّة عند العرب ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يبصرون"[3]، "ولد الشّعر العربيّ الجاهليّ نشيدا، إذن فقد نشأ مسموعا ، لا مقروءا، غني ولم يكتب، ...فهم لم يقتصر على أنّه كلاما؛ بل كلاما وشيء آخر"[4].

فالشّعر في العصر الجاهليّ هو الّذي جمع بين أبياته علوم العرب، فكلّ باحث في هذا العصر يعتمد الشّعر أوّلا مصدرا ومنبعا في دراساته المتعلّقة بمعارف العرب في هذا العهد، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول:" كان الشّعراء في الجاهلية يقومون من العرب مقام الأنبياء في غيرهم من الأمم... فلم يكن للعرب في العصر الجاهليّ علم أقوى من الشّعر، وعن ابن سيرين عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال:"كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه..."[5].

ونظرا لأهّميّة الشّعر وقوّته لِما جمع من معارف شتّى ونظرات حيّاتيّة ثاقبة من خبرة طويلة وتجربة مفيدة ذات جدوى فارعٍ عالٍ جعله المفسّرون مرجعًا وسندا لتفسير بعض الألفاظ الغامضة الّتي عسرت عليهم إلّا بالرّجوع إلى الشّعر"فعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن، فالتمسوه في الشّعر فإنّ الشّعر ديوان العرب، وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: من أراد أن يفهم كلام الله فعليه بديوان الجاهليّة، وقال :

---

[1] عبد الله محمّد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلة التشريحيّة، قراءة نقديّة لنموذج معاصر ، ط4، 1998، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ص06.

[2] زهير مصطفى اليازجي؛ وأحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرّفاعيّ للنّشر، دار القلم العربيّ، سوريا، حلب، 2005، ص05

[3] عفيف عبد الرحمان، الأدب الجاهليّ في آثار الدّارسين قديما وحديثاً، دار الفكر للنّشر عمّان، ص08.

[4] بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهليّ، رؤية نقديّة معاصرة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001، ص15.

[5] المرجع نفسه، ص08.

محاسن الشّعر تدلّ على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساوئها، وكتب مرّة إلى أبي موسى الأشعريّ: مُرْ من قبلك بتعلّم الشّعر، فإنّه يدلّ على معالي الأخلاق وصواب الرّأي ومعرفة الأنساب"[1] فالشّعر أصل المعرفة ومصدر العلوم عند العرب بخاصّة.

"ومع ذلك كلّه فقد وقف الجاهليّون على مجموعة من المعارف، تحصلت لهم من التجربة والمعاينة، فعرفوا أشياء عن النّجوم وموقعها؛ وسخّروا معرفتهم لهدتاية قوافل التّجارة[2]".

إنّ الشّعر هو المؤسسة الّتي تلتقي فيها جميع تخصّصات العلوم عند العرب في العصر الجاهلي، فهو يشكّل التّداخل والبينيّة ونقطة التّلاقي والتّفاعل بين مختلف العلوم العربية قديما في العهد الأوّل ممّا وصل إلينا؛ وهذا هو معنى كلمة ديوان حين نقول الشّعر ديوان العرب."الشّعر ديوان العرب؛ ويمكن القول : إنّه سجلّهم النّفيس الّذي حفظ تراثهم وتاريخهم وآدابهم وأخلاقهم، وإنّه متحفهم النّاطق الّذي دوّنوا فيه أخبار أبطالهم ووقائع بطولاتهم، وما تفرّدت به قرائح حكمائهم من حكم بليغة وأمثال بديعة وآيات في تجارب الحياة، ولولا الشّعر العربيّ لما عرفت الآداب العربيّة؛ ...ولولاه أيضا لما عرفت الجغرافيا العربيّة ومواقع الصّحراء؛ ومرابعها وواحاتها وجبالها ووديانها؛ فإنّ كل ذلك مدوّن في أشعار الشّعراء مخلّد فيها؛ ولولاه أخيرا لما اغتنت خزانة العلوم العربيّة بكل ما تحفل به الآن في مواضيع البلاغة والبيان واللّغة فضلا عن مواضيع العلوم الإنسانيّة"[3]، "وإذا كانت الشّعريّة سليلة علوم أخرى؛ فإنّها أرصت قواعدها؛ انطلاقا من تصوّرات ومفاهيم قائمة، ورامت إلى البحث عن عالم أدبيّ ونقديّ لغويّ من أجل الاستقرار فيه، فتبنت أطروحات علميّة وراحت تؤسس لخطاب نقديّ يسعى إلى احتواء مضامين المناهج النّقديّة الّتي سبقت وجود هذا الاتّجاه النّقديّ لتتموقع في فضاء ابستيمولوجيّ متعدّد المشارب والمناهل[4]".

---

[1] زهير مصطفى اليازجي وأحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، ص05.

[2] غازي طليمات، أ. عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، الأدب الجاهليّ، قضاياه، أغراضه، فنونه، ط01، مكتبة الإيمان، دار الإرشاد، بحمص، دمشق، 1992، 34.

[3] محمّد محمود محمّدين الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخريجي ،الرياض السعودية ط02- 1996، ص32.

[4] بن بغداد أحمد، صبار نور الدّين، شعرية المكان في الشّعر الجاهليّ، المعلقات العشر أنموذجا، بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتوراه في النّقد المعاصر، 2016/2015، ص19.

فالشّعر إذاً أداة التّاريخ الجاهليّ، ومصدر أساسيّ لارتباطه ارتباطا وثيقا بالأخبار، ولانعدام أدوات التّاريخ الأخرى أو لقلّتها على الأقل"[1]، "وإذا كان العرب في الجاهليّة لم يستطيعوا تخليد حياتهم وتاريخهم في كتاب أو على الآثار ، فقد خلّدوها على صفحات شعرهم الّذي ضمّنوه أخبارهم وحياتهم وأسماء بلادهم وحيوناتهم ونباتاتهم، وأودعوه عاداتهم وتقاليدهم ومعارفهم وحروبهم ومجتمعاتهم، حتّى كان الشّعر الجاهليّ أكبر مصدر تاريخي لحياة العرب الجاهليّة، وفيه أسماء محبوباتهم وأبطالهم وشعوبهم وقبائلهم وأيّامهم ووقائعهم وأسماء منازلهم ومياههم وعتاق خيولهم وأوصاف سيوفهم وملاعب ولدانهم إلى ما سوى ممّا سبق الإلمام به"[2].

وفي كل ما له علاقة بالعلوم، والجغرافيا واحدة من هذه العلوم فإنّ الجغرافيا بالضرورة مبثوثة في ثنايا القصائد بل إنّها تُشكّل أساسَه الفنـيّ والجماليّ. ففي القصيدة تجدُ كلَّ ما له علاقة بالجغرافيا بمختلف أنواعها البشرية والطبيعية والمناخية وليس أدنى ريب في ذلك؛ بل كانت مُنطلقَ القصيد إذ لا تخلو قصيدة واحدة من ذكر الأماكن "الأطلال" وهي أعلام جغرافيّة خلّدتها القصائد مسجّلة بماءٍ من ذهب، والّتي كانت تمثّل جوهر الشّعر؛ حيثُ ذِكرُها يبعث فيك انشراح الصّدر وراحة النّفس؛ ففي المكان كلام كثير وتأويل عميق وتفاسير مختلفة نفسيّة واجتماعيّة وثقافيّة وروحيّة، فالمكان أو الأعلام الجغرافيّة يسبر لك أغوار حياة العربي منذ العصر الجاهليّ إلى يومنا هذا. ولذلك "قلّما يخلو كتاب من كتب التّراث من معارف جغرافيّة؛ سواء أكانت هذه الكتب؛ كتب أدب أو تاريخ أو فقه أو حديث أو دواوين شعر، ومن المتّفق عليه تقريبا أنّه لم تظهر لدى المسلمين مصنّفات جغرافية متميزة بنفسها عن فروع المعارف الأخرى إلا بعد القرن الثاني للهجرة"[3].

فذكر الأعلام الجغرافيّة لابدّ منه في القصائد الشّعريّة وهي نُقطة لم يغفل عنها الشّعراء وأعطوها اهتماما عظيما بالتنوّع في ذكرها؛ فأهميّتها لا حصر لها من جانب الجماليّة والفنيّة ونقل أحاسيس الشّاعر وأخباره واخبار أهله وأهل القبيلة جميعا وعاداتهم وثقافاتهم وغيرها من الوقائع والأحداث والأيام وغيرها الكثير الكثير" ويعتمد الشّاعر في تحلية جيّد شعره بذكره الأماكن" ولمّا كان اهتمام الشّعر بالأعلام الجغرافية كبير لا حدود له فكان لابد للدارّس

---

[1] عفيف عبد الرحمان، الشّعر وأيام العرب في العصر الجاهليّ، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1984، ص16.

[2] محمّد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهليّ، دار الجيل، بيروت، ط1992،01، ص292.

[3] الحميدي يوسف بن عبد العزيز، ياقوت الحموي مؤرخا من خلال كتابه معجم البلدان، بيروت، لبنان، ط 01، 2014، ص125.

ضرورة أن يتوقف عند هذه الأعلام وأسماء الأماكن المذكورة فيه بالدّراسة والتّحليل العميق "ولمّا كان الشّعر العربيّ شعر مكانيّ في ارتباطه بالبيئة الّتي أنتجته والإنسان الّذي أبدعه كان لزاما على الدّرس الأدبي أن يلتفت إلى المكان فيه"[1].

وإذا "كانت الجغرافيا هي دراسة العلاقة بين الطبيعة والإنسان "فالجغرافيّ مضطرّ لدراسة الأدب الجاهلي وخاصّة الشّعر منه لتحقيق هذه الغاية الجغرافية خاصّة وإنّه غنّي جدّا وثريّ بالأعلام الجغرافيّة المدفونة منذ العصر الجاهلي كنزا باهضا فيه لم يُستغل، ومنه لا فرار للجغرافيّ من شعر العصر الجاهليّ وعلى رأسه المعلّقات ذلك لأنّه" من يتتبّع الشّعر الجاهلي يستطيع أن يعرف الكثير من المعارف والأفكار الجغرافيّة عند العرب، ذلك أنّ العرب سجّلوا أخبارهم وظروف بلادهم وأفكارهم في شعرهم، فالشّعر الجاهليّ من أصدق الوثائق الّتي يمكن الاعتماد عليها في دراسة ظروف بلاد العرب الجغرافية"[2] ولذلك " يعتبر الشّعر العربيّ من المصادر الّتي لا غنى عنها لمعرفة الكثير من جوانب حياة العرب في عصورهم قبل الإسلام، ورُغم أهمّيّة هذا المصدر العربيّ الأصيل إلّا أنّه بقي وإلى حدّ كبير دونما عناية مركّزة من قبل جمهور المؤرّخين المحدثين ليستخلصوا منه إضاءات لجوانب الحياة المختلفة للعرب في الجاهليّة...إنّ مصادر الحقبة الجاهليّة لا يجوز أن تحصر في كتب التّاريخ وحدها، بل لابدّ من تظافر الجهود لاستخراج المادّة التّاريخيّة والجغرافيّة والأدبية من دواوين شعراء الجاهليّة[3]" ما يحتاجه الجغرافيّ في دراسته الجغرافيّة من دون أدنى شكّ هو الأعلام الجغرافيّة؛ فكلّ دراساتها مرتبطة بها ارتباطا عميقا؛ حتّى لكأنّ الشّعراء في العصر الجاهلي وعلى رأسهم أصحاب المعلّقات قد استهلّوا قصائدهم بالأعلام الجغرافيّة؛ لكأنّهم كانوا يقصدون خدمة الجغرافيّ أوّلا قبل غيره من الجمهور المتلقّين ولنضرب أمثلة من المعلّقات فهذا امرؤ القيس يقول:[4]

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللّوى بين الدّخولِ فحوملِ.

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل.

---

[1] المرجع السّابق، ص125.

[2] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص06.

[3] جبران، روضة سحيم حمد آل ثاني، مؤسسة حمادة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، 1998، ص50.

[4] زهير مصطفى اليازجي، أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص140.

ففي هذين البيتين فقط خمسة مواضع ذكرها الشّاعر سقط اللّوى، الدّخول، حومل، توضح وأخيرا المقراة.

وأمّا عبيد بن الأبرص فيقول:[1]

أقفر من أهله مَلحوبُ فالقُطَبيّاتُ فالذَّنوبُ.

فراكس فثُعالبات فذاتُ فِرقين فالقَليبَ.

فعردَةٌ فقفا حِبرٍّ ليس بها منهمُ عَريبُ.

فكلّ الأسماء في هذه الأبيات هي أسماء لأماكن وهي طبعا تمثّل أعلاما جغرافية شامخة أمام الجغرافيّ.

وفي معلّقة الحارث بن حلّزة نجده يقول[2]:

آذنتنا ببينها أسماءُ رُبّ ثاوٍ يمُلُّ منه الثّواءُ.

بعد عهد لها ببرقة شما ء، فأدنى ديّارها الخلصاءُ.

فالمحيّاة فالصّفاح فأعلى ذي فتاق فعاذب فالوفاءُ.

فريّاض القطا فأوديّة الشّر بب فالشّعبتان فالأبلاءُ.

ففي البيت الأوّل لم يذكر شاعرنا اسم علم بيّن أو مكان واضح لكنّه حدّثنا عن جميع المعالم الجغرافيّة دون استثناء؛ وهو يرى بأنّها تملّ من المقيم بها طويلا؛ فتجبره على الرّحيل؛ ثمّ حدّثنا عن بُرقة شمّاء والديّار الخلصاء وأمّا البيتين المُواليين فكانت كلّها عن أعلام جغرافية وفقط دون زيّادة ومنها:(المحياة، الصّفاح، فتاق، عاذب، الوفاء، ريّاض القطا، أودية شربب، الشّعبتان وأخيرا الأبلاء)، ولا بأس أن نشير إلى أنّ المعلم الجغرافيّ الأخير(الأبلاء) قد ذكره الشّاعر **عبيد بن الأبرص وهو يقول:**

قالوا:نِمارٌ فبطنُ الخال جادهُما فالعسجديّة فالأبلاءُ فالرِّجلُ[3]

وإن كان ما توقفنا عنده متمثّل في الأطلال فهذا لا يعني أنّ الأمر متوقّف هنا بل في خضم القصائد كلّها فيضانات عارمة من الأعلام الجغرافيّة بمختلف أنواعها جبال وأوديّة ومياه ودارات وبرقة ومنها عن الجبال مثلا في قول امرؤ القيس:[4]

---

[1] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص176.

[2] المرجع نفسه، ص176.

[3] أحمد بن الأمين؛ الشّنقيطي؛ ، شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها، اعتنى به: عبد الرّحمان المصطاويّن دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2010، ص235.

[4] المرجع نفسه، ص42.

على قطن بالشيّم أيمن صوبه وأيسره على السّتار فيذبل

ففي بيت واحد لدينا ثلاثة أعلام لجبال وهي: قطن والسّتار ويذبل

والجبل الأكثر شهرة واستتعمالا هو جبل يذبل

ومن أعلام الجبال في معلّقة طرفة بن العبد قوله:[1]

فذرني وخُلقي؛ إنّني لك شاكرٌ ولو حلّ بيتي نائيًا عند ضَرغَدَ

فلفظة ضَرغَد كعَلم جغرافيّ لجبل من الجبال لا تتوقف عند حاجة الجغرافيّ لها فقط؛ وإنّما هي أيضا لفظة جميلة بأصواتها الرنّانة الجذّابة فلها شاعريّة خاصّة كما قال عبّاس محمود العقّاد في كتابه اللّغة الشّاعرة تجعل الصّدر منشرحا والنّفس مرتاحة والقلب كبير والرّوح في الفضاء تسبح والأبيات تنير وتزيدك تعلّقا وتشبّثا بالقصيدة لتواصل طرب أذنيك؛ وهذا لا يكشف إلّا عن قيمة وقمّة الأعلام الجغرافية في القصيدة الجاهليّة، فقد تركت بلا شكّ لمسة فنّية جماليّة بين العينين في الجبين لا تنسى سرمد الزّمن.

كما نجد أيضا من الأعلام الجغرافيّة ذكرا للبرق والدّارات ومن ذلك مثلا برقة ثهمد في معلّقة طرفة بن العبد حيثُ يقول:[2]

لخولة أطلالٌ ببرقة ثَهمد تلوحُ كباقي الوشمِ في ظاهرِ اليدِ

وما قُلناه عن لفظة ضرعد ينطبق تماماً على لفظة ثهمد من السّحر والجمال ولذّة أصواتها العذبة الرّنّانة.

وعن الدّرات يقول امرؤ القيس:[3]

ألا ربّ يوم لك من هنّ صالح ولا سيّما يوما بدراة جلجل

ولك أيضا هنا أن تتوقف عند لفظة جُلجُل الفاتنة، فالمعلّقات غنيّة جدّا بذكر الأعلام الجغرافيّة الّتي زيّنت القصائد الشّعريّة وكشفت عن مدى خبرة الشّاعر بأرضها الّتي يقطنها ومدى اطّلاعه على أعلامها ومعرفته لها وكذا إحاطته بها؛ فلا يخفى عليه شيء إلا وتفحّصه وتمعّنه بالدّقة والتّمحيص والنّقل بالتّفصيل، نقلا محكما يتناسب ونفسيّة العربيّ وموسيقى شعره وبحره، فهو اتّساق وانسجام وتلاحم جَمع بين الشّاعر وثقافته وأحاسيسه والمتلقّي وذوقه وما يريد أن يجده من لذّة في الشّعر، ولأنّ العرب أبناء بيئتهم ولم يسافروا إلى خارجها أو هجروها

---

[1] المرجع السّابق، ص73.

[2] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص51.

[3] المرجع نفسه، ص10.

إلّا لضرورة التّجارة، فكان ولعهم بها وشغفهم كبير جدّا، وكانوا على معرفة تامّة بجزيرتهم باعاً باعاً وشبراً شبراً ولذلك كانت جزيرتهم حاضنة للكثير من الأعلام الجغرافيّة على كلّ مكان أقاموا فيه أو سكنوه "ولعلّ أبرز ما ترك فيه العرب مادّة وفيرة هو مجال ذكر الأماكن المختلفة في الجزيرة العربية، ولم يتعدّ ذكر الأسماء حدود جزيرتهم إلا نادرا"[1]، وإنّ هذه الأعلام الّتي علِموه جيّداً قلباً وقالبًا ونوعاً وكثرةً وتنوّعاً، وحبّاً وشغفاً؛ والّتي ذِكرُها يرجُّهم رجًّا ويُزَلزلهم زِلزالاً؛ فيلتجّون ويرتجّون عند سماعها لأنّهم سكنوها كما سكنتهم؛ فلهم فيها ذكريات منقوشة في الأذهان لا تمحُها الأيّامُ (الحروب) ولا الأمنُ ولا الاستقرارُ؛ ولا تمحُها الأيّامُ ولا السُّنونُ، وإنّ هذا دَفع شعراءُ المعلّقات الأنموذج والشّعراء عامّة إلى الحديث والتطرّق في شعرهم إليها لما يُدركونه يقينا من صدى مديد و مدى بعيد عند الجمهور العرب المتلّقين بمختلف ألوانهم وشرائبهم.

وممّا اتّسم به فعلاً وحقيقةً الشّعرُ العربيُّ الجاهليُّ عن غيره من الشّعر العالمي هو تميّزه وتفرّده الجليّ باهتمامه المبالغ فيه بذكر الأماكن والمواضع والأعلام الجغرافيّة وهذا لمعرفته المسبقة بقيمتها وأهمّيّتها في الشّعر وعند العرب، ولذلك كلّه صار إلزاميّاً على الجُغرافيّ العربيّ العودة إلى الشّعر الجاهلي جميعاً؛ وما المعلّقات إلّا أنموذجا لا أكثر وهو كلام يؤكّده الكثير من النقّاد والدّارسين "ويذكر كراتشوفسكي أن ذكر المواضع كثر وُرودُه في الشّعر العربيّ بصورة ربّما كانت الوحيدة من نوعها في الأدب العالميّ، ذلك أنّ من عادة الشّاعر العربيّ أن يخصّص القسم الأوّل من القصيدة لذكر المحبوب والأطلال، وحيثُ كانت تَنزلُ قبيلتُه من وقتٍ لآخرَ، ويُعرفُ هذا القسمُ من القصيدِ بالنسيبِ... هكذا يتّضح لنا أنّ معارف العرب الجغرافيّة قبل الإسلام قد ارتبطت بظروف بيئتهم ومتطلّبات معيشتهم، وأنّهم أَودَعوا الشّعرَ الجاهليَّ جُلّ أفكارِهم ومعارِفِهم الجغرافيّةِ، حتّى لقد قال أبُو هلال العسكري "إنّ الشّعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها، إنّ الشّعر العربيّ مرجعٌ مهمٌّ يمكنُ من خلاله تتبُّع معارف العرب الجغرافيّة، لاسيّما فيما يتعلّق بأسماء الأماكن والأعلام الجغرافيّة، وكان البدوُ كثيراً ما يسترشدون بأبيات الشّعر وما بها من أعلام جغرافيّة ليتبيّنوا طريقهم في شبه الجزيرة الواسعة، وساعدهم في ذلك حفظ الشّعر عن ظهر قلب"[2].

[1] محمّد محمود محمّدين الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، درا الخريجي ،الرياض السعودية ط02،1996، ص135

[2] المرجع نفسه، ص135

فكان للشّعر دورٌ بارز وأهميّة قصوى وكبيرة؛ كما وقد كان قويّا وفعّالا في نقل الأعلام الجغرافيّة والتّعريف بها للنّاس وهم يتلقّفونها حفظاً ولهفاً ونهماً يردّدونها لا ينقطعون؛ نظرا لحاجتهم الماسّة إليها لضرورة التنقّلات الطَّرديّة والتّجاريّة والحربيّة وغيرها من البواعث والدّوافع الكثيرة؛ فهي ليست فقط للعُشب والكلأ والماء "إنّ تحديد الشّعراء لهذه المواضع لم يقتصر على كونها مناطق خِصبة اتّخذتها القبائلُ مرابعَ تنعُمُ بخصبِها ومياهِها، وإنّما هي شيءٌ غيرَ هذا، فالشُّعراءُ حاولوا أن يُحدّدوا لنا هذه المناطق، ويرسموا أماكنها بكلِّ دقّةٍ، وما كانوا يجدونه فيها، وبهذه المعلومات يوضِّحون أخباراً تاريخيّةً، ويصوّرونَ تخطيطًا جغرافيّاً يمكن الانتفاع به، لأنّه يلقي أضواء قويّة على هذه المناطق الّتي لم تزل مجهولة، وفي هذه النّاحيّة تكمن أهميّة الشّعر الجاهليّ، الّذي يُعدُّ من أصدق الوثائق صحّة وتوثيقا"[1].

2. النّقد والعلوم الأخرى:

يمثّل الشّعر ديوان العرب ونقطة مفترق علمهم كما وأنّه نقطة تقاطعها ومنبعها وانطلاقتها، فالشّعر محتوى ووعاء لعلوم عربيّة شتّى، ولمّا كان الشّعرُ بهذا المنظور أوجب على النّقد إعادة النّظر إلى نفسه، فاعتماد الذّوق وحده كما كان سائرا وسائدا؛ فضعيف وضيّق وظهور المناهج السيّاقيّة الواحدة تلوى الأخرى أيضا لم يُجد فائدة، لتظهر المناهج النّقديّة النّسقيّة النصّانيّة واعترفت هي الأخرى بعجزها في الإحاطة بما تضمّنه الشّعر والأدب من أفكار تفيض كالسّيل العرم جارفة، فاظطرّ مرّة أخرى للبحث عن سبيلٍ لعلّه يجد طريق الرشّاد؛ فيلمّ بما جاء في فحواه مستندا على العلوم الأخرى المتنوّعة "وعليه رأى النقّاد ضرورة الاستعانة بالعلوم المجاورة لحقل النّقد للإجابة عن أسئلته في دراسة المنتج الأدبي"[2].

لقد أصبح النّقد اليوم أكثر اتّساعاً وعمقاً ودقّةً حيثُ "تخضعُ الممارسةُ النقديّةُ إلى تجاذبات حقول معرفيّة أخرى تتجاوز حقل النّقد الأدبيّ، ومن ثمّ لا يمكن بأيّ حالٍ عزل الظّاهرة الأدبيّة عن بقيّة الحقول المعرفيّة الأخرى"[3]، فأجبر هذا النقّاد للبحث في تخصّصات أخرى ليكون أكثر علميّة وثبوتيّة ونتائج شاملة ومحيطة بأغواره وألوانه فأوجب هذا تداخل المعارف والعلوم

---

[1] محمّد محمود محمّدين الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، درا الخريجي ،الرياض السعودية ط02- 1996، ص22.

[2] بن يوسف خضرة، خيرة مكاوي، النظرية الشّعريّة الموسعة لمحمّد مفتاح، نظريّة نقديّة متعدّدة التخصّصات أعمال الملتقى الدوّلي الافتراضي التّاسع لتحليل الخطاب " الدّراسات البينيّة في اللّغة والأدب والنّقد" ماهيتها وطبيعتها ومصادرها، 15، 16. 2022، إشراف وتنسيق الدكتورة هنية عريف، ص203.

[3] المرجع نفسه، ص209

إذ "كان التّداخل بين النّقد وعلوم اللّغة والبلاغة تداخلاً حتمياً باعتبارِ الأدبِ منتجٌ لغويٌّ وخطابٌ جماليٌّ فنّيٌ بالدّرجة الأولى"[1]، فإذا كان الأديبُ والشّاعر صاحبُ ثقافة فعلى النّاقد أن يكون الأوسع والأروع والأشجع؛ ولن يكون شجاعاً إلاّ إذا كان واثقا من نفسه ولن يكون واثقا من نفسه إلّا إذا كان بحرا من العلوم، وهو أيضا المبدع، "لقد حاولت أن أتعامل مع التّراث النّقديّ والبلاغيّ على أساس من النّظر إلى علاقته المتفاعلة بغيره من العلوم والمعارف الّتي ساهمت في إثرائه أو توجيه مسار قضاياه الأساسيّة المرتبطة بمبحث الصّورة، مثل الفلسفة وعلم الكلام، واللّغة والتّفسير[2]".

على النّاقد أن يكون ذا باعٍ كبير وثقافة عظيمة وعلوم جمّة، ويجب عليه أن يُواكب تطوّرات العصر ورقيّ الحضارات بما جمعته من علوم "فلِنُقّادِ الأدبِ مَقدرةٌ خاصّةٌ على قبول التطوّرات الجديدة في العلوم الأخرى، وليس لديهم التزام يقيّدهم كالتزام المختصّين في تلك الحقول الّذين يتردّدون في قبول ما يعارض المألوف عندهم، وعلى الرّغم من وجود التزام خاصّ بالنقّاد يمنعهم من قبول بعض النظريّات الغربيّة إلّا أنّهم دائما على استعداد لتقبّل أيّ تحدٍّ يهزّ التّقاليد المُتعارف عليها في علوم النّفس والاجتماع والفلسفة والأنثروبولوجيا، وهذا هو ما يجعل النّظريّة أو نظريّة الأدب مضماراً حيّاً لمناقشة حيّة"[3]، ومن هذا كلّه سينتج إبداعاً منقطع النّظير "وهذه نقلةٌ باهرةٌ في هذه المرحلةِ العصريّةِ أنجزها نقّادُ مَهَرةٌ جاءوا إلى الأدب من تخصّصات أُخرَ فأَغنوا التّجربة النقديّة بما حملوه إليها من نظريّات نفسيّة واجتماعيّة وفلسفيّة حديثة"[4]. ولقد نتج عن تمازج النّقد بالعلوم الأخرى وتلاقحه بها أنواع نقد جديدة نذكر منها:

النّقد الموضوعاتي:

لقد نتج عن هذا التّفاعل بين النّقد والعلوم الأخرى بروز النّقد الموضوعاتيّ، و"إنّ النّقد الموضوعاتيّ مقاربة قرائية بينيّة للخطاب الأدبيّ وهو مقاربة بينيّة للخطاب الأدبيّ لأنّه يتناول الظّاهرة الأدبية بما هي موضوع معقّد متعدّد الجوانب؛ ولأنّه موضوع تجربة إنسانيّة ذات قيمة

---

[1] المرجع السّابق، ص209.

[2] جابر عصفور، الصّورة الفنيّة في التّراث النّقديّ والبلاغي عند العرب،المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط03، 1992، ص407.

[3] عبد الله محمّد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلة التشريحيّة، قراءة نقديّة لنموذج معاصر ، ط4، 1998، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ص62.

[4] المرجع نفسه، ص63.

نفسيّة واجتماعيّة وجماليّة ولأنّه ينظر إلى العالم من خلال موضوع يختاره القارئ ليصل منه إلى تجربة المبدع الاجتماعية أو النفسية أو الثقافية، ... إنّ الموضوع حيّز بينيّ لأنّه خلاصة الرّوافد الثّقافيّة والاجتماعيّة والنفسيّة، ولأنّه حركة الفكر المتّجهة إلى أثر من الآثار وهو أخيرا عنوانٌ من عناوين الرّغبات القرائيّة ويمكن للنّص نفسه أن تتراكب مستويات تقطيعه الموضوعاتيّ، فيكون ذلك مظهرا من مظاهر ثرائه الثّقافيّ والجماليّ"[1].

النّقد الثّقافي: وكما نتج أيضا عن التّفاعل والتّلاقح بين النّقد وباقي العلوم غيره الخارجة عنه النّقد الثّقافيّ و"يعدّ النّقد الثّقافيّ واحدا من التّيارات النقديّة الحديثة الّتي اتّصفت بالتّكامليّة، فقد وسّع دائرة اهتمامه وانفتح على فضاءات العلوم الأخرى... أفاد النّقد الثّقافيّ من التّحليل النفسيّ وعلم النفس، فالنّقد الثّقافي كما ذكرنا عنه سابقا نقد تكامليّ عابر للحقول المعرفية ويمكن وضعه أنّه أقرب للدراسات البينية Interdisciplinary الّتي تفيد من المناهج والدّراسات المتنوّعة."[2]

3. المقصود بالأعلام الجغرافيّة:

العلَمُ لغةً:

"العلَم: المنار، قال ابن سيّدة: والعَلامة والعلَمُ : الفَصل يكون بين الأرضين، والعَلامة والعَلَم: شيءٌ يُنصَبُ في الفَلَوات تهتدي به الضّالّة. وبين القوم : أُعْلُومة، كَعَلامة (عن أبي العمَيْثَل الأعرابيّ)، **وقوله تعالى:** ﴿ولهُ الجوار المنشآت في البحرِ **كالأعلام**﴾ سورة الرّحمان، الآية: 24، قالوا: الأعلام: الجبال، والعَلَمُ: العَلامة والعَلَمُ: الجَبَل الطّويل، وقال اللّحيانيّ: العَلَمُ: الجبل الطّويل؛ فلم يخصّ الطّويل **قال جرير:**

إذَا قطعنَ علماً بدا علمٌ حتّى تناهينَ به إلى الحكمِ

خليفةُ الحجّاجِ غير المتّهمِ في ضِئضئِ المَجد وبُؤبُؤِ الكَرمِ

(وفي الحديث لينزلنّ إلى جنب عَلَمٍ) **والجمع: أعلام وعِلام**"[3]

[1] عبد الله محمّد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلة التشريحيّة، قراءة نقديّة لنموذج معاصر، ط4، 1998، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ص65.

[2] نزار جبريل السّعوديّ، تفاعل النّقد الثّقافي مع المناهج النّقديّة والمعارف المتعدّدة، قراءة لأهمّ المفاهيم الرّئيسيّة، مجلّة جامعة الشّارقة للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المجلد، 14، العدد 02، ديسمبر، 2017، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، ص219.

[3] ابن منظور، لسان العرب، تولّى تحقيقه: عبد الله علي كبير، محمّد أحمد حسب الله، هاشم محمّد الشّاذلي، دار المعارف، كورنيش النّيل، القاهرة، ص 3084

الأصل في معنى الأعلام هو الجبال يقول الشّاعر لبيد بن ربيعة العامريّ في معلّقته:

فعَلَوتُ مُرتقباً على ذي هَبوَةٍ حَرِجٍ إلى أَعلامِهِنَّ قَتَامُها[1]

"والأعلام: الجبال والرّايات[2]".

"فهذا كتاب: الجبال والأمكنة والمياه، للزّمخشريّ، وهو كتاب عظيم النّفع في معرفة: الجبال، والأمكنة والسّهول، والأودية والمياه في الجزيرة العربيّة بل هو أصل فيها، إذ هو من أهمّ الكتب الّتي بين أيدينا الّتي حوت هذا العلم واهتمّت به، فهو من الأصول الّتي تلزم من يريد معرفة هذه الأماكن؛ الّتي منها نشأت دعوة الإسلام؛ وانتشرت في عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلم، فلا يستغنى عنه دارس لكلام العرب، أو لأحاديث النبيّ صلّى الله عليه وسلم حتّى يعايشها، أو دارس للغزوات أو سير الصّحابة، أو الأدب أو جغرافيّة الجزيرة العربيّة..أو غير ذلك، فضلا عمّن يريد أن يعرف طبيعة هذه البلاد، فهو في تدوين جغرافيّة البلاد، وأخبار أماكنها ومياهها وجبالها، وقد استقى الزّمخشريّ مادّته ممّا وُجد في أشعار المتقدّمين من الجاهليين[3]"، "يرى الكاتب أنّ الله عزّ وجلّ أراد لسطح الكرة الأرضيّة أن يكون متنوّعا متباينا في مظهره التّضاريسيّ، للتنوّع خيرات الأرض بما فيها من نعم؛ خصّها اللّه للإنسان،...ومع تعدّد أشكال سطح الأرض من سهول وهضاب إلى جبال بأنواعها المختلفة، تتنوع النّعم من مكان لآخر ومن زمن لآخر أيضا، ولقد اقترنت الأرض في القرآن الكريم بمعاني الخير والبركة، وجعلها الله تعالى فراشا ومهادا وموطئا وقرارا يستقرّ الإنسان عليها وينتفع منها في حياته ومعيشته، فيوظّف الإنسان تضاريس الأرض أيّا كانت لمنفعته فتتنوّع طرائق معاشه...ويد الإنسان مبسوطة على العالم (سطح الأرض)...ولقد خلق الله جميع ما في العالم للإنسان[4]"

تحظى الأعلام الجغرافيّة في الشّعر بحظوة عظيمة لدى شعراء العصر الجاهلي بارزة لافتة لا غبار عليها لأنّهم يدركون يقينا بأنّ العرب مولعون بها فهي لها ارتداد على النّفس يهزّ كيانهم من الدّاخل؛ وبين الأعلام الجغرافيّة والشّعر علاقة عملاقة وعظيمة وقد تفطّن الشّعراء منذ العاصر الجاهليّ إلى ذلك ممّا جعلهم يستهلّون قصائدهم بها في جميع المعلّقات،

---

[1] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص125.

[2] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] أحمد عبد التوّاب عوض، الزّمخشريّ، الجبال والأمكنة والكياه، دراسة وتحقيق: دار الفضيلة، القاهرة، ص05.

[4] عطية محمّد عطية، الظواهر الفلكيّة والجغرافيّة في القرآن الكريم، مكتبة المهتدين، ط01، 2012، دار يافا العلميّة، ص336.

والمقصود بالأعلام الجغرافيّة: "اسم يطلق على أيّ معلم على سطح الأرض، وهو حالة خاصّة من الاسم الطّبوغرافيّ الّذي يشمل أيضا اسم أيّ معلم على الأرض أو خارجها (الكواكب والنّجوم)[1] "والمعلّقات غنيّة وثريّة بالأعلام الجغرافيّة فبها وعنها حدّث ولا حرج بأسماء المواضع الّتي تقف كالأعلام شامخة ترفرف تلفت الانتباه والأنظار في منطلق كلّ المعلّقات جميعا بل والشّعر الجاهليّ كلّه تقريبا، ولقد "عاش الإنسان دهرا على الأرض دون أن تكون به حاجة إلى تسمية المواقع الّتي مرّ بها أو عاش فيها، وما نراه اضطرّ إلى ذلك بعد أن استقرّ في أماكن بعينها، واعتاد السّير في أماكن معلومة، لأنّ تلك المواقد قد أصبحت جزءا من معرفته، ومعرفة قومه، فأطلقوا عليها أسماء هي بمنزلة االعلامات، من شأنها أن تميّز موقعا عن موقع، وتستحضره في مخيّلة السّامع[2]".

وتعتبر الرّحلة من أهمّ أسباب تسمية المعالم الجغرافيّة والتّعرّف عليها لاعتمادها عند التّنقّلات ضرورات حتّى لا يتيه في قفار الأرض وفيافيها "ولعلّ أبرز دور قامت به الرّحلة...هو الخدمة الكبرى الّتي قدّمتها لعلم الجغرافيا، فقد كان الرّحّالة في وصفه للمسالك والممالك معينا للجغرافيّ، لأنّه يكتب بقلم الّذي اتّصل بالظّواهر الجغرافيّة والطّبيعيّة اتّصالا مباشرا، فرأى وسمع، كما أنّه كان ذا نفع للمؤرّخ ولعالم الاجتماع وللأديب والفلكيّ والفيلسوف والسيّاسيّ والاقتصاديّ[3]" وقد كان الشّعراء أكثر ترحالا وظعنا بين الأعلام الجغرافيّة.

والحديث عن الأعلام الجغرافيّة لا يختلف عن الحديث عن أعلام النّاس وغيرهم، ذلك أنّ العَلَم هو بمعنى العلامة، وكلاهما يقومان دليلا على المعلوم، لا يكون إلّا بالتّحديد عن قصد، وبنية مسبقة، فما أكثر ما يمرّ به الإنسان من مواقع، ويراه من نجوم...ولكن قليلا منها اختصّ بعلاقة مميّزة بالإنسان، ليجد نفسه مضطرّا لتمييزه بعلامة (عَلم) أو وسم (اسم) والاسم إن تكن معنيا بمدلوله ومسمّاه فإنّ معرفتك به وجهلك يستويان، ككثير من النّاس وهم جميعا يعرفون بأسمائهم، تمرّ بهم لا يعنونك، ولا تجد في نفسك حاجة لمعرفة أسمائهم[4]"، "وأسماء

---

[1] إبراهيم موسى الزقرطيّ، أسس الأسماء الجغرافيّة، المركز الجغرافيّ الملكي الأردنيّ، عمان. ص11.

[2] يحي جبر، الأعلام الجغرافيّة دراسة في تكوّنها وفلسفتها، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد: 80،دار المنظومة، 2021.

[3] فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التّراث العربيّ، مكتبة الدّار العربيّة للكتاب، منتدى سور الأزبكيّة، مدينة نصر ، القاهرة، ط02، 2002، ص23.

[4] يحي جبر، الأعلام الجغرافيّة دراسة في تكوّنها وفلسفتها، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد: 80، دار المنظومة، 2021، ص39.

الأعلام تواضع واصطلاح، والأكثر فيها أن تكون مرتجلة أو أعجميّة لا مساغ فيها للاشتقاق[1]".

لقد وهب الشّاعر هذه الأعلام الجغرافيّة هديّة ولأغلى عندما حوّلها من ألفاظ منسيّة مجهولة إلى ألفاظ منمّقة جميلة تسكن النّفس وتطمئن إلى ذلك "فلا قيمة للكلمة من دون الجملة، مثلما أنّه لا وجود للجملة من دون الكلمة"[2]، وإنّ الشّاعر لذكيٌّ في انطلاقة نصوصه بالأعلام الجغرافيّة وهو يجعل منها إشارات ورموز تدلّ على معانٍ جمّة متنوّعة وكثيفة من خلال التّأثير في الذّهن، واختياره للأعلام المناسبة والموازية لموسيقى نظمه فلا تخرج عنها عروضا ولا صوتا ولا إيقاعا "ولذلك فإنّ الشّعر خاصّة يعمد إلى تكثيف اللّغة، من خلال التّركيز على توازنها الصّوتي والإيقاعيّ، وعلى استخدام الصّوّر الّتي تتكوّن في داخل سيّاق النّصّ، ممّا يصرف نظر المتلقّي بعيدا عن الدّلالات المرجعيّة للكلمات، ويحوّله إلى ما في لغة النصّ من خصائص فنّيّة شكليّة...وتتحوّل الكلمة عندئذ إلى إشارة لا لتدلّ على معنى وإنّما لتثير في الذّهن إشارات أخرى، وتجلب إلى داخلها صوّرا لا يمكن حصرها، وهذا ما سمّاه القرطاجني بالتّخييل"[3].

وإنّ موضوع الأعلام الجغرافيّة رحب شاسع، شساعة الأرض والسّماء، فالأسماء الجغرافيّة غير مقتصرة على غلاف الأرض فقط بل تطير عالياً في السّماء والفضاء ولذا "بقي لنا أن نحدّد مفهوم الطّبيعة ما دامت أسماء الأماكن تمسّ حتّى التّضاريس من وديان وشعاب وجبال وسهول وبحار وغابات وحقول ومسطّحات مائيّة وحتّى الأجرام السّماويّة"[4]، فالأعلام الجغرافيّة تجمع ما بين الأرض والسّماء وليس يوجد موضوع آخر له هذا الدّور الخلاّب الّذي تصنعه هي، "بينما يتردّد بسّام بركة بين تعريبه (البروكسيميا) وترجمته إلى علم المكان، وذلك في مقالته الرّائدة البروكسيميا؛ أو علم المكان...نستعمل هنا كلمة (proxemique) نظرا لعدم

---

[1] المرجع السّابق: ص40.

[2] عبد الله محمّد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلة التشريحيّة، قراءة نقديّة لنموذج معاصر، ط4، 1998، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ص 381.

[3] عبد الله محمّد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلة التشريحيّة، قراءة نقديّة لنموذج معاصر، ط4، 1998، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ص 26، 27.

[4] عبد العزيز شويط، أثر البيئة في المنجز النّقديّ المغربيّ القديم، دراسة في طوبونيميّة المواقع والأعلام لصياغة الذّوق النقديّ ودربته، جامعة جيجل، مجلة المقال ، العدد 04، ص 179.

وجود مقابل لها في اللّغة العربيّة، ويمكن أن نقول أنّها (علم المكان)"[1]، "ونظرا إلى أنّ البروكسيميكا وثيقة الصّلة بالمكان espace، كما أنّها متّصلة بالكون المكانيّ، بحكم كونها اتّجاها سيميّائيّاً على صفة مباشرة بالدّراسات السّرديّة، فإنّ (علم المكان) يبدو أقربَ منطقيّاً من هذا المفهوم، ولعلّ ما يعزّز ذلك هو هذا التّعريف الّذي يصادفنا في معجم متخصّص يقدّم البروكسيميكا بأنّها علم للمكان / الفضاء sience de lespace بين الكائنات الحيّة، ولتنظيم المكان حيثُ يحيون"[2].

والمقصود بالبروكسيميكا هو "إنّه جزء من نظام التّصنيف البروكسيمكي ويدلّ ضمناً على مجموعة مستويات محدّدة للعلاقات مع أجزاء أخرى من النّظام، وكما سيتذكّر القارئ فإنّ مصطلح البروكسيميكس يُستخدم لتعريف المشاهدات والنّظريّات ذات العلاقات المتبادلة لاستخدام الإنسان للحيّز"[3]. ومن هنا نجد أنّ المكان عامّة والمعالم الجغرافيّة خاصّة تعتبر الأركان الأساسيّة والأعضاء المهمّة والعناصر البالغة الأهمّية للكثير من العلوم ومنها الشّعر، وهي بذاك تشكّل تداخل وبينيّة تجمعهم، وجسر عبور يسهّل التنقّل عبرها بين هذه العلوم.

4. علاقة الشّاعر بالأعلام الجغرافيّة:

إنّ علاقة الشّاعر بالأرض الّتي يسكنها علاقة حبّ وألفة وحنين ورأفة وشفقة، وقد جعلها أعلاما جغرافيّة تلمع في الآفاق يعلمها ويعرفها الجميع ممّن يقطنون الأرض، ذاع صيتها بين العرب ثمّ انتقلت إلى العالميّة "فالجاهليّ بعامّة علوق بالأرض، مُرتهن لها، وهو مرتبط بعبثيّة المصير الّذي يعانيه"[4]، "إنّ علاقة الإنسان بالمكان وثيقة الصّلة فمن خلاله يجد ذاته وعليه يجري فعاليّاته المختلفة، فالإنسان أكثر المخلوقات التصاقا بالمكان، وقد تناول الفلاسفة هذه العلاقة، فالفلاسفة الإغريق قد تأمّلوا المكان وأكثروا من تصوّره فهو عندهم يجسّد البُعد المجرّد الموجود، وهو عند أفلاطون (إطار موجود بالضّرورة منذ الأزل، مستقلّ عن الصّانع)، فهو

---

[1] خالديّة جاب الله، مصطلح البروكسيميكا proxemic وتوظيفاته المكانيّة في الممارسات النّقديّة الجزائريّة، مجلّة القارئ للدّراسات الأدبيّة والنقديّة واللّغويّة، المجلّد 05، العدد01، مارس 2022، ص72.

[2] المرجع نفسه، ص73.

[3] إدوارد تي هو، ترجمة لميس فؤاد اليحي، مرجعة وتدقيق: محمود الزواويّ، البُعد الخفيّ، الأهليّ للنّشر، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، عمّان، ط01، 2007، ص139.

[4] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01،ص72

من أهمّ مصادر الوجود وحين وضع أرسطو المقولات (الكم والكيف، والإضافة، والزمان، والوضع، والحالة، والفعل، والانفعال...جعل المكان من أهمّها... ولعلّ الفكرة الرّئيسة الّتي استنتجها أنشتاين في نظريّته النسبيّة مفادها: (أنّه ليس من الممكن أن يفصل بين الزّمان والمكان إطلاقاً، بل يكوّنان كلّا متّصلا يُسمّى متّصل الزّمان والمكان...(فالمكان بلا زمان لا يصبح مكاناً وإنّ المكان بلا حركة إنسانيّة لا يغدو مكاناً)، فالمكان جزء من تكوين الإنسان، وهو مثال حيّ على التطوّر والتّغيير وسجّل أمين وحافظ لأفعال البشر"[1].

فتأثير الأعلام الجغرافيّة في العرب والشّعراء والفرسان تأثير كبير جدّا حيثُ "هكذا تقوم نفسيّة الفارس الجاهليّ على نقيضين: الذّات الخاضعة للمكان، والذّات الرّافضة ضمنيّا، والّتي تبحث عن إثبات وجودها في الخارج، وتحويل النرجسيّة إلى فعل كينونةٍ يقضي بطريقة غير مباشرة على الصّيرورة"[2] فأضحى واضحاً دور الأعلام الجغرافيّة في بناء الإنسان وتشييد الشّخصيّة العربيّة؛ وقد حوّلها الإنسانُ الشّاعر بدوره إلى نشيدٍ مترنّمٍ وسط الأبيات الشّعريّة. وهي الأخرى لقد زجّت به لقول الشّعر:" "يقوم النّقد الاجتماعيّ للأدب على أساس العلاقة بين الأديب والبيئة، فالأدب لا ينشأ من فراغ، وإنّما هو نتاج إنسان يعيش في زمان معيّن ومكان معلوم، فهم متأثّر بهما أراد أو لم يُرد، أدرك ذلك أم غاب عنه، وليس هناك أدب نعرفه يبيّن عن هذه الحقيقة أفضل من الأدب الجاهليّ، فهو كالمرآة يعكس لنا حياة العصر في قوّة ووضوح بخيرها وشرّها، والشّكل الّذي اتخذته القصيدة الجاهليّة مرتبط بالحياة الّتي عاشها مقصّدو القصيد، نابع منه"[3]، "وللمكان دور متميّز في تشكيل النّصوص الشّعريّة، بل إنّ المكان بما يحمله من ملامح مادّية ومعنويّة، يثير إحساسا ما بالمواطنة، وإحساسا آخر بالزّمن والمحلّية، حتّى لتحسبه الكيان الّذي لا يحدث شيئا بدونه"[4]، "ليس أحدٌ أخبرَ بالمراعي من العرب، لأنّ جلّ حياتهم رعيٌ؛ وجلّ ثروتهم إبل وشاء"[5] ، ولذلك "على النّاقد والباحث عن

---

[1] سعد سامي محمّد، إشراف: جنان محمّد عبد الجليل، الأنا والآخر في المعلّقات العشر، إلى مجلس كلّية الآداب في جامعة البصرة في قسم اللغة العربيّة وهي جزء من نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، 2012، ص136

[2] المرجع نفسه، ص74.

[3] أبو عبد السّلام الإدريسيّ، تحليل من انموذج الشّعر الجاهليّ، كلية متعددة التخصصات، الناظور. وحدة الشّعر القديم، 2015/2014، ص04.

[4] بور سعيد، سوسن رجب حسن، المكان وتشكيلاته في شعر السيّاب، دراسة نقديّة تطبيقيّة،مجلة كلية الآداء العدد: 07، 2016، ص99.

[5] أحمد محمّد الحوفي ، المرأة في الشّعر الجاهليّ، دار الفكر العربيّ، ط02، ص429.

جماليات النّص الشّعريّ وتشكيلاته أن يكشف عن طريقة تشكيل الشّاعر للمكان...فمن خلال التّوظيف الجيّد للمكان تتّسع رؤية الشّاعر وتزداد وضوحا وعمقا"[1] ، "وقد يأتي المكان في الشّعر مختلطا ومنصهرا ومترابطا في الفكرة والعاطفة والبناء الفنّي العام"[2] تتلوّن عاطفة الشّعر بألوانٍ مختلفة مع الأعلام الجغرافيّة نتيجة عشقه وهيامه الكبيرين لها، وقد دفع به هذا إلى اكتراثٍ منقطع النّظير بهذه المعالم الجغرافيّة، فلقد علّق حياته بها ماضيا وحاضرا ومستقبلا إذ "إنّ اهتمام الشّاعر بالمكان، وحديثه المستفيض عنه نابع في الغالب من حبّه له، لأنّه يشكّل بالنسبة له عالما من الذّكريات والحضور والجمال[3]" ولقد جمع بين الشّاعر والأعلام الجغرافيّة حبّ عظيم؛ أرومته في أعماق الأرض متشبّثة وأفنانه متفرّعة بكثافة فوق السّحاب تطاول أعنان السّماء في الأفاق؛ وقد شكّل هذا الحب بينهما لدى الشّاعر شغفاً بالتّردّد عليها مرارا وتكرارا لايتوقّف ذلك لأنّ "الحبّ عاطفة كبيرة من عواطف النّفس الإنسانيّة، ولعلّه أقوى هذه العواطف إطلاقا، وقد شعر بها النّاس في جميع الأزمان شعورا قويّا، ولا يُضاهيها في ذلك عاطفةٌ من العواطف الأخرى، ويستغرف الحبُّ من فنون الأدب العالميّ، قديمه وحديثه، شيئا كثيرا[4]" والعلاقة بين الأعلام الجغرافيّة والشّاعر هي علاقة مباشرة وغير مباشرة، علاقة شعورية واعية ولا شعورية؛ هي علاقة لا يمكن وصفها، فكلاهما يتبادل الشّعور والحبّ ويُلبس كلٌّ منهما الهالةَ للآخر، ثمّ "إنّ علاقة الإنسان بالمكان لا تتحدّد بالعلاقة المباشرة من حيثُ أنّ المكان ليس إلّا بعدا هندسيّا لا يمثّل شيئا ذا بال بالنّسبة للإنسان، إنّما تتحدد العلاقة بينهما فيما يقع بينهما من تأثير وتأثّر متبادلين، فإذاً المكان يغدو بعضا من الذّات؛ وإذا الذّات تغدو بعضاً من المكان، بل يغدو المكان هو الذّاكرة[5]". "ولا شكّ أنّ المكان قد شغل مساحة كبيرة من اهتمام الشّاعر العربيّ قبل الإسلام، فهو يثير فيه إحساس الانتماء للآخر(القبيلة) والتوحّد معها، فهو جزء من الذّات العربيّة ، أدرك الشّاعر العربيّ أهميّته فوجد فيه منطلقاً لإثبات الوجود وإعلاء القيمة، لذلك كان إحساسه بالمكان جزءا من إبداعه الشّعريّ، وأنّ فاعليّته تكمن في أنّه حيّز الّذي يحتضن عمليّات التّفاعل بين الأنا

[1] المرجع السّابق: ص100.

[2] المرجع نفسه: ص101.

[3] معتز قصي ياسين ،دلالات المكان في شعر حامد عبد الصمد البصريّ، مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ، جامعة البصرة، العراق، سبتتمبر 2020، مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيّات والاجتماع، ص524.

[4] عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص05.

[5] حسين بوحسون، جمالية المكان الفنّي، مقاربة نظريّة، جامعة طاهري محمّد بشار، مجلة دراسات 2016، ص14.

والعالم فمن خلاله نتكلّم وعبره نرى العالم ونحكم على الآخر، فالعمل الأدبي إذا ما ابتعد عن احتواء المكان فقد واقعيّته، وهو إذا ما تنكّر للمكان عاش في اللّا تاريخ، إذ أنّ فاعليّة الوعي في المكان هي جزء من فاعليّة الوعي بالمواطنة، ففي مختلف الأعمال الأدبيّة سواء أفي الرّواية أو المسرحيّة أو الشّعر لا بدّ للكاتب أو الشّاعر أن يجري أحداثه على أمكنة معيّنة يختارها سواء أكانت واقعيّة أم مفترضة"[1]، "الفنان إذا لا يمارس أسلوبه بمنأى عن العالم المعيش، فالمصوّر –أو الشّاعر– لا يعبّر عن شيء آخر سوى لقاه بالعالم"[2]، "تتّسع الأرض وتضيق محاكيةً اتّساع رؤية الشّعر وضيقها، فهي على نحو ما في الدّنيا برمّتها، وهي على نحو آخر ذات الشّاعر، وهذه الحال تقتضي نقل الأرض، (في المخيال الإبداعيّ الجاهليّ، من طبيعتها الجامدة إلى طبيعة مغايرة تنعم بالمشاعر وقد يتفوّق المكر الفنّيّ فيغلق كوّة التّصريح لتظلّ الأرض منفتحة لمقترحات التّلقّيّ ...هي أرض وهي غيرها، والمخيال الجاهليّ مولّد فعّال[3]"، ثمّ إنّنا نجد بأن "يمتلك الشّعر قدرة بليغة في التّأثّر بالمحيط والتّأثير فيه حتّى لكأنّه مرآة الزّمان الّتي يمكن أن يرى الإنسان منت خلالها حركة الأشياء فالشّعر حقّا ديوان العرب...وعند هذا يلتقي الحبل السّرّيّ بين الأثر الإبداعيّ والتّأثير العاطفيّ[4]"، "والطّبيعة التي عاش فيها الرّجل العربي في عصوره الأولى طبيعة قاسية...وعلى الرّغم من ذلك، ارتبط الرّجل العربيّ بهذه الطّبيعة القاسية ارتباطا وثيقا[5]"، وقد "قيل لأعرابيّ: ما أصبركم على البدو؟ فقال كيف لا يصبر من وِطاؤه الأرض، وغطاؤه السّماء، وطعامه الشّمس، وشرابه الرّيح...ولذلك أحسّ أنّه جزء من هذه الطّبيعة الّتي منحتها الحياة...وأحسّ أنّ الطّبيعة أشبه بأمّه[6]"، "فالطّبيعة من أهمّ مصادر الإلهام للشّعراء، يلجأون إليها وهم يحملون مشاعر السّرور أو الخوف أو الرّجاء، فيزاوجون بين أنفسهم والطّبيعة من حولهم...والمتتبع لأشعار الجاهليين، يراهم قد صوّروا ووصفوا كلّ ما وقع عليه حسّهم من مشاهد الطّبيعة الحيّة والصّامتة، فقد

---

[1] الطّالب سعد سامي محمّد، إشراف: جنان محمّد عبد الجليل، الأنا والآخر في المعلّقات العشر، ، إلى مجلس كلّية الآداب في جامعة البصرة في قسم اللغة العربيّة وهي جزء من نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، 2012، ص137.

[2] سعيد توفيق، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، الخبرة الجماليّة، المؤسسة الجامعيّة للدّراسة والنّشر، ط01، 1992، ص230.

[3] عبد الإله الصّائغ، الخطاب الإبداعيّ الجاهليّ والصّورة الفنّية، القدامة وتحليل الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط01، 1997، ص202.

[4] المرجع نفسه ص275.

[5] حسين نصّار، في الشّعر العربيّ، منتدى سور الأزبكيّة، ، مكتبة الثّقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ط01، 2001، ص 226

[6] المرجع نفسه، ص227

تحدّثوا في شعرهم عن الصّحراء والسّماء، والدّمن والأطلال، والكثبان والرّمال، والسّحاب والسّراب، والامطار؛ والرّعد، والبرق، والرياح؛ والغزلان؛ والخيل؛ ونحوذلك ممّا وقعت عليه عيونهم، وما فرضته عليهم طبيعتهم[1]"، "فاللّغة الشّعريّة ليست لغة التّعبير عن الأشياء فقط؛ بل هي الرّؤية الجماليّة لتلك الأشياء، رؤية حدسيّة موقّعة توقيعا موسيقيّا يمزج بين إيقاعيّة الشّعر وإيقاعيّة الذّات المنفعلة، لذلك تخرج اللّغة الشّعريّة إلى كلّ القوالب الجاهزة سواء المتسرّبة منها أو الّتي تريدها اللّغة مثاليّة أو أنموذجيّة في تركيبها وفي صيّغها، ويكون خروجها متلائما مع مدى انفعال الشّاعر[2]"، " فالنّتاج الأدبيّ لدى العرب – ومثلهم اليونان – كان صورة البيئة بحدودها اللّغويّة والفكريّة، وتيّاراتها النّفسيّة والاجتماعيّة، وبالتّالي كان الأديب بحقّ هو ابن بيئته وعصره، وحين تشكّل البيئة (زمانيّة أو مكانيّة) مرجعيّة رافدة يستوحيها الأديب أو الكاتب فيما تجود به قريحته[3]"، "وليس يخفى أنّ الشّاعر العربيّ هو الّذي نقل لغة الطّبيعة إلى لغة شعريّة موسيقيّة تنجذب إليها الأسماع وتطرب لها النّفوس، ولمّا كان موضع حفاوة حيثُما نزل، فقد كان الشّاعر أكثر العرب تنقّلا يفِدُ على الملوك وسادات القبائل مادحا؛ فيلقى كلّ تكريم[4]".

ولبيد بن ربيعة يقول عن حبّه وتعلّقه بالمكان:

" **ترّاك أمكنةٍ إذا لم أرضَها ... أو لم يعتلق بعضَ النّفوسِ حمامُها**

أنا أترك المكان الّذي لا يرضيني، لا يمنعني من ذلك إلّا أن يتعلّق بجسم الموت[5]"

فالأعلام الجغرافيّة أساس قول الشّعر ومنهله وباعثه حيثُ "نبت هذا الأدب في شعاب الحجاز، وهضاب نجد، وفي الصّحاري وفي الفلوات الممتدّة من بحر القلزم (الأحمر) في الغرب إلى البحرين وعُمان في الشّرق، والمناخ في هذه البقاع حارٌّ، والسّماء صافية، فلا ظلّ يكسو الأرض، ولا ضباب يغشى السّماء، لهذا جاءت لغة العرب واضحة الدّلالات، وأدبهم

---

[1] نوال عليّ عبد الرّحمان خضر، إشراف: خليل عودة، صورة السّماء والأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغيّة)، قدّمت هذه الأطروحة لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة بكلّيّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة بنابلس فلسطين، 2011، ص08.

[2] منصور قيسومة؛ مدخل إلى جماليّة الشّعر العربيّ الحديث؛ الدار التونوسية للكتاب، ط01؛ 2013، ص27.

[3] محمود عباس عبد الواحد، قراءة النّصّ وجماليّة التّلقّي بين المذاهب الغربيّة الحديثة وتراثنا النّقديّ (دراسة مقارنة)، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط01، 1996،ص06.

[4] عبد الفتاح محمّد وهيبة، جغرافيّة المسعوديّ بين النّظريّة والواقع من الأدب الجغرافي في التّراث العربيّ، منشأة المعارف بالأسكندريّة، 1995، ص 11.

[5] عارف حجّاوي، أوّل الشّعر؛ عصارة الشّعر الجاهليّ والإسلاميّ والأمزيّ، دار المشرق، القاهرة، ط02، 2018، ص449.

صريح المعاني، لا يعرف الغموض والرّمز، غير أنّ هذه الرّهبة المخيّمة على مجاهل الصّحراء خوّفت الشّاعر؛ فإذا هو يسمع عزيف الجنّ؛ ويرى أشباح الغيلان؛ ويذكر ذلك كلّه في شعره[1]".

و"إنّ الصّحراء الّتي فرضت على العربيّ التّرحّل، فرضت عليهم العيش في المجتمع القبليّ بوجهيه الاجتماعيّ والسيّاسيّ، ثمّ فرضت على أدبهم سمات هذا المجتمع[2]"، وقد "اقتنع البدو من استثمار الطّبيعة برعي الأنعام، وتربية الإبل والشّاء، للانتفاع بألبانها ولحومها وأوبارها، ومن التّجارة بهداية القوافل إلى مقاصدها في مسالك الصّحراء؛ فأزروا بالصّناعة واحتقروا منت يمارسها من أهل القرى والمدن[3]"، "العلاقة بين الشّاعر الجاهليّ والمكان علاقة عضويّة وليس هناك من يماري في أنّ تجربته الشّعريّة تنطلق غالبا من محوريّة المكان وإدارته لسلطته القدريّة والأزليّة عن حياته ووجوده المادّي والمعنويّ وذكرياته وواقعه وتاريخه"[4]، "ولهذا يمكن القول بأنّ المكان جزء من الإنسان ومكوّن حضاريّ فاعل في تاريخه وذاكرته وحياته، وليس مجرّد زخرفة إضافيّة تؤثّث فضاء القصيدة"[5]، "إنّ هذا يبيّن بجلاء أنّ المكان ليس فضاءً خاليا خاليا من أيّ مضمون بل هو رمز يكشف عن إمكانيات دلاليّة متعدّدة، من منابع مختلفة نفسيّة وثقافيّة واجتماعيّة وجغرافيّة، والرّمز جزء من جوهر الإنسان"[6]، "وعلى هذا يمكننا عدّ الأطلال المكان الواقعيّ، الّذي يحمل كلّ هذه الدّلالات النفسيّة والأسطوريّة والرّمزيّة والفلسفيّة فهي الوعاء الّذي يحمل الماضي والحاضر وهي المكان المألوف الّذي يحبّ الشّاعر الوقوف عليه، وهي اللّا مألوف بما تحمل من معاني الهدم والاندثار والخراب...فالمقدّمة الطّلليّة أكثر وحدات المعلّقة إظهارا لعلاقة الأنا بالمكان[7]"، و"إنّ اشتداد أزمة المكان وتعلّق الشّاعر الجاهليّ به أدخل جميع الشّعراء إلى تبنّي خطاب واحد فأنتج ذلك ألفاظاً متناصّة بين هؤلاء الشّعراء جميعاً، فالقضيّة الّتي جمعت بينهم وألّفت بين قلوبهم وتمسّهم جميعاً، فالتمسّك

---

[1] غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، الأدب الجاهليّ، قضاياه، أغراضه، فنونه، ط01، مكتبة الإيمان، دار الإرشاد، بحمص، دمشق، 1992، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص31.

[3] المرجع نفسه، ص33.

[4] إبراهيم أمغار، الجبل في الشّعر الجاهليّ بين الواقعيّ والتّخييليّ، المنهل، مجلة العرب الأدبيّة الثقافيّة، 2004، ص126.

[5] المرجع نفسه، ص127.

[6] المرجع نفسه، ص127.

[7] الطّالب سعد سامي محمّد، إشراف: جنان محمّد عبد الجليل، الأنا والآخر في المعلّقات العشر، إلى مجلس كلّية الآداب في جامعة البصرة في قسم اللغة العربيّة وهي جزء من نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها،2012، ص139.

بالمكان والحديث عن ذكرياته مشكلة إنسانيّة ومصير مشترك وقف حوله أكثر الشّعراء الجاهليين فكثرت ألفاظ الدّمن والطّلل، وهي توحي بأنّ الشّعراء راوا استعمال هذه الألفاظ نمطا دلاليّا أمينا[1]"، "ويُلقي المكان الواقعي ظلاله على المكان السّرديّ، فيتحوّل من الشّكل الجغرافيّ إلى علاقة ثقافيّة دالّة على رؤية معيّنة، والجغرافيا بطبيعتها قابلة لأن تجسّد تناقضات وتباينات، تحدث بإرادة خارجة عن مدارها بحدّ ذاتها، فتنتج وتخلق بشكل ما، ويستثمر هذا الشّكل في العمل الأدبيّ...والإنسان أوّلا وأخيرا، هو منتج قيّم المكان ومتعلّقاتها، فالمكان من حيثُ الدّلالة الثّقافيّة بمعزل عن إنسانه، لا يملك ثيمة مائزة، وما الدّلالة الإيجابية أو السّلبيّة المستبطنة أو المعلنة في الدّوال الواصفة للمكان...إلخ، إلّا نتاج ممارسة إنسانيّة"[2]، "رووا أنّ كثيّر عزّة من شعراء العصر الأمويّ سئل: يا أبا صخر كيف تصنع إذا عسر عليك الشّعر قال: أطوف على الرّباع المُحيلِة والرّيّاض المعشبة، فيسهل عليّ أرصنه، ويُسرع إليّ أحسنه...فغضب الفرزدق وبات ليلة عصيبة حزينة، حاول أن ينظم فيها شيء من الشّعر فتأبّى عليه، فسعى وراءه فما لحقه، واستدرجه بما شاء فما لان له، ثمّ اهتدى إلى السّبيل المؤدّي إليه. قال هو نفسه يصف ليلته: فأتيت منزلي فأقبلت أصعّد وأصوّب في كلّ فنّ من الشّعر، فكأنّي مفحم أو لم أقل شعرا قطُّ، حتّى نادى المادي بالفجر، فرحلت ناقتي وأخذت بزمامها فقُدتها حتّى أتيت ذبابا (جبل بالمدينة) فجاش صدري كما يجيش الرّجل[3]".

5. هالة الأعلام الجغرافيّة:

عند جلوس فرد ما في معلم جغرافيّ ما؛ فإنّ هذا الفرد والمعلم الجغرافيّ يتبادلان الشّعور والأحاسيس، هذا الشّعور الّذي يطلق عليه تسمية الهالة، حيثُ يكتسي المعلم الجغرافيّ شعور الشّخص وأحاسيسه وكلّ الأشخاص الّذين أقاموا فيه، فيتركون به ذبذبات أصواتهم ليحافظ عليها المعلم الجغرافيّ بين جنباته، حيثُ "حسب ما توصّل إليه علم **الباراسايكولوجيا** يقول الباحثون: يمكن الحصول على الإدراكات من خلال الأشخاص الموفودون فيها، حتّى يقال:

[1] حمادي خلف سعود، علي حسين جلود، المكان في شعر أصحاب المعلّقات العشرة الجاهليين (دراسة تحليليّة)، مجلة العلوم التّربويّة والإنسانيّة، العدد 07، 2021، العراق، ص92.

[2] يوسف حسين محمود دحمان، إشراف: إبراهيم خليل، الهوية وتجلّياتها السّرديّة في أعمال إميل حبيبي، رسالة ماجستير، الأردن، 2007، ص25.

[3] حسين نصّار، في الشّعر العربيّ، منتدى سور الأزبكيّة، ، مكتبة الثّقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ط01، 2001، ص232.

إنّه يترك تفاعلا عاطفيّا حادّا في تلك الغرفة، ما دام هناك أشخاص، حتّى وإن كانوا هؤلاء الأشخاص قد غادروها إلى الأبد؛ لنذكر مثالا على ذلك: إذا دخل شخصان في جدال حادّ في غرفة ما، ثمّ غادراها، تشعر عندما تدخل تلك الغرفة في وقت ما بعد تلك المجادلة، تشعر بمجادلة من الحدّة والغضب...ذلك لأنّ الذّبذبات تبقى لفترة طويلة من الزّمن، وكلّما كان مكوث الأشخاص في مكان ما لفترة أطول، كانت الذّبذبات أقوى، وبذلك تطول فترة بقائها[1]"،و هكذا يلبس المعلم الجغرافيّ هالة الأفراد الّذين قطنوا فيه، وبذاك تدفع تلك الهالة الأفراد إلى شعور خاصّ يلهمهم الأفكار المختلفة كما يلهمهم قول الشّعر إن كانوا شعراء.

والأمثلة في ذلك كثيرة "فهذا النّبيّ يوسف عليه السّلام ذكرت قصّته في القرآن الكريم، وكانت حتما هالته من نوع خاصّ، وقد أثّرت تلك الهالة بمميّزاتها على والده، وأعادته بصيرا، ثمّ ما خطبك بمقدّساتنا الإسلاميّة كالكعبة وبيت المقدس، فلا شكّ أنّها تشرّفت بذبذبات سيّدنا صلّى الله عليه وسلم، وإبراهيم والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام، وبهذا أصبحت هذه الأماكن المقدّسة، إذ تختزن ذبذبات الأنبياء، لأنّ للأنبياء مكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، وإذا كانت هذه الأماكن تشرّفت بها، لأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وكثير من الأنبياء والرّسل عليهم السّلام والصّحابة والصّالحين قد مكثوا بها[2]"، و"تعتبر الأماكن التّاريخيّة ذكريات من العصور والأماكن الأخرى، وفي بعض الأحيان عندما تدخل غرفة أو مكاناً ما تشعر أنّك تألفه، أي وكأنّك شاهدته من قبل، هناك ينتابك شعور يسمّى degavus وهو تعبير فرنسيّ يعني المشاهدة المسبقة"[3]، ولهذا "فالإنسان عندما يدخل مكانا يترك فيه طاقة وراءه، وتسمّى تلك الطّاقة الباقية المتبقّية (residual energy) في علم الطّاقة البشريّة، أي بقاء أثر المؤثّر في المكان وعبر الزّمان[4]"، ولهذه الهالة الّتي أصبحت روح المعلم الجغرافيّ دورٌ في قول الشّعر؛ ذلك لأنّ الشّاعر حين يزور المعلم الجغرافيّ الماضي تصادفه وتقابله الهالة السّابقة الّتي قد أزمعها هذا المعلم وسكنته، فتدفع به إلى تدفّق الشّعر بلا هوادة.

[1] دلاور محمّد صابر، واقع الهالة الضّوئيّة حول جسم الإنسان، حقيقة في المختبر والشّريعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط01، 2008، ص89.

[2] المرجع نفسه ص90.

[3] المرجع نفسه، ص92.

[4] المرجع نفسه، ص93.

6. الشّعر والجغرافيا:

إنّ أوّل سبب لإنشاء الأدب والشّعر وظهورهما هو البيئة الّتي يعيش فيها الشّاعر، فأوّل ما يصادف المرء عند تنقّله ومحاولته الاستقرار هو المكان الّذي يعطي للكثير من أجزائه بعد تقسيمه أسماءً تتحوّل إلى أعلام جغرافيّة فيسهل عليه العيش فيها فيألفها وتألفه "فالأدب لا ينشأ من فراغ، وإنّما هو نتاج إنسان يعيش في زمان معيّن ومكان معلوم، فهو متأثّر بهما أراد أم لم يُرد، أدرك ذلك أم غاب عنه، وليس هناك أدب نعرفه يبيّن هذه الحقيقة أكثر من الأدب الجاهليّ"[1]

كما سبق ذكره سالفا للأدب علاقة بجميع العلوم والمعارف الإنسانية، والعلوم فيما بينها متماسكة ومتشبّثة كما تتشبّث الجغرافيا بالأدب وهذا يؤكّده أكثر المفكّرين ومن بينهم **غاستور باشلار** فهو يرى بأنّه "لا تخلو نظرة غاستون باشلار إلى إنشائيّة الكتابة من النّاحية الموضوعاتيّة من بُعد بينيّ؛ فهو يذهب في تحليل جماليّة الفضاء إلى أنّ العلاقة بين الكتابة والتّجربة واللّغة هي الّتي تحدّد زاوية نظر المتكلّم إلى الفضاء، وبذلك يكون المكان موضوعا أدبيّا؛ أي ظاهرة جماليّة في إدراك الأشياء، لا بما هو مكان مُحايد، بل بما هو زاوية نظر(كما الطّفولة، ظلال الشّجرة)، وهي زوايا نظر تتناول ما يمكن أن نُسمّيَه بالجغرافيا العاطفيّة والجماليّة كالفضاء المدنيّ، وكالأطلال في القصيد البدويّ والفضاء المجلسيّ في نوادر القصور والبلاطات وأدب المنادمة والمطارحات والمفاكهات وكالمجالس الأدبية في المقامات...وإنّ المبدع يسعى بخطابه عن المكان أو الفضاء إلى تأثيث المكان بالتّجربة الرّوحيّة الّتي يعيشها مع أفكاره وأحاسيسه في ذلك الفضاء فيؤثّثها بالنّسيب في المكان الطّللي ...قل لي كيف تتصوّر الزّمان والمكان أو قل لي أيضا كيف تُقيم الصّلات مع العالم الخارجي وسأقول لك من أنت؟[2]".

لقد كانت بين الأدب شعرا ونثرا علاقة وطيدة وأوصاراً ضاربة في الأغوار بين علمي الشّعر والجغرافيّة تعود إلى العصر الجاهليّ؛ عصر الشّعر وعهد المعلّقات؛ فليس الجمع بينهما بالأمر الجديد بل هو جمع قديم عتيق؛ بل وأنت تبحث في الجغرافيّة؛ فأنت تشكّل

[1] أبو عبد السّلام الإدرسي، تحليل أنموذج من الشّعر الجاهليّ، جامعة محمّد الأول، الكليّة متعدّدة التخصّصات، بدون دار النشر، 2015/2014، ص03.

[2] صالح بن الهادي رمضان، التفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللغة العربية وآدابها، ص149.

وتنتج أدبا في الوقت نفسه فكلاهما مكّمل منتج للآخر"فليس هذا الجمع بين الأدب والجغرافيّة بالشّيء الغريب، بل هو يقيم في قالبٍ مشروع يعُدّ هذه الجغرافيّة بحثا استكشافيًّا وأدبا في آن معاً، وهو يستند في هذا إلى مفهوم الأدب في الثقافة العربيّة الكلاسيكيّة"[1]، فاهتمام العرب بالجغرافيا وأعلام الأماكن لم يكن لهدف محدد أو غاية مؤقتة، بل تُمثّل الأماكن من الأعلام الجغرافيّة بالنّسبة للعربيّ مجالا مفتوحا من كامل النّواحي والاتجاهات؛ فالأعلام الجغرافيّة تتضمّن عمقا يحوي ألوان حياة العربيّ جميعا" وكانت عناية العربيّ بالجغرافيّة وليدة ظروف البيئة إلى حدّ كبير فقد نشأوا في وسط يُحتّم عليهم أن يُلمّوا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا بالمعلومات الجغرافيّة المختلفة ...وما كان لهم أن ينتقلوا بإبلهم وأغنامهم، وهي أثمن ما يقتنون إلاّ إذا عرفوا موارد الميّاه ومنابت الكلأ وعرفوا الوحش من حيوان البادية وقد اشتملت أشعار العرب على الكثير من الحقائق الخاصّة بوصف بيئتهم الطبيعيّة وبهذا أصبح الشّعر العربيّ القديم مصدرا هامّاً من مصادر كتابات الجغرافيّة الأولى، فهو غنيّ بالأعلام الجغرافيّة من أودية وآبار وجبال وتلال ... ولذلك لم يكن غريبا أن نجد الجغرافيّة بين الفنون الّتي يُعنى بها اللّغويّون"، فالعربيّ وهو في بيئته يجول ويصول يكتشف جغرافيّة الأماكن الّتي احتوته ولكي يتذكّرها ويذكرها يُطلق عليها أسماءً يتعارف عليها النّاس فإذا ما اشتهرت عند الجميع تحوّلت إلى علماً وتركت شاعريّة جيّاشة في صدورهم تتوق إليها أرواحُهم لتراها أفئدتهم، فواضحة جدّا وجليّة أهمّيّة معرفة الأعلام الجغرافيّة عند العربيّ وبذلك حوّل الشّعراء حبّهم لها وتعلّقهم بها إلى شعر يبرق بين النّاس في الآفاق؛ جذّاب لا يُنسى؛ فالعرب بها يهتدون وبين المواضع بإبلهم وأغنامهم يرحلون وينتقلون ويظعنون ويغادرون، فهم مجبرون على معرفة موارد الميّاه وأماكن العشب؛ كما أنّهم مجبرون على معرفة الأماكن الّتي تكثُر فيها الوحوش والأوابد، وبهذا كلّه كانت قيمة الأعلام الجغرافيّة في الشّعر وكان للشّعر الدّور الكبير للحفاظ على جغرافيّة العرب وبهذا كلّه كانا متكاملان متواشجان متداخلان، ولتقصّي الأعلام الجغرافيّة العربيّة القديمة والإلمام بها لابدّ من اعتماد الشّعر ولا غنى عنه أبدا؛ فهو مصدر الأعلام الجغرافيّة وغنيّ بها، والمكان العربيّ وخاصّة المشهور منه المتمثّل في الأعلام الجغرافيّة منثور في الشّعر والمعلّقات.

[1] أندريه ميكيل، ترجمة عن الفرنسيّة محمّد آيت حنّا، مراجعة كاظم جهاد، العالم والبلدان، دراسات في الجغرافيّة البشريّة عند العرب، ط01، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، كلمة، 2016، ص 14.

امتزج العربيّ بالبيئة الّتي يعيش فيها وغرس جمال طبيعتها في صدره، ولقد امتزجت بوداده وكان هذا الامتزاج امتزاجا كلّيا وتامّا؛ فكانت حُليته الّتي يلبسها كما كان حليتها الّتي تلبسه، وكما كان يعرف المعالم الجغرافيّة الّتي عاش فيها وألفها كانت هي الأخرى قد عرفته وألفته "ولمّا كان الشّاعر العربيّ ذا ارتباط وثيق بالمكان، كان لزاما على الباحث في الدّراسات الأدبيّة البحث في عمق العلاقة الّتي ينشئها المكان بينه وبين الإنسان"[1]، فكان بينهما تأثير وتأثّر، وقد حوّل العربيّ هذا التّفاعل إلى شعر يعبّر فيه عن مدى شغفه وولهه بالأعلام الجغرافيّة الّتي قطنها، فلم تعد موجودة أيّ ضبابيّة من قيمة الأعلام الجغرافيّة في الشّعر الجاهليّ وأنّ وجوده لم يقتصر فقط على التّذكّر والبكاء والحنين والنّدب بل يتجاوز هذا إلى مجالات أرحب وأوسع وأعمق ولا حدود لها إطلاقا تتجاوز كلّ خصائص الشّعر بل وتقع على رأس قائمة خصائص الشّعر ولا مجال للرّيب في ذلك أبدا.

إنّ الأعلام الجغرافيّة في الشّعر الجاهليّ والمعلّقات مثلا تحتوي الكثير ممّا يعبّر عن كلّ ما له علاقة بالعربيّ نفسيا ثقافيّا اجتماعيّا تاريخيّا وغيرها جميعا، فهي تمثّل الوعاء الهلامي الّذي جمع فيه حياة العربيّ بشتّى أشكالها؛ كما له وظائف مختلفة داخل النّصّ الشّعريّ. "فعلاقة الشّاعر بالمكان ذات أبعاد متعدّدة تستحضر الواقع والخياليّ والوهميّ، لذلك نجد العلاقة بين الشّاعر والمكان راسخة منذ القدم، فالمكان هو المنطقة الّتي يعيش فيها ويتواصل فيها مع الآخرين، وهذا ما أكسب المكان أهميّة خاصّة"[2]، ولهذا فالشّاعر الّذي يكون رحّالة وكثير الظّعن بين الأعلام الجغرافيّة يكون أكثر قوّةً و أحسن إبداعاً في قول الشّعر.

وقد نتج عن التّلاقح بين الأدب والجغرافيا ظهور الأدب الجغرافيّ أو النّقد الجغرافيّ "أمّا الجغرافيّة الأدبيّة باعتبارها اختصاصا قائما بذاته فلم تظهر إلّا في العقود الأخيرة، يدخل هذا الاختصاص في نطاق الدّراسات الإنجلو أمركيّة تحت مسمّى الأدب الجغرافيّ ويسمّيه الفرانكوفونيين بالتّسميّة نفسها، بل يتمّ تدقيق الاختصاص بجعله مندرجا تحت مسمّى النّقد الجغرافيّ أو البويطيقا الجغرافيّة وتتوزّع الاهتمامات بهذا الموضوع بين نقّاد الأدب وعلماء الجغرافيا"[3].

[1] فواز معمري، إشراف: عمار بن القريشي، جماليّت المكان في الشّعر الجاهليّ المعلّقات أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة علوم، جامعة المسيلة 2018 ، ص ت 05.

[2] المرجع نفسه، 2018 ، ص40.

[3] سعيد يقطين، جغرافية الأدب العربيّ ، مقال بجريدة القدس العربيّ الإلكترونية، ليوم 15 جانفي 2019.

يستند الشّعر ويتّكئ كثيرا على علم الجُغرافيا ولا يستطيع أن ينفصل عنه؛ ففي الأدب نجد جميع أنواع الجغرافيا الطّبيعية والبشريّة والنبّاتيّة خاصّة وأنّه: "ظهرت الجغرافيّةُ بلا شكٍّ في الأزمنة الموغلة في القدم أماً للعلوم والمعارف البشرية، أنّها أقدم العلوم وأشملها، اتّسع مجالها بقدر ما استطاع أن يرى الإنسان"[1].

فالشّاعر لابدّ أن يقوم بمسح سطح الأرض الّتي يعيش فيها لكي يتعرّف على أكبر عدد ممكن للأعلام الجغرافيّة لكي يوظّفها في نصّه ويجعل القارئ يجول في الطّبيعة الّتي رسمها ويتعرف على حياة الناس وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم في تلك البيئة، فالمتلقّي يتفاعل مع هذه الطّبيعة فيحلّل ويؤوّل ويستنتج ويكتشف جغرافيا المحيط من خلال النّص، وهذا يُثبت دخول الجغرافيا في الأدب كما أن الأدب لا يستغني عن الجغرافيا وبتلاقح العلمين وتفاعلهما تنتج معطيات وأفكار وعلوم أخرى جديدة" وظهرت مرحلة جديدة من مراحل تطور المعارف الجغرافية وهي مرحلة الجغرافيا اللغوية"[2].

وإنّ ذكر الأعلام الجغرافيّة في القصيدة الشعريّة بمختلف أنواع الأعلام من أطلال وجبال وأودية ودارات يزيد بكلّ تأكيد من رونق النّص وجماله كما يلفت انتباه القارئ ويزيّنه له في ذهنه فيلقي عليه بمشاعره ونهيته لما لهذه المواضع المختلفة من أداء فنّي يرسمه الشّاعر بها داخل القصيدة الشّعرية فيزيد من شاعريّتها وجاذبيّتها ذلك لأنّ المتلقّي يعيش داخل هذه الأعلام الجغرافيّة بخياله فيطوف ويجول؛ فيتمتّع بهذه المناظر ويشارك الشّاعر في العيش معه بها؛ والكلّ من المتلقّين حسب تصوّره لهذه الأعلام الّتي رسمها في ذهنه من خلال الصّوّر السّابقة في عقله ثمّ إنّ النَّظْم المحكم للمعلم الجغرافيّ وطريقة بنائه و رسّه داخل النّص وبقوّة اللّغة والانسجام بينها يشكّل التّركيبة الحقيقيّة للنّص ممّا يكسبه فُلاذيّة لا تقهر ولا تهدّم تظلّ شامخة سامقة كامل الدّهر سرمدا كما هو حال المعلّقات والشّعر القديم، والكلّ يجتهد ليرى تلك الأعلام لما تتركه من أثر جميل في نفس متلقّيها وسامعها "فالمبنى المكانيّ مع المبنى اللّغويّ يشكّلان معًا جسدَ النّصّ وأداءه الفنّيّ..."[3] ولذلك لا غرو إطلاقا في القول أنّ الشّعر العربي هو شعر الأعلام الجغرافيّة وشعر المكان والمواضع؛ لما يزخر به من معالم

---

[1] المرجع نفسه، ص 137.

[2] محمّد الصالح خرفي، جماليّات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، 2006/2005، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ص314.

[3] سعيد محمّد الفيوميّ، فلسفة المكان في المقدّمة الطلليّة في الشّعر الجاهليّ، مجلة الجامعة الإسلاميّة (سلسلة الدّراسات الإنسانيّة)، المجلد 15، العدد 02، 2007، ص 253.

يشتاق سامعها إلى السّفر إليها ورؤيتها "إنّ الشّعر العربيّ في الأساس هو شعر مكان فهو يرتبط ارتباطا مباشرا بالبيئة الّتي أنتجته والإنسان الّذي أبدعه...فالطّلل في بُعده الصّحراويّ يفرض ظلاّ كبيرا على القصيدة العربيّة القديمة"[1]، ولاغرو أيضا في القول بأنّ الشّعر العربيّ هو شعر جغرافيّ بالدّرجة الأولى قبل القول بأنّه سياسيّ أو تاريخيّ أو حكميّ أو وصفيّ، ويكفي هنا دليلا؛ الأماكن والأعلام الجغرافيّة الّتي تقف أمامك في مطلع قصائد جميع الشّعر الجاهليّ إلّا القليل منه لتستقبلك قبل الولوج في ثنايا القصيدة؛ والّتي ستمتّعك بمعالم أخرى تجعلك وكأنّك تعيش ما تقرأه وتسمعه حقيقةً لِما تركته من أثر فيك عميقٍ؛ فتكون أنت أكثر حنينا وشوقا لماضي هذه القصائد بكلّ ما جاء في فحواها أكثر من الشّاعر الّذي نظمها نفسِه، فتُشعل فيك لهيبا يغادرك لا تستطيع التّوقّف عن السّماع والقراءة وهذا ناتج للمزج الكبير والتّداخل العميق بين الجغرافيا بأعلامها والأدب بجماله وفنّه، "وقد أثبتت سلسلة من الأبحاث أنّ **المادّة المكانيّة Toponomy للشّعر الجاهليّ** يمكن أن تسوق إلى نتائج طيّبة لو أخضعت لدراسة دقيقة، **ويذكر فستنفلد Wristenfeld** ، وهو من الملمّين بجغرافيّة بلاد العرب ، وذلك في كتابه **البحرين واليمامة Bahrein and jemama** أن وجود الأعلام الجغرافية عند الشّعراء يمثّل بالنّسبة لأبحاثنا مادّة لا تقدّر بثمن،... ولكنّه من النّاحية الأدبيّة يمثّل أهمّية كبرى"[2].

لذلك فإنّ العرب عامّة والشّعراء خاصّة ومنهم أصحاب القصائد الطّوال المعلّقات لقد اهتمّوا اهتماما بليغا وفائقا بالمواضع والأماكن والأعلام الجغرافيّة نظرا لولعهم الشّديد وحبّهم الكبير لها وتعلّقهم العميق وامتزاجهم المذهل بها "إن المجال الوحيد الّذي خلّف فيه العرب مادّة وافرة يكاد يقتصر على مواضع الجزيرة العربيّة المختلفة، ولقد وصلت إلينا هذه المادّة في آثار فريدة ربّما كانت الوحيدة من نوعها في الأدب العالميّ"[3] فالعلاقة بين الأدب والجغرافيا علاقة وطيدة وكبيرة تعمل على تبادل المعرفة والأخبار والجمالية الفنّية ولا يمكن إنكار هذا أبدا وفي أيّ حال من الأحوال بل وكما سبق الحديث عنه الشّعر الجاهليّ شعر مكان وشعر أعلام جغرافيّة "وبالرّغم أنّنا لم نُهمل عند فحصنا للآثار الأدبيّة علاقتها بعلم الجغرافيا وتاريخ اكتشافات

---

[1] أغناطيوس كراتشكوفسكي، نقله إلى العربيّة صلاح الدّين عثمان هاشم، تاريخ الأدب الجغرافيّ العربيّ، قام بمراجعته إيغور 1957، ص50.

[2] المصدر السّابق، ص48.

[3] المصدر نفسه، ص 20 .

الجغرافيّة...بقدر ما قصد به عرض تاريخ الأنماط الأدبية المرتبطة بعلم الجغرافيا في صورة أو أخرى..."[1].

وفي علاقة الأدب بالجغرافيا "يعتبر أندري فير من روّاد هذا التّوجّه الجديد في دراسة علاقة الأدب بالجغرافيا في كتابه الأوّل الّذي خصّصه ل: (جغرافيا مارسيل بروست) سنة 1939 وفي كتابه الثّاني الجغرافيا الأدبيّة 1946 ومنذ التّسعينات من القرن الماضي بدأ هذا الاتّجاه يتحقّق من خلال المؤتمرات والأعداد المتخصّصة ، ويمكننا هنا إعطاء مثال فرانكومونتي الّذي عمل على تشكيل "أطلس للرّواية الأوروبيّة (1800 – 1900) سنة 2000 والّذي أثار اهتماما واسعا لدى المهتّمين بالجغرافيا الأدبيّة"[2].

ومن هذا كلّه فلا غرو أن ينتج بين العلمين الجغرافيا والأدب ما يسمّى بالجغرافيّة الأدبيّة، وليس فيه شكّ أنّ للجغرافيّة الأدبيّة فوائد جمّة وكبيرة وذلك لأنّ الجغرافيا الأدبيّة "تفتح لنا الجغرافيّة الأدبيّة عامّة ... تفتح الدّارس الأدبيّ على الاختصاصات الأخرى، ومن بينها النّقد البيئيّ، أو الطّبيعيّ، الجغرافيّة الأدبيّة دعوة إلى التّطوير والتّجديد والتّجاوز"[3].

وفي الشّعر إنّه "لو انكفأ النّظر إلى دلالة الأماكن في معلّقة امرؤ القيس على الجغرافيا، فسيقال: إنّ الدّخول في عالية نجد الجنوبيّة: هضاب حُمرٌ عاليةٌ، في مكانٍ يسمّى الهضبُ، ولا يزال يسمّى هضبُ دخول، كما يسمّى الهضب الأحمر، أو هضب الدّواسر، أو هضب آل زايدٍ، ويبعُد الدّخول عن عفيف جنوبا 200كيلاً، وإنّ حومل جبلٌ او جبلان، غرب الدّخول، ما زال باسمه، أمّا سقط اللّوى فسناف كان يسمّى في الجاهليّة شَرافٌ، وهو معروف اليوم باسم مشرف، كثيبٌ من الأبارق والرّمال، طرفُه الغربيّ قريب الحومل، وطرفُه الشّرقيّ قريب الدّخول، وتوضح من قرى قرقرى، حسب الحمويّ، الّتي يذكر فيها حصناً لكندة، وقرقرى تعرف اليوم بالبطين، يحدّدها ابن خميس، حول المزاحميّة، الّتي هي إحدى بلداتها، إلّا أنّ الشّاعر قد قَرَنَ تُوضح بالمِقراة، الّتي يستنتج من كلام الجغرافيين أنّها بين الدّوادمي وعفيف. ومن أهل المنطقة من يذهب إلى أنّ توضح المعنيّة في معلّقة امرئ القيس، قريبة من موقع حومل والدّخول، وهي جِبالٌ بيضٌ تُسمّى اليوم ب الوُضْحِ، أمّا المقراة في مشتقّة من مقرّ الماء،

---

[1] سعيد يقطين، جغرافية الأدب العربيّ ، مقال بجريدة القدس العربيّ الإلكترونية، ليوم 15 جانفي 2019.

[2] المرجع السّابق.

[3] إحسان محمود سليمان؛ المكان في المقدّمات الطّلليّة في شعر المعلّقات (دراسة نقديّة تحليليّة)، مجلة البحث العلميّ في الآداب، 2020، ص205.

أرضٌ منخفضة بين تلك الجبال يستقرّ فيها بالماء، و سيذكر امرؤ القيس بعد تلك المواضع الخمسة في مطلع معلّقته، ذكرياته بمأسل، وهناك مأسل الجمح، شمالي عرض شمام، وهو باسمه القديم إلى الآن"[1]، "على أنّ ما استوقفني في هذا التّراث الفنيّ الّذي استشعرت معه الزّهو، هو كتب الرّحالة والجغرافيين الّتي حوت مادّة ثريّة ومثيرة للدّهشة، وليس ثمّة شكّ في أنّها قدّمت إسهامات بالغة القيمة في حقول الجغرافيا والتّاريخ والأدب والأخبار والسيّر، فضلا عن المعلومات الإثنوغرافيّة الهائلة عن سكان كافة أقطار العالم المعمور والمعروف ...بالإضافة إلى دور هذا الأدب الجغرافيّ في خدمة الإسلام واللّغة العربيّة وتنشيط الفكر والخيال وحفز الهمم على السّفر والتّجارة ونقل المعارف والعلوم[2]"، "والقوى الّتي تؤثّر في الأدب كثيرة، يصعب حصرها، إذ تؤثّر فيه السياسة، والثّقافة، والدّين، وأنظمة الاقتصاد، والثّقافة الأجنبيّة الوافدة، كما يؤثّر فيه رقيّ الأمّة وانحطاطها، غير أنّ تأثّره بهذه العوامل لا يعني أنّه منفعل لا فاعل، فكثيرا ما يكون الأدب أحد العوامل البارزة في يقظة الشّعب؛ ولمّ شعثه بعد الفرقة، ونقل قيّمه ومثله من جيل إلى آخر، وتكوين رأي عام موحّد، وكثيرا ما يحرّض الأدب الجماهير على رفض الواقع السيّء، فيُفرغ النّفوس من الغضب والقهر والكبت، ويفجّر طاقاتها المبدعة، ويرسم معالم المستقبل، وهكذا لا يقلّ تأثيره عن تأثّره، ولا يكون انفعاله بالحدث أظهر من مشاركته في صنع الحدث[3]".

7. الأعلام الجغرافيّة موضوع محوريّ للكثير من العلوم:

يحفل شعرنا القديم بالكثير من الأعلام الجغرافيّة من أسماء مواضع متنوّعة شكّلت بنية مهمّة وأساسية في تركيباته وكانت لَبنَةً من لَبناته الّتي عملت وزادت من ترصيصه؛ فلا يخلو نصٌّ من ذكر للأماكن والأعلام الجغرافيّة "الشّعر العربيّ الجاهليّ تراث إبداعيّ قديم بلغت معه اللّغة العربيّة أرقى مستويات الفنّيّة والجمال الأسلوبيّ"[4] والمعلّقات أنموذجا تجعل الأسماء

---

[1] عبد الله بن أحمد الفَيفي، مفاتيح القصيدة الجاهليّة، قديّة جديدة، عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا، عالم الكتب الحديث، 2014، إربد، الأردن، ط01. ص 39.

[2] فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التّراث العربيّ، مكتبة الدّار العربيّة للكتاب، منتدى سور الأزبكيّة، مدينة نصر ، القاهرة، ط02، 2002، ص13.

[3] غازي طليمات، إشراف: عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، الأدب الجاهليّ، قضاياه، أغراضه، فنونه، ط01، مكتبة الإيمان، دار الإرشاد، بحمص، دمشق، 1992، ص17.

[4] عبد الكريم عليّ الرحيوي، جماليات الأسلوب في الشّعر الجاهليّ، مقاربة نقديّة بلاغيّة في إبداع شعراء المدرسة الأوسيّة، عمان دار كنوز ، ط 01، 2014، ص01

الجغرافيّة ركناً من الأركان الّتي تقوم عليها وواحدة من أسّها، فالأعلام الجغرافيّة الّتي لا غنى عنها في المذهّبات، لِما تتركه من شاعريّة جيّاشة في نفوس المتلقّين وشُعورٍ بالانتماء والمؤانسة بالمكان وقوّتها الإيحائيّة النّاقلة للأحداث بصدق، ولكن اللاّفت للانتباه والنّظر وعلى الرّغم من قيمة الأعلام الجغرافيّة بمختلف أشكالها؛ تثقفُ الجغرافيين القدامى والشّارحين للشّعر تثقفهم لم يقفوا عندها بالدّراسة الممحّصة والمتفحّصة كما تستحقّ لما لها من دور كبير وفعّال في تحريك أحداث النّص وتحويل مجاريه؛ وأنّها تثير ذهن المتلقّي وكما تُدغدغ وتُزغزغُ مشاعرَه وكنهه، فالمتلقّي للنّص الشّعري في العصر الجاهليّ يرى النّور الّذي تشعّه الأماكن بمختلف أشكالها وألوانها كالمصابيح بل كالنّجوم تتلألأ بداخل النّص، لذلك كانت مستهلّات المعلّقات ومطالعها بذكر المكان المعلَم الجغرافيّ الّذي يقف عنده المتلقّي ضرورة قبل الانطلاق في معرفة أحداث النّص وغرضه من بَعْد، ولا بدّ أنّ هذا لم يكن عبثا أو ارتجاليّا دون أن يقصد الشّاعر مُلامسة روح المتلقّي ونفسيّته والتّأثير فيه بهذه الأعلام المتمثّلة في الأطلال" إنّ الشّعر وألوانه المتنوّعة من أطلال وجبال ومناهل مياه وبرق إنّ الدّارسين الطلل يتجلّى كالطّود الثّابت في وجدان الشّاعر العربيّ القديم منذ الجاهليّة وحتّى عصر التّجديد زمن العبّاسيين، والوقوف بين أحضانه لاستحضار طيف الحبيب غدا عادة لا محيد عنها"[1]، فالأطلال هي الدّيّار المهجورة كما هو معلوم ومعروف لكن يجب أن نُدرك أنّ ذكر أسماء المعالم الجغرافيّة في بداية جميع المعلّقات الّتي تمثّل منتخبات الشّعر العربيّ؛ وخاصّة الجاهليّ منه دون استثناء تشترك في المواد (ط – ل – ل)، ومنه الأطلال والطّلول، وأمّا الطُّلول فهي بمعنى الطّلل من آثار الديّار المهجورة ولكن هي أيضا في المعجم مصدر للفعل طلّ الّذي يعني النّظر من النّافذة وكأنّك قبل الولوج في أحداث النّص عليك أن تطلّ من هذه الأماكن أوّلا كنوافذ تكتشف بها محيط الشّاعر وباحته وقد جاء في قاموس المحيط لفيروز آبادّ قوله:" **والطلّ (المطلّ)** ومنه قول يحي بن يعمر أنشأت تطلّها وتضهلها أي تمطلها"[2]؛ وتتلمّس آثاره لتعرف ما في خاطره، وطلّ المطر الأرض أصابها وقطر عليها، ومن هنا تكون الأطلال كمطر يسقي باقي القصيدة لتنمو وتزهو وتروق للمتلقيّ؛ وهذا الّذي تحتاجه الأعلام

---

[1] عبد الكريم عليّ الرحيوي، عمان جماليات الأسلوب في الشّعر الجاهليّ، مقاربة نقديّة بلاغيّة في إبداع شعراء المدرسة الأوسيّة، دار كنوز، ط 01، 2014، ص18

[2] محبّ الدّين أبو الفيض السيّد محمّد مرتضى الحسيني الواسطيّ الزّبيديّ،من شرح القاموس المسمّى تاج العروس من جواهر من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية المنشأة بجماليّة مصر، المحميّة سنة 1306هـ، ط01، ص419.

الجغرافيّة في المعلّقة الجاهليّة من دراسة عميقة، ولا نتوقّف- كما صنع الشرّاح والدّارسون السّابقون- عند الاكتفاء بالقول دون أدنى زيّادة هي أسماء مواضع وديّار مهجورة ويغادرون دون التطرّق إلى شيء آخر كتأثيرها في المتلقّي وجمالها وغير ذلك، فتكون بذلك الأعلام الجغرافيّة ومختلف أسماء الأماكن منطلق الشّعر يُجبر الشّاعر من خلالها المتلقّيَ ويحيله إلى معرفة محيطه الّذي عاش فيه أوّلا وعن مدى تعلّقه الشّديد به؛ قبل أن يحدّثه عمّا هو موجود في سائر النّص ومن الإشكالات الّتي تطرح نفسها للمعالجة: ما المقصود الأعلام الجغرافيّة؟ وما أهميّتها في النّصّ الشّعريّ؟

إنّ جميع الأجناس الأدبيّة بمختلف أنواعها شعرا ونثرا لا يمكنها الاستغناء عن استعمال أسماء الأماكن للأعلام الجغرافيّة؛ فهو جوهرها الأساس؛ والقاعدة الّتي تقوم عليها ولا يمكن تصوّر أو تخيّل جنس أدبيّ وخاصّة الشّعر دون أعلام جغرافيّة، إذ إنّ الأعلام الجغرافيّة تعتبر دافعا وباعثا وحافزا لقول الشّعر لما تتركه من أثر عميق في نفس الشّاعر وأحاسيسه فتجبره على التّعبير عنها لما خلّفته من طيف يلاحقه لا يُنسى أبدا ولا يمكن حتّى تناسيه؛ فامتزج به وخالط كنهه وكيانه؛ فانغمس وانغرس في أعماقه وغدا يمثّل هالته وشخصيّته ذلك لأنّه "كان للمكان أثر مهمّ في الشّعر العربيّ خاصّة في الشّعر الجاهليّ، امتزج الشّعر الجاهليّ بالمكان الّذي عاش فيه حتّى صارت قطعةً من نفسه وجزءا من حياته، استمدّ الشّاعر من الأماكن والمواضع تجارب حياته لأنّ المكان ترك أثرا لا تمحوه الأيّام من ذاكرة الإنسان في تكوين حياته وبناء مجده...ويتناول دور الأماكن في القصائد السّبع الطّوال"[1]

وإنّ الأعلام الجغرافيّة الّتي يذكرها الشّاعر في النّص لها أبعاد عديدة؛ وبعيدة العمق؛ وعميقة الدّلالات؛ وتأخذ قراءات تأويليّة متنوّعة؛ ومعظم الظّواهر الطّبيعية تتّحد في المكان: "يرى **لابلاش** أنّ الجغرافيا - وهي كغيرها من العلوم- تستمدّ موادها من الكون، ولها أن تستفيد من نتائج العلوم الطبيعيّة الأخرى، لكنّها تنفرد برسالة خاصّة، وهي أنّها توضّح كيف أنّ ما تدرسه العلوم الأخرى من ظاهرات طبيعيّة وبشريّة كظاهرات تنفصل عن بعضها البعض، تدرسها الجغرافيا باعتبارها تتّحد في المكان وتؤثّر في الإنسان وتتأثّر به، أي بعبارة أخرى تدرس الظّاهرة الطبيعيّة في وحدتها المكانيّة"[2].

---

[1] علي خضري، مجلة حوليات التراث، تجليات الأمكنة وظواهرها في المعلقات السبع الطّوال،جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران، تاريخ الاستلام: 2019/12/9، ص167.

[2] المرجع نفسه، ص184.

إنّ للأعلام الجغرافيّة الّتي تمثّل قلب مختلف المعارف وركن الكثير من العلوم جعل ذلك "حاجة أهل السّير والأخبار والحديث والتّواريخ والآثار إلى معرفة أسماء الأماكن حاجة عظيمة لأنّه قلّ أن تخلو من ذِكرِها صفحةٌ بل سطرٌ من كتبهم"[1]، والشّعر في بنائه شعرٌ لا يستغني عن الأعلام الجغرافيّة الّتي عاش فيها الشّاعر ماكثا ومنيخا أو مرّ بها في أسفاره وترحاله، وبهذا "فإنّ الشّعر العربيّ في الأساس هو شعر مكان ويرتبط ارتباطا مباشرا بالبيئة الّتي أنتجته...ويشمل المكان بأبعاده المختلفة جزءا كبيرا من جزئيّات النّصّ الشّعريّ وامتزج فكر الجاهليّ وخلقه بهذه الصّحراء"[2] والشّاعر قديما في العصر الجاهليّ يعشق الصّيد والانتقال من معلم جغرافيّ إلى آخر، يتوقّف هنا فذّا وحيداً في هذا المعلم الجغرافيّ الّذي تركه مرغما؛ فيحيا ماضيه من جديد، ويتوقّف في معلم جغرافيّ آخر نال إعجابه من منظر خلّاب سطا وسيطر على وداده؛ فيستقرّ فيه ويستمرّ ليلا طويلا إلى بزوغ الفجر وطلوع الشّمس ثمّ يواصل رحلته وسيره من جديد في الضّحى أو في الوقت المناسب والملائم الّذي يروق له، وربّما لم يعُد إلى أهله إلّا بعد شهر أو أكثر، فالشّاعر فارس مغوار يتجاوز الخطوب والصّعاب وهو يعبر الصّحراء بوُعوراتها وما فيها من أعلام جغرافيّة مختلفة التّضاريس؛ فلقد جاء الشّعرُ الجاهليّ غامرا في الأعلام الجغرافيّة، فما أجمل الرّحلة بمغامراتها وحده فذّا تارة ومع أحبابه وأصحابه تارة أخرى يجلُب قوته وقوت أهله من هذه المعالم الجغرافيّة المتنوّعة الّتي قطعها وجاب فيافيها معلما جغرافيّا صعبا بعد معلم جغرافيّ صعبٍ؛ وطوّع فيها كلّ الصّعاب وطوى كلّ الوعورات؛ فمن هذا المعلم اصطاد الغزلان ومن هذا المعلم طارد العِين والأرآم وبهذا "من الموضوعات الّتي كان لها نصيب وافر من الأشعار الجاهليّة وجاءت حافلة بالأماكن الجغرافيّة، الرّحلة: رحلة الشّاعر أو القبيلة من المكان إلى الأماكن الأخرى لأنّهم يمرّون أثناء ارتحالهم بمواقع وبلدان يذكرونها وربّما أسموا أعلام الطّرق بما يحدّدها ويسهّل عمليّة الاهتداء بها"[3].

إنّ للجغرافيا بالأدب عامّة والشّعر خاصّة علاقة لا ريب فيها ولا يختلف فيها اثنان؛ ولذلك "فاستحضار أنوية الأمكنة الّتي عرفها الشّاعر، أو عاش في ربوعها هو عمليّة سبريّة؛

[1] محمّد محمود محمّدين الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخريجي، الرياض السعودية ط02- 1996، ص32.

[2] المرجع نفسه: ص168

[3] علي خضري، مجلة حوليات التراث، تجليات الأمكنة وظواهرها في المعلقات السبع الطّوال، جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران، تاريخ الاستلام: 2019/12/9، ص174.

وإفراغيّة لعالم الأحلام، واللّاشعور الفرديّ والجماعيّ، تتداخل في تشكّلها عوامل بيئيّة ونفسيّة وميثولوجيّة وإثنولوجيّة عديدة[1]".

وإنّ لهذه المواضع الجغرافيّة في الشّعر أهمّيّة جليلة جدّا للعربيّ ولأيّ جغرافيّ باحث؛ وإنّ الاكتشاف للأماكن والأعلام الجغرافيّة ودراستها فاعليّة وحيويّة ونشاط وفضول وحبّ اطّلاع "تعتبر الأسماء الجغرافيّة من المواضيع الحيويّة والمهمّة لصلتها الوثيقة بأمور على قدر كبير من الأهمّيّة، كصناعة الخرائط والملكيّات العقاريّة والكتيّبات والنّشرات والوثائق الشخصيّة وأخيرا وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية"[2] "إنّ الأماكن لها دور أساسي في حياة الإنسان ويكثر ذكره في حياة العرب ولا يذكر في المعلّقات الماء أو الأرض أو البئر أو الجبل إلّا باسمه ولو بإضافته إلى موقعه أو للقبيلة الّتي تستأثر به"[3]، "وعدّ الجغرافيّون والمؤرّخون شعر الأعشى شواهد بلدانيّة وتاريخيّة هامّة تمتلك قوّة الوثائق وأهميّتها[4]"، وفي علم نظم المعلومات الجغرافيّة "بينما نظم المعلومات الجغرافيّة تتيح عمليّة ربط المعلومات مكانيّا مع توفّر إمكانيّة التّحليل المكانيّ للمعلومات، وعليه نرى أنّه ربّما يكون من الأحرى أن نستخدم في اللّغة العربيّة مصطلح نظم المعلومات المكانيّة Spatial Information System بدلا من مصطلح نظم المعلومات الجغرافيّة Geographical Information Systeوذلك لتوضيح المقصود من استخدام الصّفة للمعلومات بكلمة الجغرافيّة وهو المرادف تماما في هذه الحالة لكلمة المكانيّة أي المعلومات ذات الموقع المكانيّ على النّظام الإحداثيّ الحقيقيّ على سطح الكرة الأرضيّة دون التقيّد بنوع المعلومات[5] ولهذا فإنّ "الجغرافيّ **Geographer** يعتبر أنّ تعريف نظم المعلومات الجغرافيّة لا بدّ ان يشمل منهج الرّبط بين المعلومات؛ نوعيّة كانت أو كمّيّة وبين مواقعها الحقيقيّة على سطح الأرض[6]"، وعند الدّارسين "يعرّف البعض أنّ علم الجغرافيا، هو علم العلاقات المكانيّة، أي أنّه يهتم بدراسة العلاقات المكانيّة للظّاهرات

---

[1] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشّعر الجاهليّ، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2008، ص180.

[2] المرجع نفسه، ص03.

[3] علي خضري، مجلة حوليات التراث، تجليات الأمكنة وظواهرها في المعلقات السبع الطّوال،جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران، تاريخ الاستلام: 2019/12/9، ص174.

[4] عبد الإله الصّائغ، الخطاب الإبداعيّ الجاهليّ والصّورة الفنّية، القدامة وتحليل الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط01، 1997، ص236.

[5] د. محمّد الخزامي عزيز، نظم المعلومات الجغرافيّة، أساسيات وتطبيقات للجغرافيين، الناشر: منشأة المعراف، الإسكندريّة، 1998، ص11.

[6] المرجع نفسه، ص16.

الطّبيعيّة والبشريّة؛ وما ينتج عن ذلك من تفاعلات بيئيّة تشكّل كيان الحياة على سطح الأرض، لذلك يعتبر علم الجغرافيا هو المصدر الأوّل للأفكار الجغرافيّة الّتي تبلور شخصيّة المكان من حيثُ الموقع الحقيقيّ على سطح الأرض؛ ومسبّبات نشأته الطّبيعيّة وشبه الطّبيعيّة والبشريّة[1]".

ومهما تحدّثنا عن الأعلام الجغرافيّة الّتي تمثّل إحدى أساسات النّص الشّعريّ كما هو واضح في المعلّقات إذ أوّل ما تقرأه هو الأعلام الجغرافيّة الطلليّة؛ لن نستطيع الإحاطة بأهميّتها وقيمتها ولا يمكننا الولوج إلى عمقها أو دراستها دراسة شاملة كاملة شافية تامّة متغلغلة تشفي الغليل، ذلك لأنّ الأعلام الجغرافيّة هي بينيّة ومحور أساس للكثير من العلوم من تاريخ وجغرافيا وأدب ونقد وأرطوفونيا وطوبونيميا وغيرها إذ إنّ مثلا "بين التّاريخ والجغرافيا علاقة رحم وانتساب، فلا ريب أنّ تاريخ الشعوب يجري في الأقاليم الجغرافيّة الّتي تسكنها وتعمرها، بل لعلّ هناك من يرى أنّ تاريخ الشّعوب يوجد مكتوبا في خطوطه الأساسيّة في جغرافيا بلادهمّ...والدّراسات التّاريخية والجغرافيّة أصبحت تُولّي أهمّيّةً خاصّة لعلم الأعلام الجغرافيّة، الّذي يعتبر من العلوم المساعدة وروافد البحث العلميّ وإعادة بناء وتركيب عناصر الهويّة الحضاريّة والثّقافيّة لمختلف المجالات الجغرافيّة وتفاعلاتها التّاريخيّة وعلاقتها المتعدّدة"[2] يستمدّ الشّاعر الجاهليّ من المكان التّجارب الّتي وصلت إليها في حياته حتّى صارت الأماكن جزءا مهماّ من نفسه، هذه الأماكن تدل على حياة الشّاعر وتجاربه...وقد كانت الغارة في الأماكن المختلفة معلما واضحا من معالم الحياة الجاهليّة، والمعلّقات من أبرز النّصوص الجاهليّة الّتي تضمّنت آراء الشّعراء الجاهليّة وأفكارهم ومعانيهم، فأخذت تداعب أخيلتهم وعواطفهم وقد ضمّت هذه القصائد أسماء لأماكن كثيرة عرفها الإنسان الجاهليّ وقد يكون موطئ قدم فيها"[3].

وتعتبر الأعلام الجغرافيّة قلب علم آخر عرف اهتماما كبيرا في عهدنا هذا هو علم المواقعيّة أو علم الأعلام الجغرافيّة أو ما يسمّى **الطّوبونيميا** وظهر هذا العلم "يُعدّ علم الطّوبونيميا من العلوم الّتي ظهرت لأوّل مرّة في فرنسا في القرن التّاسع عشر، ويعرّفه شارل

[1] محمّد الخزامي عزيز، نظم المعلومات الجغرافيّة، أساسيات وتطبيقات للجغرافيين، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندريّة، 1998، ص43.

[2] سليمة يحياوي، الدّراسة المواقعيّة في تحديد الهويّة التّاريخيّة الجغرافيّة للمدن الجزائريّة"، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ص242.

[3] علي خضري، مجلة حوليات التراث، تجليات الأمكنة وظواهرها في المعلقات السبع الطّوال،جامعة خليج فارس، بوشهر، إيران، تاريخ الاستلام: 2019/12/9، ص168.

روستينغ (**CHARLES ROSTAING**) أنّه البحث في معنى وأصل أسماء الأماكن، كما يدرس التّحوّلات والتّطوّرات الّتي مرّت بها...إنّ الغرض من الدّراسة الطّوبونيميّة هو: التّعرّف على أصل كلمة مكان ما، فبدون التّسميّة يكون الإنسان مظطرّا في كلّ مرّة إلى وصف المكان بميزاته والطّابع الغالب عليه، وتكون هذه التّسميّة مرتبطةً أساسا إما مع جغرافيّة المكان، وإمّا مع نوع النّبات أو الحيوان الّذي يكثر تواجده بذلك المكان"[1] كما و"يحمل مفهوم المواقعيّة أو علم المواقعيّة أو علم الأعلام الجغرافيّة أو الطّوبونيميا (**La Toponymie**) أو الأماكنيّة – كما ترجمها البعض – دلالات عديدة تهتمّ في غايتها بالبحث في أسماء الأماكن، ومحاولة تفسير ظهورها واضمحلالها داخل مجالها الجغرافيّ والتّاريخيّ وتطوّر دلالتها، ويلمس ما يطرأ عليها من تغيير ومحو وتشويه بفعل الطّبيعة أو بفعل الإنسان"[2].

ونظرا لتداخل العلوم وتشعّبها تواشجًا لا غرو ولا ريب فيه؛ غدا اليوم صعباً جدّا تحديد أصل العلم أو فرعه، ومن ذلك الطّوبونيميا إذ "تعدّ الطّوبونيميا أحد فصول الجغرافيا التّاريخيّة حيثُ استطاع الباحثون التّأكيد على أنّه علم قائم بذاته مرتبط بميادين بحثيّة أخرى[3]"، والطّوبونيميا أيضا كما "وحاول الوافي نوحي الإحاطة بماهية الطّوبونيميا كفرع من علم الأنوماستيكا، والّذي فرعه الثّاني هو الأنتروبونيميا (علم الأسماء)، من خلال تحديد ماهيته اللّغويّة؛ والإصطلاحيّة، ...وأمّا **معناه الإصطلاحيّ**، فهو العلم الّذي يهتمّ بدراسة مجموعة من الأماكن في زمن ما...وتبرز أهمّيّة هذا العلم في مناحي كثيرة؛ فهو يساعد على تحديد الهويّة، كما يهدف إلى تحصيل المعرفة بالإنسان ومحيطه الاجتماعيّ والثّقافيّ، ويؤدّي البحث في هذا العلم إلى إحياء الذّاكرة الجماعيّة وبناء الهويّة الثّقافيّة[4]" فبالأعلام الجغرافيّة تقوى الهويّة والشّخصيّة للفرد.

وللأعلام الجغرافيّة مكانة عظيمة وأهميّة في علم العلاقات المكانيّة إذ "إنّ مفهوم الطّوبولوجيّة أو العلاقة المكانيّة يسمح بالمحافظة على التحام وتماسك المعالم، وذلك باستبعاد كلّ ازدواجيّة في التّخطيط او السّلاسل والنّقاط أو العقد المستخدمة لتعريف المكوّنات المكانيّة البسيطة...وطوبولوجيّة أحد فروع الرّياضيّات الشّهور، وهو ذو شأن كبير جدّا في أنظمة

---

[1] نجراوي فاطمة، مجلة الفكر المتوسّطي، العدد الحادي عشر، جوان 2016،ص166.

[2] المرجع نفسه، ص 242.

[3] الصادق زياني، التحوّلات الطّوبونيميّة بالمجالات الكتاميّة من نهاية الفتح الإسلاميّ إلى نهاية القرن الهجريّ التّاسع، المجلد الأوّل، العدد الرّابع، ديسمبر 2019، ص37.

[4] المرجع نفسه، ص38.

المعلومات الجغرافيّة[1]"؛ وإنّ لمعنى المعلم الجغرافيّ أهميّة قويّة بارزة و "من المؤكّد أنّ عدم الإلمام بالمعنى الدّقيق للكلمة أو المفردة المكانيّة في موضعها يؤدّي إلى فهم خاطئ للسيّاق المكانيّ والوضعيّة الجغرافيّة"[2].

فالعرب اليوم يفتخرون ويعتزّون بما خلّدته لهم المعلّقات ونقلته إليهم بحروف وزنها جبال من عسجد نظرا لمحافظتها على أسماء أماكن من أعلام جغرافيّة كلّها عربيّة قحّة باتت تشكّل وتمثّل روحهم وهويّتهم العربيّة والوطنيّة وجذور تاريخهم وجغرافيّتهم إنّها كالطّود الثّابت الشّامخ؛ قمّته تطاول أعنان السّماء "وعلى هذا الأساس تعتبر أهمّيّة الإحاطة بدلالات أسماء الأماكن من أهمّ معالم الهويّة الوطنيّة، ومن عناصر سبر أغوار التّاريخ والبحث عن الحلقات المفقودة في مساره الحافل، والّتي تشكّل مساحات بيضاء ما زالت في حاجة إلى مزيد من الدّراسة"[3] وإنّ الّذي يهتمّ أكثر بدراسة الأعلام الجغرافيّة إذ منه ينطلق وعليه يرتكز هو علم الأعلام الجغرافيّة المسمّى الطوبونيميا" الطّوبونيميا **(LA Toponymie)** هو مصطلح إغريقيّ مركّب من لفظين (طبو=**topos**) وتعني مكان و(**أونوما=onuma**) وتعني اسم أي (اسم المكان)، ويترجم هذا العلم في اللّغة العربيّة إلى المواقعيّة أو علم المواقعيّة أو علم الأعلام أو الأسماء أو التّسميّات الجغرافيّة أو الأماكنيّة"[4] ولأنّ العلوم مع بعضها متداخلة ومتشابكة ولا يمكنها الانفصال عن بعضها والتحرّر المطلق عنها وإن فعلت ذلك أصبحت قاصرة عاجزة وفاشلة في حلّ المعضلات؛ فنجد علم الأعلام الجغرافيّة المسمّى الطّوبونيا أو المواقعيّة يستند على علم اللّسانيات في دراسته وهو أيضا بحاجة إلى الأعلام الجغرافيّة الرّاسخة في صدر المعلّقات إن أراد دراسة الأعلام الجغرافيّة لشبه "تعتبر اللّسانيات العلم الأساسيّ الّذي تعتمد عليه المواقعيّة، فتدرس أسماء الأماكن، بحكم أنّها مفردات لها دلالة معيّنة، على المستوى المعجميّ بالدّرجة الأولى"[5]، ومن هنا "لقد اتّخذ علم **الطّوبونيميا (المواقعيّة)** من المكان موضوعا له، كونه يقوم بالبحث عن أصل تسميّة أيّ مكان ما، وتعدّ الدّراسة الطّوبونيميّة من الدّراسات العلميّة الّتي ظهرت أوّل مرّة في فرنسا في القرن التّاسع

---

[1] الحسين محمّد المختار الغريب، الجزء النّظري في مادّة نظم المعلومات الجغرافيّة، الأكاديميّة اللّيبيّة؛ فرع مسراتة، 2022، 28.

[2] عبد الله حسين القاضي، مفهوم الاتجاهات الجغرافيّة في القرآن الكريم، تطبيقات ميدانيّة لأحداث رود ذكرها في القرآن الكريم والسيرة النبويّة،مجلة جامعة الملك عبد العزيز، علوم تصاميم البيئة، م 7، السعوديّة، ،2012، ص.54

[3] المرجع نفسه ص، 242.

[4] سليمة يحياوي، الدّراسة المواقعيّة في تحديد الهويّة التّاريخيّة الجغرافيّة للمدن الجزائريّة"، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.ص245.

[5] المرجع السّابق، ص246

عشر، فقد خصّصت قواميس خرائطيّة، لبعض المقاطعات، فدرست كلّ مقاطعة بمقدار كبير من التّفاصيل وتطوّراتها التّاريخيّة عبر القرون، وأوّل من اهتمّ بهذا العلم هو الفرنسيّ أوغست لونيون، (**August Lognon**)، الّذي يعدّ المؤسّس الأوّل للمواقعيّة الّذي ألّف كتاب أسماء أماكن فرنسا في سنة 1920، وتناوله وفق منهجيّة منظّمة، ثمّ قام بعضُ الباحثين بتطوير أعماله مثل: ألبارت دوزا (Albert Douzat) وأرنسن نقغ (Arnest Neger) و شارل روستنغ (**Charlas Rostaing**)، كما يواصل حاليا العديد من المتخصّصين التعمّق في أبحاث علم المواقعيّة، أمّا في محيطنا العربيّ فيبدو أنّ هذا النّوع من الدّراسات شبه خفي أو غير معروف إذ لم يظهر إلّا في منتصف القرن العشرين[1]".

تشكّل الأعلام الجغرافيّة بينيّة الكثير من العلوم كالتّاريخ والجغرافيا واللّسانيات والطّوبونيميا والإيثيمولوجيا كما سبق التّطرّق إليه آنفا، وهي تعتبر جسر عبور بينها "فعلم الأعلام الجغرافيّة المواقعيّة يعتمد على الكثير من المعارف والعلوم والتخصّصات الأخرى ولا يمكنها في أيّ حال من الأحوال التخلّي عنها ولا تكتمل لها دراسة أو تحليل أو بلوغ نتيجة إلّا بها "تعتبر بعض التخصّصات من العلوم المكمّلة لعلم المواقعيّة، والّتي نستفيد منها في معرفة بعض الحقائق التّاريخيّة والجغرافيّة واللّغوية لأسماء الأماكن، بل لا تدرس المواقعيّة إلا بحضور أنظمة ثلاث ولا يمكن فصلها عنها حيثُ يؤدّي اسم المكان الجسر بين اللسانيّت والتاريخ والجغرافيا"[2] كما أنّ "لعلم الإثيمولوجيا (دراسة أصل الكلمات وتطوّرها) حظّا وافرا في الدّراسة المواقعيّة، فهذا الاسم يسمح لنا بالرجوع إلى الكتابات القديمة ومعرفة اشتقاق بعض الكلمات"[3]، ولا تتوقّف أهميّة الاعلام الجغرافيّة هنا بل" وتدخل دراسة الأسماء الجغرافيّة، والأعلام منها بوجه خاصّ في ما يعرف بعلم **Onomastic**، أي فلسفة الإنسان في تسمية ما حوله، وفي علم ال **Toponomy** الّذي يبحث في الأعلام الجغرافيّة والمكانيّة[4] " ومن قيمة لغة الأعلام الجغرافيّة الذّخيرة وتنميقها للمعاجم "هذا معجم ما استعجم من أسماء المواضع والبلاد، لأبي عبيد البكريّ، وهو معجم لغويّ جغرافيّ، يصف جزيرة العرب، ويتقرّى ما بها من المعالم

---

[1] أمينة بلهاشمي، المكان وشعريته في ضوء المنهج السّيميائيّ، دراسة نموذجية في الشّعر العربيّ والجزائريّ الحديث، دار المعتز، ط01، 2020، ص86.

[2] سليمة يحياوي، الدّراسة المواقعيّة في تحديد الهويّة التّاريخيّة الجغرافيّة للمدن الجزائريّة"، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ص 246

[3] المرجع نفسه، ص246.

[4] يحي جبر، الأعلام الجغرافيّة دراسة في تكوّنها وفلسفتها، د. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد: 80،دار المنظومة، 2021، ص40.

والمشاهد، والبلدان والمعاهد، والآثار والمحافد، والمناهل والموارد، ويتتبع هجرة القبائل العربيّة من أوطانها، واضطرابها في أعطانها، وتردّدها بين مصايفها ومرابعها، ومباديها ومحاضرها، ويذكر أيّامها ووقائعها؛ وأنسابها وعشائرها، وهو أثر نفيس من صميم التّراث الأدبيّ والعلميّ...سبق البكريّ إلى التّأليف في جغرافيّة جزيرة العرب...ويعوّل المؤلف في الضبط على الشّعر العربيّ أوّلا فيأتي بالشّعر الّذي ورد فيه اسم المكان[1]".

والوصول إلى عمق معنى الأعلام الجغرافيّة وجمالها لا يتأتّى لجميع القرّاء؛ بل هو من لدن فقط القارئ المتفحّص الواعي؛ والسّليم الذّهن العظيم الثّقافة؛ وخاصّة الثّقافة الجغرافيّة منها" من المتوقّع أن يكون لفهم القارئ الصّحيح لمعاني المفردات الجغرافيّة ومن ثم النّصوص الّتي وردت فيها انعكاسات عديدة في استخلاص حكمة النّهائيّ على العديد من القضايا الإدراكيّة والوصفيّة الّتي تمسّ السّيّاق الكلّي للمحيط الجغرافيّ والمكانيّ للأحداث..."[2]؛ لأنّ بعض الألفاظ" تحتوي على مفردات ذات مفاهيم مكانيّة وجغرافيّة"[3].

وإنّ نشأة علم من الأعلام الجغرافيّة لم ينبجس عبثا؛ وما برز بقوّة عفوا واعتباطا؛ وما علا علوّا بلا هدف؛ إنّما يعود ذلك إلى أنّ "المواقعيّة هي علم لسانيّ يخصّ دراسة أسماء الأماكن، حيثُ يهتمّ بدراسة معنى وأصل أسماء الأماكن كما يدرس التحوّلات والتّطوّرات الّتي مرّت بها، فبدون التّسمية يكون الإنسان مضطرّا في كلّ مرّة إلى وصف المكان بميزاته والطّابع الغالب عليها، وتكون هذه التّسميّة مرتبطة أساسا إمّا مع جغرافيا المكان ، وإمّا مع نوع النّبات أو الحيوان الّذي يكثر تواجده بذلك المكان، وإمّا مع أسماء تربط الشّعوب بأراضيها من قبائل أو عائلات، أو حتّى أسماء لأولياء صالحين انتقل اسمهم إلى ذلك المكان"[4] ولذلك "وأورد عطويّ إبراهيم قول ألبرت دوزا الّذي يرى أنّ المواقعيّة تمكّننا من فهم الرّوح الشّعبيّة، وميولها سواء كان أسطوريّا أم حقيقيّا، والوسائل الّتي تعبّر بها، ويرى أنّ المواقعيّة نظام متعلّق باللّسانيّات الّتي تعدّ علما للّغة بصفة عامّة، وبصفة أدق دراسة تاريخيّة ومقارنة للّغات، لأنّ تسمية الأماكن

---

[1] أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكريّ الأندلسيّ، ج01، عارضه بمخطوطات القاهرة، وحققه وضبطه، مصطفى السّقا، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، ص د.

[2]عبد الله حسين القاضي، مفهوم الاتجاهات الجغرافيّة في القرآن الكريم، تطبيقات ميدانيّة لأحداث رود ذكرها في القرآن الكريم والسيرة النبويّة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، علوم تصاميم البيئة، م 7، السعوديّة، ،2012، ص56.

[3] المرجع نفسه، ص57.

4 سليمة يحياوي، الدّراسة المواقعيّة في تحديد الهويّة التّاريخيّة الجغرافيّة للمدن الجزائريّة أنموذجا، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا، 2012/06/30، ص: 244.

عبارة عن بحث ووصف وشرح للألفاظ الّتي ساعدت وما زالت تساعد على تعيين جوانب الطّبيعة في علاقاتها مع الكيان الإنسانيّ"[1]، شكرا لأجدادنا وأهلنا في الماضي، فالشّكر إليهم حارّ رنّان، سهّلوا علينا معرفة أسماء المواقع ومن ثمّة سهولة تحديدها، لأنّه أضحى معلما شائعا مستعملا لدى الجميع، وإليه يلجأون ويتواعدون فلا يجدون مشكلا في الالتقاء فيه بكلّ عفوية؛ ولولا أنّه يمثّل معلما لديهم لكانت الدّهياء الحالكة قد زجّت بهم إلى مشقّة التّيه، فللأعلام الجغرافيّة وبيننا وبين أجدادنا شأن وشأو عظيم "إنّ اسم المكان هو شاهد على الماضي يعطينا تاريخ ذلك المكان وعلاقته بمن عاشوا فيه وهيّئوه ومنحوه اسما"[2]، ولقد كان لأجدادنا في تسمية مواقع الأرض وأقاليمها لتتحوّل إلى أعلام جغرافيّة لتصنع وتشكّل عديد الأفكار حيثُ "قد تتعلّق أسماء الأماكن إمّا بطبيعة الأرض وتضاريسها أو بطبيعة المناخ، كما أنّ أسماء الأماكن الخاصّة بالجغرافيا كأسماء الوديان الجبال والهضاب ...تبقى ثابتة"[3].

وإنّه نظرا للقيمة العظمى والأهمّيّة القمّة وما تشكّله الأعلام الجغرافيّة من هويّة الإنسان وإنتمائه وشخصيّته وكنهه؛ فإنّ أوّل ما يصنعه المستعمر هو طمسه ودرسه ومحوه للأعلام الجغرافيّة من الوجود واستبدالها بما يناسبه في الاستعمار بعد الاستدمار؛ وذلك من مثل ما استعلم الاستعمار الفرنسيّ من دمار لأسماء الأعلام الجغرافيّة إذ "إنّ تسمية الأماكن والأشخاص كانت بمثابة الخطوة الأولى للاستعمار من أجل محو الهويّة الجزائريّة، ومعلوم أنّ أيَّ تحريفٍ بها؛ قد يلحقُ هذه الأعلامُ سواء أ كان مقصودا أم غير مقصود، فإنّه لا شكّ يؤثّر ليس على كينونة المجموعة البشريّة فحسب بل ومستقبلها برمّته، ممّا سيؤدّي بالمعالم الثّقافيّة للمجموعة المستهدفة أن تندثر مع اندثار مضمون الأعلام الجغرافيّة"[4].

والطّوبونيميا علم ممتع ومفيد وجميل، "يتناول موضوع الأعلام الجغرافيّة علما يسمّى: علم الأعلام الجغرافيّة **la Toponymie** هذا العلم يهتمّ أساسا بالأصل اللّغويّ/الأنتروبولوجي لأسماء الأماكن والمناطق الجغرافيّة في كلّ منطقة من مناطق العالم، بيد أنّ من الطّبيعيّ أنّ لكلّ منطقة جغرافيّة أسماء ترتبط بشكل أساسيّ بالإنسان الّذي يقطن تلك المنطقة بلغته

---

1 المرجع نفسه، ص: 245.

2 المرجع نفسه، ص:246.

3 المرجع نفسه، ص:246

4 المرجع السابق، ص254

وثقافته، تختزن ذاكرته وتعبّر عن كينونته، وعلى هذا الأساس فكلّ الأعلام الجغرافيّة بمنطقة جغرافيّة معيّنة تمتح من لغة المجموعة البشريّة الّتي تقطن تلك الرّقعة"[1]

أضحت الأعلام الجغرافيّة تكتسي الكثير من الأهميّة والدّور اللاّفت للكثير من العلوم إذ أصبحت تشكّل قلب عديد من العلوم والمنبع الّذي ترتروي منه المعرفة؛ فهي إن كانت قطعة أساسيّة في قول الشّعر ومنطلقه ولبنة من لبناته، فهي أيضا تعتبر قلب الكثير من العلوم مثل الطّوبونيميا والّذي يطلق عليه اسم علم المواقعيّة أو المواقعيّة أو علم الأعلام الجغرافيّة، كما أنّه يعتبر الموضوع الأساس لعلمي التّاريخ والجغرافيّة واللّسانيّات والإيثومولوجيا والأنتروبولوجيا ومختلف العلوم الاجتماعيّة، "بالرّغم من عدم تصنيف الطُّوبونيميا في أغلب الجامعات كعلم قائم بذاته، إلاّ أنّ هذا التخصّص لديه أهمّية جدّ معتبرة في العديد من المجالات، وأحيانا لا تظهر تلك الأهميّة بشكل واضح، نظرا لأنّ دراسة أسماء المعالم الجغرافيّة تنتهج مبدأ الاعتماد المتبادل مع مختلف العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة: الأركيولوجيا، الأنثروبولوجيا، علم التّاريخ، الجغرافيا، وغيرها من العلوم"[2].

للأعلام الجغرافيّة هالةٌ تمتزج بالمرء وتسكن فيه وتتنقل هذه الهالة بين النّاس فيلبسونها جميعا؛ فتتواشج ميزاتهم وأفكارهم ثمّ تصنع بينيّتهم وما الهالة إلّا عدوى تتناقلُها الأعلامُ الجغرافيّة بين النّاس؛ وما تفتأ أن تنغرس في باطنه، وللأعلام الجغرافيّة المنتشرة على سطح الأرض مواقعا وأماكناً مفاهيمٌ مختلفة ومعاني عميقة متنوّعة حيثُ "يُحيل المكان في الشّعر الجاهليّ إلى أبعاد دلاليّة رسمت معالمها على الأفق النّفسيّ والاجتماعيّ والتّاريخيّ، فنحتت هذه الأماكن صوّرها على مخيّلة الشّاعر، ولعلّ الشّعراء الجاهليّون واعون بهذه الدّلالات عند استعمالهم للأعلام الجغرافيّة مثلما استعملوا الأشكال الطوبوغرافيّة، مع الإشارة إلى أنّ النّوع الأوّل يتميّز بغناه الدّلاليّ في حين يكاد النّوع الثّانيّ يقتصر على دلالته الجغرافيّة، ومن هذا المنطلق تتعدد دلالات المكان في الشّعر الجاهليّ، وتظلّ رافدا من روافد الحركيّة الّتي تطبع مضمون النّصّ وتسهم في إدراك مراميه وتتبّع مقاصده"[3].

ومن الطّرق الأخرى لدى العرب لتسمية المواضع لتكون معلما جغرافيّاً" قد يطلق العرب المكان على اسم الجنس الّذي ينتمي إليه المكان، فتُخصَّصُ دلالة العامّ به، فيغلب استعمال

---

[1] محمّد آيت بود، الأعلام الجغرافيّ بالمغرب: الأمازيغيّة نموذجا مقال بجريدة أزيلال 24 المغربيّة الإلكترونيّة، فبراير 2017.

[2] سعد اسماعيل شبيلي، الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ ،ط02، مكتبة غريب، ص121.

[3] بن بغداد أحمد، المعيار، دلالة المكان في الشّعر الجاهليّ، العدد: 17، جوان 2017، تسمسيلت، ص169.

اسم الجنس علما على المكان، فالبلد والبلاد والبلدة ألفاظ عامّة، غير أنّ دلالتها العامّة خصّصت وشاع استعمالها أعلاما على مكّة المكرّمة، وذلك لا يمنع إطلاق هذه الألفاظ على أسماء جنسها، غير أنّ الشّائع الغالب في اللّفظ استعمالها أعلاما على مكّة المكرّمة"[1].

ومن العلوم المتخصّصة بدراسة الأعلام الجغرافيّة نجد الجغرافيّة البشريّة "ما ورد في جغرافيّة الأسماء أو الطّوبونيميا أو علم الأسماء الجغرافيّة هو فرع من الفروع الجغرافيّة البشريّة الّذي لا يعرفه الكثيرون ويهتمّ هذا العلم بدراسة الأسماء وأصول اشتقاقها وتشمل أسماء الأقطار والمدن والظاهرات الجغرافيّة وتحقيق الأسماء من حيثُ النّطق ومن حيثُ المواقع فمجالات جغرافيّة الأسماء ترتبط ارتباطا وثيقا بالجغرافيّة الاجتماعيّة، إذ إنّ الأسماء ترتبط بالبيئة الاجتماعيّة وبالسّكان، وتطوّر الأسماء يتطلّب تتبعا تاريخيّاً يدخل في مجال الجغرافيّة التّاريخيّة"[2]ولهذا يندثر الغموض ويتلاشى عن آخره كلّيا لتتّضح وسامة الأعلام الجغرافيّة الطلليّة "والمقدّمة الطّللية إنّما انتشرت لأنّها ممّا يُمثّل مركز الثّقافة والإبداع الشّعريّ معاً، وربّما وضعت الثّقافة العربيّة كلّ ثقافتها وكثافتها ورمزيّتها في الطّلل، لأنّه استطاع أن يستوعب جانبا كبيرا من همومها وأسئلتها، وقدّمت اللحظة الطلليّة نفسها تمظهراً للرّؤية العربيّة الّتي تتحدّد من خلالها السّمات الرئيسيّة لطريقة العربيّ في معاينة الوجود[3]".

وما زالت الجغرافيا في تطوّر وازدهار واكتشاف وتمتح من الأعلام الجغرافيّة ينبوعا لها حتّى كان من الأفضل" في البداية يجدر بنا القول بأنّ التّحليل المكانيّ تخصّص فرعيّ في علم المعلومات الجغرافيّة أحدث فروع علم الجغرافيا وآخرها... لا بدّ من المتخصّص في التّحليل المكانيّ معرفة أساسيّات الجغرافيّة، نظم المعلومات الجغرافيّة، الحاسب الآليّ، الإحصاء والريّاضيّات، وأعني بذلك بشكل عام معرفته بالمنهج الجغرافيّ المكانيّ ومقاييس التّمركز والتّشتّت الإحصائية كالوسط والوسيط، والمنوال والمدى والإنحراف المعياريّ[4]" ورغم ذلك إلّا " أنّ التّحليل المكانيّ ليس حكرا على الجغرافيين فقط، هو أسلوب لفهم عالمنا بشكل

---

[1] إعداد يوسف أحمد علي أبو ريدة، إشراف أ د يحي عبد الرّؤوف جبر، أعلام المكان في القرآن الكريم، دراسة دلاليّة، قدّمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلّبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة بعمادة الدّراسات العليا في جامعة الخليل 2008/2007، ص 272.

[2] رنا محمّد مجيد الغريريّ، المعجم الجغرافيّ الخصّ بألفاظ وآيات القرآن الكريم، ص720.

[3] خميسيّ آدميّ، إشراف أ د عبد القادر داخميّ، المرجعيّة المعرفيّة للمقدّمة الطلليّة بين الجاهليّة وصدر الإسلام، دراسة في النسق الثّقافيّ، رسالة مقدّمة لنيل درجة دكتوراة العلوم في الأدب المغربيّ القديم، موسم: 2017/2016، ص55.

[4] الحسين محمّد المختار الغريب، الجزء النّظريّ في مادّة نظم المعلومات الجغرافيّ، كجزء من متطلّبات نظم المعلومات الجغرافيّة، 2022، ص15.

أفضل، فقد يقوم متخصّصون آخرون بالاستفادة من مزايا التّحليل المكانيّ في دراساتهم إذا ما وجدت بها جوانب مكانيّة[1]" مثل علم الأعلام الجغرافيّ الطّوبونيميا " وموضوع الطوبونيميا دراسة الأسماء المكانيّة؛ أي: دراسة أسماء الأماكن ودلالتها؛ ...ويُعتمد الآن من العلوم المساعدة للتّاريخ إلى جانب علوم أخرى (علم النّقوش، وعلم وعلم الآثار)، والطّوبونيميا فرع من علم الأنوماستيكا، وقد نشأ في أوروبا علم يسمّى الأنوماستيكا؛ وهو ما ترجمته بعض المعاجم العربيّة؛ بالأعلاميّة، ويتفرّع هذا العلم إلى علمين كبيرين هما: الطّوبونيميا والأنتروبونيميا، وإذا كانت الطّوبونيميا تهتم بأسماء الأماكن – كما ذكرنا–؛ فإنّ الأنتروبونيميا تهتم بالأسماء البشريّة أفرادا كانوا أو جماعات، ويندرج تحت الأنتروبونيميا علم الإثنومينيا، الّذي يهتمّ بدراسة الأعراق أو المجموعات العرقيّة، كما يندرج تحت الطّوبونيميا علم الإدرونيميا الّذي يدرس المجاري المائيّة[2]".

8. تسمية الأماكن والأعلام الجغرافيّة:

مبدأ تسميّة المعالم الجغرافيّة: تتنوّع وتتعدّد مبادئ تسميات المعالم الجغرافيّة، ومن ذلك نجد ما تعلّق بالصّفات أو المميّزات الجغرافيّة للمكان، أسباب دينيّة (إله، نبيّ، قدّيس، شيخ، صحابي،...) نسبة إلى أشخاص أو عشائر أو قبائل أو شعوب، نسبة إلى أحداث، وأخيرا نسبة إلى حيوانات أو نباتات أو أجزاء منها: قرن، رجل، راس، وغيرها"[3] " يعدّ علم الطوبونيميا من العلوم الّتي ظهرت لأوّل مرّة في فرنسا في القرن التّاسع عشر، ويعرّفه **شارل روستينغ (CHARLES ROSTAING)** أنّه البحث في معنى وأصل أسماء الأماكن، كما يدرس التحوّلات والتطوّرات الّتي مرّت بها...إنّ الغرض من الدّراسة الطّوبونيميّة هو التّعرّف على أصل كلمة مكان ما، فبدون التسميّة يكون الإنسان مظطرّا في كلّ مرّة إلى وصف المكان بميزاته والطابع الغالب عليه، وتكون هذه التسميّة مرتبطة أساسا إما مع جغرافيّة المكان، وإمّا مع نوع النّبات أو الحيوان الّذي يكثُر تواجده بذلك المكان"[4]، وإنّ "الّذي يضع اسم المكان

---

[1] المرجع نفسه، ص15.

[2] كمال بحو، محمّد البالي، تجاذبات الهويّة، الدّلالات والتّحدّيات، الهويّة المغربيّة أنموذجاً، المؤتمر السّنويّ السّادس لمركز الدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، نوفمبر 2017، ص02.

[3] لعربي بن أعمارة، تاريخ تجليات التّنوّع الثقافي واللغوي في الجزائر، الطوبونيميا أنموذجا، القبول، 2021/05/06 ، مجلة معالم، المجلد: 14، العدد 02، السداسي الثاني، 2021، ص124.

[4] نجراوي فاطمة، مجلة الفكر المتوسّطي، العدد الحادي عشر، جوان 2016، ص 166.

يضعه بناء على معطيات تعبّر عن نظرته للعالم والمحيط والمجال[1]" كما أنّه "قد يسمّى المكان بحدث يرتبط به بوجه من الوجوه،...ومثلها عرفات قيل لتعارف آدم وحواء به أو لتعارف المسلمين في الحجّ، والصّفا لأنّ آدم أصفى توبته وأخلصها عليها"[2] و"ربّما نبعت تسمية المكان من اسم شخص أو نبات أو من وصف جغرافيّ وربّما نبعت من صفة المكان العامّة أو من صفة عليها أهل المكان أو من حدث يحصل فيه،، وربّما اكتسب العلم اسمه من باب قصر الدّلالة أو من باب توسيع معنى اللّفظ"[3] وكذلك "تبيّن أنّ ثمّة نوعا من التّرادف بين بعض الأعلام، والعلاقة علاقة ترادف من حيثُ إطلاق الأسماء المختلفة على المكان نفسه، ولكنّها مختلفة في الصّفات، وربّما اختلف المفسّرون في دلالة اللّفظ وتعيين المكان، فالتّرادف بمفهومه العام حاضر في أعلام المكان"[4].

وإنّ أبرز مذاهب العرب في تسمية الأعلام الجغرافيّة: "لتسمية الأماكن عند العرب طرق مختلفة كثيره نذكر منها:

- تسمية الموقع باسم أوّل من سكنه، أو نسب إليه: وهذا منهج قديم نجد له جذورا في التوراة ...فإذا سئل أحدهم مثلا عن الأندلس من بناها قال: بناها أندلس بن يافث بن نوح...
- تسمية العلم بصفته: وهذا من باب إقامة الصّفة مقام الموصوف وهم من أبرز الموجّهات الّتي تقف وراء تخصيص بعض الأسماء أعلاما لمواقع بعينها، وذلك انّ الموقع يشتهر بين النّاس بصفة لا يلبث حتّى يعرف بها، فتستقرّ في الأذهان علم له.
- قصر الدّلالة: وهو أتن يطلق على الموقع اسم جنسه علما عليه دون سواه، وذلك كثير في كلام العرب، وهو من باب تخصيص العام، مفردا كان ذلك أم جمعا.

---

[1] كمال بحو، محمّد البالي، تجاذبات الهويّة، الدّلالات والتّحدّيات، الهويّة المغربيّة أنموذجاً، ص03.

[2] يوسف أحمد علي أبو ريدة، إشراف: يحي عبد الرّؤوف جبر، أعلام المكان في القرآن الكريم، دراسة دلاليّة، قدّمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلّبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة بعمادة الدّراسات العليا في جامعة الخليل 2008/2007، ص 272.

[3] المرجع نفسه، ص 285.

[4] المرجع نفسه، ص 286.

- التّسمية بالمصادر المائيّة: كان للماء أثر بالغ في توجيه الحياة العربيّة قديماً، ومن هنا لم يكن غريب أن نجد كثيرا من الأماكن سميت بأحد مصادر المياه الّتي تكون فيها.
- التّسمية بنبات أو حيوان أو غير ذلك ممّا يكثر وجوده في الموقع[1]".

9. أبنية الأعلام الجغرافيّة:

يمكن تصنيف الأعلام الجغرافيّة من حيثُ أبنيّتها وتراكيبها إلى عدّة أقسام، وذلك باعتبارات مختلفة، تماما كما هو الحال في أسماء النّاس...إذ ثمّة ما يعرف بعلم الشّخص، كزيد؛ وعمرو، ويناظرهما في المواقع والبلدان مكّة والقاهرة، وذؤالة للذّئب، ويناظرها في الأعلام الجغرافيّة تَحَوط وكَحْل علمين على السّنة الجدبة، ومَحْوَة علم علي الشّمال[2]"، "والأعلام من باب آخر إمّا مفردة أو مركّبة...أمّا الثّاني فهو على أربعة أوجه:

– مركب إضافي مثل دارة جلجل، ... – مركّب وصفي: مثل: مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة ...– مركّب إسناديّ: مثل: حضر موت ... – مركّب مزجي: مثل: بعلبك[3]"

"ويمكن تقسيم الأعلام الجغرافيّة إلى مثل ما تقسّم له أسماء النّاس، فمنها ما هو اسم، ومنها ما هو لقب وكنية، وكلّ ذلك على تشبيع المكان بالإنسان والحيوان، إذا نجد من المواقع ما سمي بالمركّب مبدوءا بالأدب والامّن مثل:...أمّ القرى علمًا على مكّة...وأمّ عبيد علما على ارض الخلاء[4]"، "ويبدو أنّ الجغرافيين العرب كانوا يرون أنفسهم ملزمين بتفسير الأسماء، ولعلّهم كانوا يرون في تسمية الأعلام الجغرافيّة بمن سكنها أو ملكها مخرجا سهلا فأكثروا من ذلك وربّما تكلّفوا غيره[5]".

10.مصادر الأعلام الجغرافيّة:

الأصل العربيّ: تعرف معظم البلدان والمواقع بأسماء عربيّة خالصة، سواء أكانت تسميّتها وضعا وابتداءٍ، أم كانت نقلا من أسماء مواقع في الجزيرة العربيّة، "وخلاصة لهذا البحث

---

[1] يحي جبر، الأعلام الجغرافيّة دراسة في تكوّنها وفلسفتها، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلد: 80،دار المنظومة، 2021، ص44/43.

[2] المرجع نفسه، ص 45.

[3] المرجع نفسه، ص45.

[4] المرجع نفسه، ص46.

[5] المرجع نفسه، ص48.

نستطيع أن نقول: إنّ الأعلام الجغرافيّة؛ كغيرها من الأعلام، إنّما كانت انطلاقا من فلسفة وجّهت واضعيها وأغرتهم بها، وهي أنواع شتّى من حيثُ أصولها وأنواعها، وقد تطوّرت عبر العصور وكثرت حتّى صحّ لدى الإنسان أن يرمز لها بالحروف والأرقام، وهي تلقى الضّوء ساطعا على مذاهب النّاس في تسمية ما حولهم من المواقع والبلدان، إضافة إلى ما يكشفه بعضها من أوجه التطوّر الدّلاليّ والاستخدام المجازيّ للمفردات[1]".

بين أسماء الأماكن والأعلام الجغرافيّة: يحتاج المرء في الحياة إلى مكان يعيش فيه؛ ولا يمكن للإنسان أن يكون خارج المكان في أيّ حال من الأحوال، ولكن لأنّه الإنسانَ اجتماعيٌّ بالضّرورة؛ فينتقل هنا وهناك؛ فهو بحاجة إلى أن يذكر الأماكن الّتي يحتاجها جيّدا، سواء أكان ذلك في علاقته مع النّاس فيذكرها لنفسه ويذكرها لهم؛ أو في حاجته الماسّة إليها هو بنفسه ليعود إليها عند الضّرورة؛ فيضطرّه هذا إلى تسمية هذه الأماكن حتّى يفرّق بينها؛ ويسهل عليه تحديدها وتعيينها بسرعة لمن كانت له عودةً إليها، بدلا من وصفها له فالاسم يختصر ويقلّص الوصف، فإذا اشتهرت هذه الأسماء بين النّاس تحوّلت إلى معلم وليس كلّ اسم مكان معلما ما لم يشتهر بين النّاس، أو كلّما زاد شهرة زادت علاميّتُه واعتماده معلماً، فهو بؤرة ومركز ومحور يعتمد عليه عند محاولة تحديد أماكن أخرى مجهولة لدى الآخرين "تدلّ أسماء الأماكن على وجود مكان في مساحة ما وتساعد على تأسيس موقعه بالنّسبة للأماكن الأخرى، كما تنقل إلينا معلومات تتعلّق أساسا إمّا بطبيعة المناخ وتقلّباته أو الإنتاج الفلاحيّ أو الصّناعيّ، وطبيعة الأرض ونوعيّة فلاحتها، كلّ هذا يؤدّي إلى ظهور أسماء أماكن"، ولذلك كان للشّعر دور هامّ وبارز وجليّ في تحويل أسماء الأماكن إلى أعلام جغرافيّة بامتيّاز، فمن ذا الّذي كان سيسمع بالأسماء: توضح والمقراة وسقط اللّوى الشّهيرة لولا الشّعر الّذي انطلق بها في مطالعه من المعلّقات، فهذه الأسماء المغمورة المجهولة؛ إنّه لقد حوّلها الشّعرُ أعلاماً جغرافيّةً عالميّةً خرجت من مكانها الضيّق إلى أسماء تهزّ النفوس تُتاق المُهجةُ وتشتاق لرؤيتها، لقد غدت مسموعةً هناك في الأفق يعرفها العامّ والخاصّ؛ والعربيّ والأعرابيّ والعجميّ، لوما الشّعر لكانت هذه الأسماء نسيا منسيّا؛ اندثرت وزالت من الوجود إلى الأبدِ؛ مثل باقي الأماكن الأخرى الّتي هي الآن من الغابرين؛ حتّى وإن كانت أسماء أماكن قد أُفعمت بالنّشاط والحيويّة، وامتُلئت بالحياة عن آخرها وفاضت؛ إلّا أنّها لم يعد لها ذِكرٌ و لم

---

[1] المرجع نفسه، ص48.

يعد لها وُجود؛ لأنّ هذه الأسماء كانت لقبائل ليس لهم شاعر يذكر هذه الأماكن ويعرّفها للنّاس كما فعل شعراء المعلّقات بالأسماء الأماكن المذكورة في معلّقاتهم فحوّلوها إلى أعلام جغرافيّة بامتيّاز يفتخر بها أهلها؛ من ذلك الوقت العتيق إلى يومنا هذا؛ وشتّان بين من يعيش في أماكن مجهولة ومن يعيش في أماكن عادت أعلاما مشهورة تجلب السيّاح؛ وتعتبر بالنسبة لهم كالمفتاح دليل للإرشاد.

فليس كلُّ مكانٍ هو معلمٌ جغرافيٌّ ما لم يكن له اسم شهير، إذْ إنْ كان له اسم ولكن غير معروف لا يعتبر معلما لأنّه لا يمكن اعتماده في تحديد أماكن أخرى مجهولة فهو مجهول مثلها، لذلك كان الشّعر إشهارا ذائع الصّيت لهذه الأماكن فحوّلها إلى أعلام جغرافيّة.

11. أقسام الأعلام الجغرافيّة وأنواعها:

تمثّل مسميّات الأعلام الجغرافيّة في شبه الجزيرة العربيّة أنواعاً مختلفة على سطح الأرض بمختلف أشكالها من مرتفعات ومنخفضات وسهول وهضاب وجبال وأودية وأنهار وغيرها من الألوان، ولذلك فالأعلام الجغرافيّة أصناف وأقسام مختلفة الأشكال "وهنا لا نكاد نتخيّل شيئا ممّا ينطوي تحت هذا النّوع إلّا كان لشاعر جاهليّ فيه وقفة طالت أو قصرت وكانت له فيه خاطرة عابرة، أو فكرة متأنّية، فقد وصفوا الوديان والغدر والعشب والنّبات، والزّهر والشّجيرات والأشجار، كما وصفوا مروج الرّبيع الممرّعة، ورياضة اليانعة، ووصفوا الأنهار ومجاريها وقيعان الأمطار ومناظرها...واهتمّوا بذلك كلّه اهتماما عظيما، وعرضوها في لوحات موجزة أو ممتدّة، وخيالات متنوّعة، وهذا ما ننتظره من أناس ارتبطت حياتهم بهذا الجانب من الطّبيعة، ولذلك نجده عامرا في شعرهم من ناحية الكمّ ومن ناحية الكيف معاً"[1] وإنّ أقسامها بحسب علم المواقعيّة (الطّوبونيميا) Tobonymie؛ خاصّة وأنّنا في الدّراسات البينيّة إذ يمكننا استغلال بعض المصطلحات من العلوم الأخرى للأعلام الجغرافيّة بحسب تقسيمها لها وتصنيفها ولنستفد من علم الأعلام الجغرافيّة في تقسيمها؛ حيثُ الأعلام الجغرافيّة "في الدّراسة المواقعيّة تصنّف أسماء الأماكن إلى عدّة أصناف منها[2]:

---

[1] سعد اسماعيل شبيلي، الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ، ط02، مكتبة غريب، ص220.

[2] سليمة يحياوي، الدّراسة المواقعيّة في تحديد الهويّة التّاريخيّة الجغرافيّة للمدن الجزائريّة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، المجلة: حوليّات في التاريخ والجغرافيا، العدد: 09، ص245.

- **الهيدرونيم (HYDRONYME)**: أسماء الأماكن الّتي لها علاقة بالماء مثل: عين، بئر، واد، منبع، نهر، حمام....
- **أورو نيم (Oronym)**: أسماء الأماكن الّتي لها علاقة بالتّضاريس مثل: جبل، هضبة، تلّ ...إلخ.
- **الأجيوتوبونيم (Hagiotoponyme)**: ويخصّ أسماء الأماكن الّتي لها علاقة بالأولياء الصّالحين والقدّيسين.
- **الأودونيم (Odonym)**: أسماء الطّرقات والشّوارع والدّروب.
- **المواقعيّة الجزئيّة (la microtoponimie)**: أسماء الأماكن الّتي لها علاقة بالنّبات والحيوان"

كما أنّه يمكن تقسيمها بطريقة مختلفة ومغايرة "وقسمٌ ثاني بشكل آخر كما يأتي[1] :

- "**الماكرو طوبو نيميا** : وهي الّتي ترتكّز أساسا على دراسة أسماء الأماكن الواسعة، وتنقسم إلى ثلاثة أصناف رئيسيّة:

أ – **أسماء التّضاريس (Oronymes)** : بمختلف أنواعها كالجبال مثلا

ب– **الطّوبونيميا المائيّة (Hudronymie)**: الّتي يقصد بها أسماء المجاري المائيّة المختلفة كالوديان

الأودونيميا (Odonymie): الّتي تتمثل في أسماء الطرق والمسالك وغيرها

ج – **الميكرو طوبونيميا**: تتعلّق في أسماء الأماكن محدودة المساحة، على غرار أسماء الحقول" .

12. أهمّيّة الأعلام الجغرافيّة في الشّعر:

يتضمّن الشّعر في بنائه أركانٌ أساسيةٌ لا غنى للشّاعر عنها، بل لقد وضع منذ العصر الجاهليّ هذه الأسس وتبنّاها محورا رئيسا ضرويًّا ومبدأ فنّيّا جماليّا لا نقاش فيه؛ ولا بدَّ منه؛ ومن بين هذه الأركان الأساسيّة الّتي تُمثّل عموده وعناصرَه: استعمال الشّاعر للأعلام الجغرافيّة في قصيدته ليُلفت بها بال المتلقّي ويشبّث نهيته إليه حيثُ "إنّ المكان عندنا شأنه

[1] لعربي بن أعمارة، تجليات التنوّع الثقافي واللغوي في الجزائر، الطّوبونيميا أنموذجا،تاريخ القبول، 2021/05/06، مجلة معالم، المجلد: 14، العدد 02، السداسي الثاني، 2021، ص121.

شأن أيّ عنصر من عناصر البناء الفنّيّ، يتجدّد عند الممارسة الواعية للفنّان"[1]؛ فمنذ العصر الجاهليّ أولى الشّعراء اهتماما عظيما للأعلام الجغرافية بشتّى أنواعها؛ فجعلوا مُنطلق شعرهم إنّما يكون بذكر الأعلام الجغرافيّة من أطلال وديّار مهجورة في مطالع نصوصهم قد دُرست ورُسمت على سطح الأرض فراحوا يتغنّون بالمعالم الجغرافيّة وينشدون عواطفهم وخوالجهم الّتي تعبّر عن تمزّق نفسيّتهم نظير بُعدهم عنها وعن حياتهم القديمة الّتي لقد عاشوها فيها بحلوها ومرّها، وسرورها وأسرارها وحزنها، فكان المكان وما شكّله من مسميّات مختلفة كأعلام جغرافيّة يمثّل العربيّ في شتّى نواحي حياته إذ "يشكّل المكان في الشّعر أحد البؤر الدلاليّة الّتي تستقطب العديد من الدّلالات الممتدّة، الّتي تفصح عن علاقات الاتّصال والانفصال بين المرء وبيئته الّتي يسكنها وتسكنه، ذلك أنّ كلّ شخص منّا يشتمل على خصائص المكان الّذي درج فيه، خاصّة إذا ما طال المكث فيه، فالمكان ليس ذلك المعطى الخارجيّ المحايد الّذي نعبره دون أن نأبه به، وإنّما نجد في الاشتمال معنى اللّباس، فالاشتمال تغطية وستر من ناحية، ومخالطة واندماج من ناحية أخرى"[2] ومن أهميّتها :" ممّا يُلفت النّظر تسميّة تسع سور مكيّة بأسماء أعلام أماكن، ولم يسمّ أيّة سورة مدنيّة باسم مكان، وفي ذلك إشارة إلى تركيز القرآن في السّور المكيّة على العقيدة، وضرورة التفكّر في كتاب الله المنظور – وهو الكون – والسّير في الأرض والتفكّر وأخذ العبرة من مصائر الأمم"[3].

وما زالت الأعلام الجغرافيّة تعبق أهميّتها شذى حيثُ "منذ أن أُطلق القمر الصّناعيّ الأمريكيّ لا نداست الأوّل في 1972 وقد تزايدت عمليّة تدفّق المعلومات عن كوكب الأرض في جميع المجالات وخاصّة تلك الّتي لها علاقة رئيسيّة أو فرعيّة بالعلوم الأرضيّة، وكان لتدفّق المعلومات الأثر الأكبر في تشكيل الصّيغة الأساسيّة لما يسمّى اليوم باسم نظم المعلومات الجغرافيّة[4]".

[1] سعد إسماعيل شبيلي، الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ ، ط02، مكتبة غريب، ص41.

[2] شباح نوارة، إشراف: محمّد الصالح خرفي، التّجربة النقديّة عند حبيب مونسي، نقد الشّعر أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، جامعة محمّد الصديق بن يحي جيجل، 2015/23014، ص101.

[3] يوسف أحمد علي أبو ريدة، إشراف: أ د يحي عبد الرّؤوف جبر، أعلام المكان في القرآن الكريم، دراسة دلاليّة، قدّمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلّبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة بعمادة الدّراسات العليا في جامعة الخليل 2008/2007، ص285.

[4] محمّد الخزامي عزيز، نظم المعلومات الجغرافيّة، أساسيات وتطبيقات للجغرافيين، الناشر: منشأة المعارف،الإسكندريّة، 1998،ص 09.

وتزيد الأعلام الجغرافيّة من عطرها الفوّاح؛ بذوق مميّز وفذّ؛ سهل الهضم؛ سلس على اللّسان في الشّعر حيثُ "تختلف لغة الشّعر عن غيرها ممّا يتّصل بضروب الإعراب الأخرى، هي لغة فنّية ينبغي لها أن تصل إلى معانٍ خاصّة بشيء من الرّمز أوالإيماءة أو الإشارة أو اللّمحة، ومن هنا فهي لغة ذات خصوصيّات لغويّة، والشّعر قديمه وحديثه يتطلّب هذا؛ وإن كان هناك اختلاف بينهما؛ والاختلاف من غير شكّ عائد إلى أنّ الرّمز أو الإيماءة أو الإشارة تختلف لدى القدماء عنها لدى أصحاب الشّعر الجديد في عصرنا[1]"؛ فإذا كانت الأعلام الجغرافية تسرّ النّاظر إليها وهو يستمتع بمشاهدتها؛ فإنّ سامعها في أبيات القصائد لا يقلّ نشوة وزهوا واستمتاعا وهو يلقي عليها بأذنيه سمعه. والشّاعر حين ينظم قصيده، يوظّف الأعلام الجغرافيّة بمعانٍ كثيفة ومختلفة "وكما أنّها: "أسماء الأماكن تُسهِم في: الحفاظ على الشّخصيّة الثقافيّة للمجموعة البشريّة الّتي تقطن مجالاً جغرافياً معيّنًا"[2] وتكمن أهميّة الأعلام الجغرافيّة أكثر ومن حيثُ الجماليّة الفائقة في اكتساب ذوق وفهم جديد عند كلّ قراءة وعند تكرارها حيثُ إنّ "التّخييل إذًا مسألة لا تسلُب المكان وجوده الفعليّ الجغرافيّ / التّاريخيّ، بل تكسبه عند كلّ محاولة جديدا ينضاف إليه عند كلّ قراءة"[3]، الأعلام الجغرافيّة بالمعلّقات تزيد من جمال النصّ فهي بعد إثراء العربيّة والمعجم والحفاظ على ألفاظ عربيّة قحّة رنّانة فهي بذاك أسمت بمكانة اللّغة العربيّة خاصّة وأنّ "اللّغات تتفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان، وهو تأدية المعاني الّتي تقوم بالنّفس تامّة على وجه يكون أقرب إلى القبول وأوعى إلى التّأثير، وفي صورتها وأجراس كلّها بعذوبة النّطق، وسهولة اللّفظ والإلقاء، والخفّة على السّمع"[4].

ومن أهمّيّة الأعلام الجغرافيّة البارزة الّتي تطفو على السّطح إذ يراها البصير والكفيف ويسمعها حتّى الأصمّ فتطرب أذنه "فأسماء الأماكن تمثّل جزءاً من ذاكرة الشّعوب، إذ أنّ التّسميّة ترتبط بذكرى ما في الماضي وتُساعد على إحياءِ تاريخٍ مضى، فهي رسالةٌ تنقلُ فكرةً

[1] إبراهيم السّامرائي، في لغة الشّعر، دار الفكر للنشر، عمان، ص03.

[2] لعربي بن أعمارة، تجليات التنوّع الثقافي واللغوي في الجزائر، الطوبونيميا أنموذجا، تاريخ القبول، 2021/05/06، مجلة معالم، المجلد:14، العدد 02، السداسي الثاني، 2021، ص21.

[3] حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربيّ، قراءة موضوعاتية جماليّة، منشورات اتّحاد كتّاب العرب، دمشق،2001، ص128.

[4] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صححها على نسخة الإمام الشّيخ محمّد عبده الّتي قرأها دروسا في جامع الأزهر، وعلّق حواشيه السيد محمّد رشيد رضا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص09.

سادت في ذلك الزّمان، وبالتّالي الاسم هو رمز يحمل في طيّاته حقائق عن ذلك المكان"[1]، "فاِسمُ المكان هو شاهدٌ على الماضي ومبلّغٌ رسالةً ثقافيّةً، كما أنّه يُعطينا تاريخ ذلك المكان وعلاقته مع من عاشوا فيه وهيّأوه ومنحوه اسما، فللطّوبونيميا علاقةٌ بهَجْر الشّعوب وغزوِ الأقاليمِ والاستعمارِ والاستقلالِ وتنقُّل السكّان وفترات التّعمير وتعاقب الحضارات، فهذه المظاهرُ السّوسيوتاريخيّة لها أثرٌ بالغٌ في تبيان تسميّات الأماكن بلُغاتٍ محلّيّةٍ أو أجنبيّةٍ، وفي كيفيّة تحديد أصلها وانتمائها"[2] ولذلك "إنّ تسميّة الأماكن والأشخاص كانت بمثابة الخطوة الأولى للاستعمار من أجل محو الهويّة الجزائريّة، ومعلوم أنّ أيّ تحريف قد يلحق هذه الأعلام سواء أكان مقصودا أم غير مقصود، فإنّه لا شكّ يؤثّر ليس على كينونة المجموعة البشريّة فحسب؛ بل ومستقبلها برمّته، ممّا سيؤدّي بالمعالم الثّقافيّة للمجموعة المستهدفة أن تندثر مع اندثار مضمون الأعلام الجغرافيّة"[3].

وكان الشّاعر من خلال الأعلام الجغرافيّة "يسعى الشّاعر لتآلف المتنافرات، وهذا يدلّ على مقدرة الشّاعر الإبداعيّة في ذلك"[4]، ذلك لأنّ الشّاعر كان في مساس دائم مع الأعلام الجغرافيّة واحتكاك متواصل بها؛ وتعاملٌ معها سرمديٌّ ليس فيه انقطاع؛ تعاملٌ خياليٌّ ليس له مثيل؛ ولا يقع على بال؛ ولا يمكن الإحاطة به أو وصفه؛ وإنّ هذا "التّعامل مع الطّبيعة كان تعاملا خياليّا ذهنيّا يكسب المكان أبعادا فنيّة"[5] وليس هذا فحسب بل "إنّ المكان الشّعريّ يعيد تشكيل صورة مكان الألفة، ويزيد من سطوعها وتعميقها في نفسيّة الشّاعر"[6]، ولهذا "فالشّاعر عند توظيف المكان يربطه بالحدث والزّمن حتّى يحافظ على صلته بالواقع... ويستمرّ الشّعر أثناء رسم المكان في نقل المشاعر والانفعالات حتّى يضفي عليه الحركة، والنّشاط الإنسانيّ، ليظلّ المكان مفعما بالحيويّة"[7] فالمكان من الأعلام الجغرافيّة تعتبر قلب النّصوص الأدبيّة جميعا وشرايينها الّذي تدبّ وتسري فيه الحياة؛ وهي إحدى خصوصيّاته الفنّيّة الجميلة الّتي

---

[1] فاطمة الزهراء نجراوي، إشراف: أ. سعيدي محمّد، الدراسة الإيتيمولوجيّة لأسماء الأماكن المأهولة – مقاربة لغويّة تطوريّة (منطقة تلمسان أنموذجا) ،أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه علوم، 2018/2017، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص14.

[3] سليمة يحياوي، الدّراسة المواقعيّة في تحديد الهويّة التّاريخيّة الجغرافيّة للمدن الجزائريّة"، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

[4] إعداد الطالب، بدر نايف الرّشيديّ، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الرؤوف زهدي، صورة المكان الفنيّة في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير مقدمة لكليّة الآداب والعلوم، جامعة الشّرق الأوسط، 2012/2011عبقرية الصورة والمكان طاهر عبدع، ص117.

[5] المرجع السابق، ص40.

[6] المرجع نفسه، ص131.

[7] المرجع نفسه، ص41.

تكشف عن قوةّ الشّاعر وإبداعاته خاصّة في حسن اختيار معلمه الجغرافيّ المناسب داخل القصيدة من خلال نسجه واتّساقه وتسلسل نغمه؛ ولذلك كانت انطلاقة القصائد في العصر الجاهليّ بمعالمٍ جغرافيّةٍ، وذلك واضح في المعلّقات من خلال وقوف الشّعر الجاهليّ على المعالم الجغرافيّة الّتي هجرها قسرا ومرغما؛ والّتي تحوّلت إلى أطلال لقد أكلها الدّهر ورسمتها الرّياح على الأرض، فالأعلام الجغرافيّة في المعلّقة الجاهليّة أماكن مختلفة يرحل ويتجوّل فيها المتلقّي كالسّائح لا يملّ ولا يكلّ؛ وهذا هو الدّور الجميل والجذّاب والفعّال الّذي نتج من الأعلام الجغرافيّة في الشّعر، وما نقشته في نُهية المتلقّي وذوقه من أثر بليغ وعميق. وبذلك سبق شعراء العصر الجاهليّ ومنهم خاصّة أصحاب المعلّقات نُقّاد اليوم في إبراز وإظهار قيمة الأماكن والأعلام الجغرافيّة في الشّعر "كأنّ باشلار قد اعتمد واشترط عنصرا مهمّا وجديدا لنجاح العمل الأدبيّ، وهو إخضاعه للمكانيّة، فحين يخلو العمل الأدبي منها فقد يفقد خصوصيّته الّتي ينتمي إليها وأصالته الّتي تعدّ من أساسيّات العمل الأدبيّ ومسوغات نجاحه"[1] "وما دام المكان يشكّل حدثا بارزا ومهمّا في سيّاق المنظومة الإنسانيّة والثّقافيّة بكلّ أطيافها فلابدّ لذلك أن تكون أهمّيّة المكان وضرورته في العمل الأدبيّ"[2].

كثيرا ما يُسمّى المعلم الجغرافيّ باسم مالكه؛ أو ينسبونه إليه مثل: دار عبلة، أو أطلال عبلة، فيشتهر المعلم الجغرافيّ بها "وقد يسمّى اسم المكان باسم خالقه أو مالكه، فيضاف المكان إلى لفظ الخالق، مما يزيده شرفاً، مثل أرض الله، ودار السّلام، وقد يضاف إلى أوّل من بناه وسكنه أو امتلكه، وقد قيل ذلك في مصر وسبأ ويثرب ومدين وبدر وحنين والطور، وقد يسمّى بما يحلّ فيه فيضاف المكان إليه مثل: وادي النّمل...وقد يسمّى المكان باسم نبات مثل الأيكة وليكة، وقد يسمّى ببستان النّبات كاملا، وقد يسمّى المكان بوصف جغرافيّ في المكان، ثمّ يغلب على المكان نفسه، مثل الأحقاف والرسّ ومصر[3]" "وقد يسمّى المكان بحدث بحدث يرتبط به بوجه من الوجوه [4]" ، فالشّاعر "يُصوّر – من خلال المكان العربيّ – العلاقات الاجتماعيّة الّتي تربط بين الشّخصيّات وقيّمهم وتقاليدهم وطبائعهم ومستوى معيشتهم

[1] المرجع نفسه، ص43.

[2] المرجع نفسه، ص41.

[3] يوسف أحمد علي أبو ريدة، إشراف: يحي عبد الرؤوف جبر، أعلام المكان في القرآن الكريم، دراسة دلاليّة، قدّمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلّبات درجة الماجستير، جامعة الخليل ، 2008/2007، ص 270، 271.

[4] المرجع السّابق، ص 272.

وما يعترضهم من مشكلات وقضايا"[1]، وتختلف نفسيّات البشر وبِنياتهم الجسمانيّة بحسب المعالم الجغرافيّة الّتي يقطنونها ذلك لأنّ "للمكان أثره الفاعل في بناء الإنسان الجسميّ والنّفسيّ والفكريّ، بوصفه الحاضنة الأولى الّتي عبر ملامستها نلامس جملة من العلاقات، تبدأ بتفاصيل الحياة اليوميّة الصّغيرة لتنتهي بالانتماء والهويّة"[2]، والكون مزيج وخليط من الأشياء؛ منها: الأعلام الجغرافيّة والبشر، مثله مثل الدّراسات البينيّة الّتي هي أيضا مزيج وخليط من العلوم والمعارف.

يُعطي المكان والأعلام الجغرافيّة نظرةً مختلفةَ الأبعاد ورؤى متنوّعة للقارئ المتلقّي، ولذلك تختلف معانيه ودلالاته بحسب الزّاوية المنظور منها؛ بحيثُ "ويمكن النّظر إلى المكان من خلال إبداع الشّاعر وكيفيّة رؤيته للمكان، وما يمثّله ذلك المكان من خصوصيّة بالنّسبة له، فبعض المبدعين رأى المكان بواقعيّته، وبعضهم رآه من منظور رومانسيّ، وبعضهم رآه من زاوية التّراث والتّاريخ، وبعضهم الآخر عبّر عنه بالفقد والفقدان"[3]، فالأعلام الجغرافيّة كثيفة الدّلالات وعميقة المعنى، وتأثيرها النّفسيّ والشّعوريّ يختلف ويتبدّل عند كلّ زيّارة لها، فشعورك اتّجاهها بالأمس ليس هو شعورك اتّجاهها اليوم، كما ويؤثّر فيك ويغيّر أحاسيسَك الزّمنُ الّذي زرتها فيه؛ صباحا أو ضحىً أو مساءً أو ليلاً؛ وبحسب كذلك مدّة الزّمن الّذي عدت إليها فيه؛ إن كان طويلا أم قصيرا بُعدك عنها، فبالزّمنِ يزدادُ الشّوقُ والحنينُ فيُلهبُك من الدّاخل فيتشقّق صدرك؛ ومن الخارج فيقشعرّ بدنُك؛ ويتقلّص جلدك، وإن كان زمن قصير فستكون عواطفك أقلّ لظىً منها وأقلّ لهيباً.

ولمّا كانت الأعلام الجغرافيّة من أركان الشّعر وأسسه منذ القديم؛ وهي أحد أصوله الفنّيّة الّتي لا غنى للشّاعر عنها؛ فهي ما زالت إلى يومنا هذا أكثر اهتماما وأهمّية لدى الشّعراء؛ بل وزاد الاهتمام بها أكثر وأكثر وبكثير؛ ولذلك "هناك شبه إجماع على أنّ الأصول الفنّية الّتي قام عليها شعرنا العربيّ في العصر الجاهليّ ظلّت هي الأصول الدّائمة لشعرنا العربيّ على

---

[1] بدر نايف الرّشيديّ، أ.د: عبد الرؤوف زهدي، صورة المكان الفنيّة في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير مقدمة لكليّة الآداب والعلوم، جامعة الشّرق الأوسط، 2012/2011عبقرية الصورة والمكان طاهر عبدع، ص77.

[2] منال عبد الفتاح حسين شتية، قداسة المكان في الشّعر الجاهليّ، إشراف إحسان الدّيك، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها، نابلس، فلسطين، 2017م، ص 26.

[3] مرتضى حسين علي حسن، إشراف: محمّد عز الدّين المناصرة، جماليات المكان في الشّعر العراقي الحديث " سعدي يوسف أنموذجا"، قدمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة فيلادلفيا، 2016، ص89

امتداد عصوره وتوالي أزمانه وهي في الوقت ذاته تمثّل الوجدان العميق لأمّتنا العربيّة"[1]، ولذلك "فما ارتكز على هذه الأصول واستمدّ منها كيانه الفنّي كان شعرا ساميا وفنّا راقيا لا يكاد يختلف فيه رأي النّقّاد، قدامى ومحدثين، إذ أنّ هذه العراقة المقدّسة الّتي ارتضاها الفنّ الشّعريّ لنفسه، وبنى عليها في مختلف العصور لا تزال تمثّل المقوّمات الأصيلة الّتي تعطي الشّعر مكانه وجلاله، وتهبه رونقه وبهاءه"[2]، وما الأعلام الجغرافيّة إلّا واحدة من أصول الشّعر؛ بل وهي الأهمّ والرّكيزة الّتي تمثّل العمود الفقريّ للقصائد.

الشّعر أغراض مختلفة؛ وألوان زخرفيّة تلوّنها الأعلام الجغرافيّة بكلّ الألوان، ولذلك لقد قامت أغراض الشّعر من مدح وفخر وهجاء وحماسة ووصف ورثاء وغزل على الأعلام الجغرافيّة؛ فنتج أن أخذت بعض الأعلام الجغرافيّة تسميّتها بحسب غرض القصيدة ولونها الّذي تلوّنت به إذ "وقد رأيت أسماء الأمكنة واختيار هذه الأسماء؛ له صلة كذلك بغرض القصيدة، ففرق بين من يذكر الدّخول وحومل، ومن يذكر أسماء هي في أصلها مسايل ماء"[3].

حين يغادر الشّعراء الأعلام الجغرافيّة الّتي قطنوها؛ فإنّهم حينها يتقاسمون مع باقي أفراد القبيلة الكثير من المشاعر والخصوصيّات وتسكن في باطنهم أحاسيس مشتركة تستقرّ في اللّاشعور، مُشَكّلَةً لاشعوراً بينيّا مشتركا؛ يتقاطعون فيه المشاعر حين يتذكّرون ماضيهم الجميل الّذي جمعهم؛ وهذا الماضي يجمعه الشّاعر ويرفده في القصائد الشّعريّة وخاصّة في العصر الجاهليّ؛ ولذلك يرى علماء النّفس من هذا الجانب دراسة خاصّة من خلال اعتبار ما جاء ونبع من الشّاعر إنّما هو تعبير لما في صدور جميع من خالطهم من القبيلة في معلمٍ جغرافيّ ما حيثُ "إنّ **فرويد** يذهب في التّحليل إلى درجة لا يستطيع أن يعبرها، فلا يجد سوى فكرة الوراثة يلجأ إليها، فالشّاعر يستمد خيالاته من اللاّشعور...كذلك **يونغ** فعلى رأيه أنّنا جميعا نحمل اللّاشعور الجمعيّ، ومع ذلك فهو منبع الإبداع لدى الشّاعر[4]"، وانتقاء الشّاعر للمعالم الجغرافيّة في قصائده ليس عبثا وإنّما بين أصوات الأعلام الجغرافيّة والمعنى توافق ونغم مترنّم رنّان؛ وهما يشكّلان **الأونوماتوبيا** "ومن هذه الزّاوية أيضا يمكن النّظر إلى مشكلةِ تَطابقِ الصّوت والمعنى(الأونوماتوبيا)[5]"، وإنّ "كلّ هذه التنوّعات معبّأة بمقصود الشّاعر

---

1 سعد اسماعيل شبيلي، الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ، ط02، مكتبة غريب، ص05.

2 المرجع نفسه، ص05.

3 محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ط02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص 13.

4 مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفنّي، في الشّعر خاصّة، دار المعارف بمصر، 1951، ص289/290.

5 المرجع نفسه، ص307.

وغرضه ومن الإهدار للشّعر أن نعدّها مقدّمة للمقصود، وكلّ هذا لا يجوز لنا أن نراجعه بمعزل عن العلم المتّسع بطرائق العربيّة في الإبانة عن المعاني لأنّ من هذه الطّرائق ما له دلالات خفيّة فقد تجد في تقديم كلمة أو تعريفها أو تنكيرها ما يعين على كشف هذه الخفايا"[1]، ولفهم معنى النّص وفحواه لا بدّ من التّعرف على المعلم الجغرافيّ الّذي نشأ فيه؛ فلا ينبغي أن نغفل بأنّه لقد "كان للمكان أهميّة بارزة في الوصول للمكوّنات؛ إذ أنّ العمل الأدبيّ حين يفتقر للمكانيّة؛ فهو يفقد خصوصيّته وبالتّالي أصالته، فالمكانيّة طريقة لرؤية النّصّ من الدّاخل والخارج معاً؛ ويمكننا فهم النّصّ من خلال الشّاعر والمجتمع، ولذلك نجد المكان الأداة الأكثر وضوحاً لمعاني النّص والمعاني المراد الأخرى، ولذلك جاء الحديث عن الصّحراء المكان في الشّعر الجاهليّ وهذا يتطلّب معرفة المكان ومناخه والتطوّرات الاجتماعيّة وعلاقاته مع أشيائه"[2] ولهذا "فإنّنا نشير إلى أنّ قراءتنا للمكان تهدف إلى الكشف عن الدّلالات الرّئيسة لمعاني المكان في شعر حامد عبد الصّمد البصريّ عبر تحليل البنية المكانيّة بكلّ مستوياتها (الواقعيّ، الحقيقيّ، المتخيّل) في عموم النّتاج الشّعريّ لتجربة الشّاعر، ورصد الأبعاد الجماليّة والإنسانيّة والنّفسيّة الّتي يحملها نسق الدّلالة الرّئيس والّذي تنتظم فيه الصّور وتتفاعل مع بعضها لتشكيل ظاهرة شعريّة مهيمنة لها مستوياتها التّأثيرية والجماليّة في الخطاب الشّعريّ للشّاعر[3]"، ومن هنا "إنّ للمكان نكهة خاصّة تولّد في الأديب إحساسا متميّزا تجعله ينتشي ويتصهّد وجدانيّا كلّما لامس شعوره جانبا من ذلك المشهد المكانيّ الغائر في أعماق ذاكرته، وهو الأمر الّذي كان يدفع الشّاعر القديم إلى قطع الصّحاري الموحشة، والبراري المقفرة؛ وطيّ المسافات البعيدة على ظهر راحلته متكبّدا وعثاء السّفر...لقد كان الشّاعر الجاهليّ وهو يقف مُحاورا الأشياء؛ والأماكن في مطالع قصائده في لحظات التّذكّر والاستعادة للماضي يسعى إعادة بناء علاقته مع تلك الأماكن لاستحضار بعض تفاصيلها، وذلك قصد إجلاء ما تنطوي عليه من قيّم ودلالات وجوديّة؛ وفلسفيّة؛ تساعده على الانسجام مع ذاته، وخلق التّواصل مع ماضيه وحاضره[4]" ولذلك "تعدّ الدّلالة الرّمزيّة من أهمّ الدّلالات الّتي يمكن أن يُحيل إليها المكان في النّصّ، حيثُ يأتي التّشكيل المكانيّ ضمنيّا ليفتح في النّصّ آفاقا من التّأويلات

---

[1] المرجع نفسه، ص13.

[2] محمّد صدّيق حسن عبد الوهّاب، الصّحراء في الشّعر الجاهليّ، بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتورة في الأدب والنّقد، ص32.

[3] معتز قصي ياسين، دلالات المكان في شعر حامد عبد الصمد البصريّ، مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ، جامعة البصرة، العراق، سبتتمبر 2020، مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيّات والاجتماع، ص523.

[4] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشّعر الجاهليّ، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2008، ص179.

المتعدّدة والتّفسيرات المختلفة، وقد نبّه رولان بروناف إلى القيمة الرّمزيّة والإيديولوجيّة المتّصلة بتجسيد المكان، وإلى ضرورة دراسة هذا الجانب، واعتباره وجه من وجوه المكان"[1] ولذلك نجد أنّ "الشّاعر الجاهليّ سجّل تجربته من خلال تلك الأمكنة الّتي تمّ ذكرها في مقدّمته، بعد أن ألفها وعاشها، وتركت في نفسيّته تجربته تلك ما تركته من آثار حيّة"[2].

وهكذا ألفيت أنّ عنصري الزّمان والمكان في الشّعر الجاهليّ يستحقّان الدّراسة فكريّا وجماليّا[3]"، "أمّا المعاجم الجغرافيّة، فهي أكثر فائدة من المعاجم اللّغويّة، لأنّها تترجم لأماكن كان قسم كبير منها مسرحا لأحداث الأيّام ووقائعها، وعندها يجد المؤلّف نفسه مضطّرا للحديث عن اليوم، ويضمّن حديثه بعض الشّعر الّذي قيل ولكنّه لا يورد القصيدة أو المقطوعة كاملة دائما، وإنّما اكتفى بالبيتين وبالثّلاثة"[4] فشأن الأعلام الجغرافيّة في النّصوص الشّعرية عظيم إذ "إنّ المكان بشكله وملامحه المادّية والمعنويّة يُعطي طابعا للهُويّة الذّاتية والقوميّة والحضاريّة، ويشكّل كيانا مستقلاً للإنسان ...ولهذا كان حرص الإنسان على مكانه حرصا في ذات الوقت على هويّته وكيانه... فالمكان هو الحدث الرّئيس والبؤرة الوحيدة الّتي يتنفّس من خلاله الشّعراء فهُويّة الشّاعر مرتبطة بالمكان"[5]، فالأعلام الجغرافيّة نجوم تتلألأ في كبد المعلّقات "وليس أدلّ على أهمّيّة المكان في العمل الفنيّ من مقولة باشلار الّتي تقيّم العمل الفني وتجعل عنصر المكان هو العمود الفقري الّذي يكفل النّجاح والإجادة لذلك العمل[6]"، وهذا وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّه "يُعدّ المكان عنصرا أساسيّا ومكوّنا رئيساً...ولم يعد إليه بتلك النّظرة التّقليديّة...بل أصبح يتمتّع بقيمة فنّية عالية ارتقت به إلى أن يغدو البؤرة الّتي تصنع الأحداث والحكّ الّذي يسبر أغوار الشّخصية لاستبطان أبعادها النّفسيّة والاجتماعيّة والتّاريخيّة، ...إنّما غدا فضاءً مفتوحا تتخلّق في رحابه دلالات رمزيّة تجسّد

---

[1] سوسن رجب حسن، المكان وتشكلاته في شعر السيّاب، دراسة نقديّة تطبيقيّة، مجلة كلية الآداء بور سعيد، العدد: 07، 2016، ص.113.

[2] بوجمعة بوبعيو، جدلية القيّم في الشعر الجاهليّ ، رؤية نقديّة معاصرة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001،ص04.

[3] باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشّعر الجاهليّ، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2008، ص180.

[4] عفيف عبد الرحمان، الشّعر وأيام العرب في العصر الجاهليّ، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1984، ص180.

[5] بدر نايف الرشيديّ، إشراف: عبد الرّؤوف زهدي، صورة المكان الفنيّة في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير،2012/2011، ص36.

[6] المرجع السّابق، ص42.

علاقة الصّدام أو التّآلف بين المكان؛ ومن يسكن المكان أو يقيم فيه[1]"، كما وتترك الأعلام الجغرافيّة في المعلّقات ردود فعل جميلة وأثر غائر في أعماق المتلقّي فيكون له دور كبير في إعادة بناء النّصّ "ومعنى هذا أنّ القارئ كما يشارك في صنع المعنى –عندهم – فكذلك يشارك في إبداع المتعة الجماليّة[2]".

فبين المؤلّف المُبدِع والمتلقّي لقاءٌ ساخن يتحاورون فيه يتمثّل في النّص وما تضمّنه "وقد يكون منها ضرورة أنّ الرّؤية النّقديّة الّتي تتبنّاها النّظريّة في مفهوم الاستقبال ترتبط بالقارئ أكثر من ارتباطها بصاحب النّتاج، فهم يستبعدون دراسة النّصّ على أساس منهج يهتمّ بحياة الكاتب أو المؤلّف، لأنّ النّصّ في ذاته، أو في ارتباطه بصاحبه لا يمثّل عندهم فنّا ما لم يخضع لعمليّة الإدراك، فالإدراك وليس الخلق...والاستقبال وليس النّتاج هو العنصر المنشئ للفنّ، وهذا يتمّ بواسطة القارئ خلال تفاعله مع النّصّ، ولكي يتحقّق التّفاعل بالصّورة الّتي يرونها كان تركيزهم على أهميّة الدّور الواسع الّذي ينهض به القارئ عبر مجموعة من الإجراءت المنظّمة في عملية القراءة[3]" ولا شكّ أنّ المتلقّي يصادف الكثير من الأعلام الجغرافيّة الّتي تزّين النّصّ وتكمن قيمتها أيضا من خلال ما نشاهده ونسمع في الواقع كفلسطين مثلا إذ "ولا شك أنّ الإطار الجغرافيّ لهذه الشّخصيّة، أي فلسطين بلدا وأرضا هو من أوّل المواضيع الّتي تستحقّ الدّرس، ليس فقط للمزيد للتّعرّف عليها بل أيضا للحفاظ على أسماء مواقعها وتحديدها، لترسيخ عروبة البلد الشّهيد في وجه الإجراءات الإسرائيليّة لطمس المعالم العربيّة وتبديل المواقع وتحوير الأسماء كوسيلة شرسة لتهويد فلسطين...وكان من جملة الّذين وعوا أهمّيّة الحفاظ على التّراث العربيّ لفلسطين وعمل من أجله الجغرافيّون العرب الّذين عقدوا في بيروت حلقة دراسيّة لهم لتوحيد أسماء المواقع الجغرافيّة في الوطن العربيّ صيف 1971، وقد تدارس أفراد الحلقة مساعي إسرائيل لتبديل أسماء المواقع الفلسطينيّة من أصلها العربيّ إلى أسماء عبريّة وأوصوا بإعداد كشف يتضمّن الأسماء العربيّة لجميع المواقع الجغرافيّة في ذكر الأسماء الّتي أبدلتها سلطات الاحتلال بأسماء عبريّة

---

[1] حسين بوحسون، جمالية المكان الفنّي، مقاربة نظريّة، جامعة طاهري محمّد بشار، مجلة دراسات 2016، ص15.

[2] محمود عباس عبد الواحد، قراءة النّصّ وجماتليّة التّلقّي بين المذاهب الغربيّة الحديثة وتراثنا النّقديّ (دراسة مقاترنة)، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط01، 1996، ص25.

[3] المرجع نفسه، ص.19

دخيلة[1]"، وقد أدرك الصّهاينة الجائرون المسيطرون المدمّرون الإرهابيّون قيمة الأعلام الجغرافيّة بمسمّياتها وكيف أنّها تحافظ على الهويّة وأنّها تراث فهرعوا إليها لطمسها ومحوها و"لا شكّ أنّ المساهمة في الحفاظ على الشّخصية العربيّة لفلسطين واجب يقع على عاتق كلّ مسئول يعمل في خدمة القضية الفلسطينيّة، إن في الفكر أو النّشر، وإنّ الإطار الجغرافيّ لهذه الشخصيّة هو من أوّل المواضيع الّتي تستحقّ الاهتمام والدّرس[2]"، وإنّ" التّحدّث عن الهُويّة هو تحدّث عن أمور فكريّة وثقافيّة وتداخل الاختصاصات[3]"، "فأعلام الأماكن تعتبر نسقا شاهدا على ارتباط الإنسان بمحيطه الطّبيعيّ، ومن هنا تظهر أهميّتها الّتي لا تُنكر، فهي تجسيد لمدى الارتباط القائم بين الإنسان ومحيطه الطّبيعيّ بين كلّ منطقة وما يسبقها وما يليها من البلاد، وبهذا تكون هذه الأعلام مفتاحا للتّاريخ الجهويّ والمحلّي ومجالا يجسّد توارث الهُويّات وتفاعلها، فاسم مكان واحد مثلا نجده يعبّر عن النّوع البشريّ الّذي توارد عن هذا المكان[4]"، و"التّخييل الشّعري عند حازم عمليّة إثارة لصوّر ذهنيّة في مخيّلة المتلقّي أو خياله، كما أنّه إثارة لانفعالاته في نفس الوقت، فالصّلة بين المخيّلة والانفعالات صلة وثيقة...وإنّما يتوسّل بلغة تثير الانفعالات وتتّصل بالعواطف والنّزعات الإنسانيّة، وتثير صوّرا في مخيّلة المتلقّي؛ توحي له، أو تدفعه دون أن يعي إلى اتّخاذ وقفة سلوكيّة يتطلّبها منه الشّاعر[5]" وهذا ما يصنعه تماما الشّاعر الجاهليّ حين وقوفه على الأعلام الجغرافيّة في نصوصه كالمعلّقات الّتي وردت إلينا حافلة بها، والأعلام الجغرافيّة تاريخ وتراث وهويّة وهي ليست فلسفة؛ ولا تحتاج إلى تأويل؛ كما أنّها ليست من المواضيع العلميّة البحتة "ممّا أدّى بهم إلى الإلحاح إلى ضرورة نقاء لغة الفلسفة من الأقاويل الشّعريّة، لأنّ مجال الفلسفة ليس الانفعال والهوى بل العقل والرّويّة، وغايتها ليست الإثارة التّخييليّة بل إيقاع اليقين، ...ولذلك حرص حازم على نفي الأقاويل العلميّة واستبعادها من مجال الشّعر[6]"، كما أنّه "تتبّع أهمّيّة

---

[1] قسطنطين خمار، أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعيّة و البشرية والجغرافيّة المعروفة في فلسطين حتى العام 1948، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط02، 1980، ص05.

[2] المرجع نفسه، ص249.

[3] كمال بحو، محمّد البالي، تجاذبات الهويّة، الدّلالات والتّحدّيات، الهويّة المغربيّة أنموذجاً، المؤتمر السّنويّ السّادس لمركز الدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، نوفمبر 2017، ص02.

[4] المرجع نفسه، ص03.

[5] جابر عصفور، الصّورة الفنيّة في التّراث النّقديّ والبلاغي عند العرب،المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط03، 1992، ص292

[6] المرجع السّابق، ص300.

الصّورة من طريقتها الخاصّة في تقديم المعنى، وتأثيرها في المتلقّي...فيعجب المتلقّي ببراعة الشّاعر في بناء صوّره[1]"، "وينصرف الشّاعر عن عالمه الدّاخليّ فلا يقول إلّا ما يراد منه، ولا يتفنّن إلّا لإظهار البراعة[2]"، "وذلك لكون هذه اللّغة الّتي أنتجت هذا النّصّ، قد جعلته مشدوداً إلى الأصول الّتي كوّنتها[3]".

ومن هنا فالأعلام الجغرافيّة بحاجة إلى الدّراسة العميقة والدّقيقة ليكون لها نقد خاصّ بها وحدها لمساهمتها في بناء النّصّ وإضفاء دلالات ومعان كثيرة تقع على ظلاله كغمامة غيث "ومن النّقص الملموس في الأدب العربيّ أن تبقى مجهولة تلك الأماكن الّتي انطلقت فيها قرائح أولئك الشّعراء؛ وأن تظلّ مغمورة هذه الأجواء الّتي سبحت فيها أخيلتهم، وسلس لهم فيها قياد القول، وتفجّرت بين هضابها ووديانها ينابيع البيان من أفواههم، هذه الأماكن[4]"، فلا أحد من العرب في العصر الجاهليّ أدرى بمسمّيات المعالم الجغرافيّة من الشّاعر "والشّاعر بصفة خاصّة من أكثر العرب تنقّلا في البلاد، فقد دأب أكثر الشّعراء أن يَفِد على الملوك وسادات القبائل، مادحا ومستجديا لما للشّاعر من مكانة في نفوسهم[5]" فالأعلام الجغرافيّة تأزُّ الشّعراء لقول الشّعر أزّاً، "ولقد ذهب **رسكن** إلى الاعتقاد في أنّ العودة إلى الطّبيعة كفيلة بحلّ الكثير من المشكلات الاجتماعيّة والأخلاقيّة وذلك لما تلعبه المناظر الطّبيعيّة من دور في تهذيب النّفس وصقلها وتنقيتها من نقائصها"[6].

كما تكمن قيمة الأعلام الجغرافيّة في كونها سببا رئيسا في تطوّر الفنّ عامّة والشّعر أيضا وما نهر النّيل في مصر إلّا مثالا حيثُ **يقول هانري شافز**:"...أنّ مصر باعتبارها هبة النّيل، وبواديها وزروعها وهضابها وطبيعتها ساعدت على تطوّر أكبر نهضة فنّية في هذا الوقت"[7] ومن أهمّيتها كذلك نجد أنّ "تحقيق وطن شعب من الشّعوب القديمة وجنسيّته لا بدّ من كشف الصّلة بين أسماء الأشخاص الّذين يتعرّض لهم التّاريخ وأماكن إقامتهم أو معرفة الصّلة بين

---

[1] المرجع نفسه، ص 328.

[2] المرجع نفسه، ص330.

[3] سعد حسن كمّوني، الطّلل في النصّ العربيّ، دراسة في الظّاهرة الطلليّة مظهرا للرّؤية العربيّة، دار المنتخب العربيّ، بيروت، ص47.

[4] محمّد بن عبد الله بن بلهيد، صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار، ط03، 1418هـ، 02.

[5] المرجع نفسه، ص06.

[6] راوية عبد المنعم عبّاس، الإنسان والفن والجمال، ثلاثيّة الحياة الخلاّقة، دار الوفاء لدنيا الطّباعة، ط01، 2014، ص456

[7] راوية عبد المنعم عبّاس، الإنسان والفن والجمال، ثلاثيّة الحياة الخلاّقة، دار الوفاء لدنيا الطّباعة، ط01، 2014، ص456

لغتي أمّتين، أو العلاقات بين أسماء الأشخاص وأسماء الآلهة، فالصّلة بين أسماء الأشخاص وأوطانهم تُمكّننا من التّعرف على أسماء بلادهم، كما أنّ التّوافق بين لغتي أمّتين يشير إلى أصلهما المشترك، وتعتبر الطّريقة الأولى من طرق البحث مفيدة وخاصّة فيما يتعلّق بالجغرافيّة القديمة للمدن السّاميّة، لأنّ الأجناس السّاميّة كانت تسمّي عادة أسماء المدن، والقرى بأسماء سكّانها، وقد أفاد من أسلوب هذا البحث حنا John Forster..."[1].

"التّوافق بين الأسماء واللّغات: لكلّ أمّة طابعها الخاصّ في التّسمية، فللهنود والمسلمين والمسيحيين طريقة خاصّة في تسمية مجتمعاتهم، ومن ثمّ إذا وجد تشابه بين أمّتين في تسمية السّكّان أو الأماكن يمكن أن نفترض أنّهما ينتميان أو ينسلان من أرومة بشريّة واحدة، وقيّاسا على ذلك، فإنّ المماثلة الدّينيّة والمضارعة اللّغويّة بين أمّتين قد تشير إلى أصل مشترك"[2]

"وعيب هذا التّعريف أنّه لم يلتفت إلى أكبر ميزة للشّعر، وأحد أركانه، وهو إثارة الشّعور...وكان خيرا له أن يقول المبنيّ على الخيال المثير للعاطفة"[3]، "فالشّرطان اللّذان يجب توافرهما في الشّعر هما الوزن والقافية والاتّصال بالشّعور، فإذا وجدت شيئا يجمعهما كان شعرا"[4]، وإنّ هذا الّذي يقوم بهذا الدّور العظيم الفعّال والّذي يجمع شعور الشّاعر بشعور بشعور المتلقّي ويمزجهما إنّما هو الأعلام الجغرافيّة أكثر من أيّ عنصر آخر من عناصر الشّعر، فروح الأعلام الجغرافيّة هي الهالة الّتي خلّفها النّاس فيها بمشاعر ممزوجة.

13. جماليّة الأعلام الجغرافيّة في الشّعر وبلاغتها:

كثيرا ما اهتمّ الدّارسون من النّقّاد والمفكّرين والباحيثن في شتّى المجالات بجمال الأدب من ناحية النّظم والبلاغة المألوفة والمعهودة بأقسامها الثّلاثة؛ البيان والبديع والمعاني، وكذا قوّة اللّغة والمعنى، وهذا يعود إلى "إنّنا نقرأ الشّعر ونحن محاصرون بطرائق في قراءته سواء كانت هذه الطّرائق مستخلصة منه؛ وهي طرائق علمائنا أو مستخلصة من غيره؛ وهي طرائق قوم آخرين، ونحن في الحالتين لم نقرأ الشّعر بعيوننا نحن، والقراءة الأفضل هي القراءة الّتي ترى

---

[1] السيّد مظفر الدّين نادقي، الألف كتاب، التّاريخ الجغرافيّ للقرآن الكريم، ترجمة وتعريب: عبد الشّافي غنيم عبد القادر، مراجعة: حسن محمّد جوهر، لجنة البيان العربيّ، 1965، ص ل 10

[2] المرجع نفسه، ص ل 10

[3] حمد أمين ، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي، جمهورية مصر ، 2012، ص61.

[4] حمد أمين ، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي، جمهورية مصر ، 2012، ص62.

فيها عين كلّ قارئ باحثة في الشّعر عن موطن جودته، سواء أكانت هذه المواطن نبّهت إليها القراءات السّابقة أو أغفلتها"[1]، وأمّا ما تميّز به النّصّ الشّعريّ من جمال في جغرافيّته وما احتوته من أعلام متنوّعة فلم يحظ بالاعتناء اللاّزم حتّى لا نقول لم يدرس من هذا الجانب أصلا خاصّة "أنّه ليس هناك دراسة شاملة في موضوع الشّعريّة العربيّة، من حيثُ المرجعيّات المفهوميّة والمعرفيّة، والإبدالات النصيّة"[2] و"إنّ البحث في شعريّة النّصوص الإبداعيّة سيبقى دائما مجالا خصبا لتصوّرات ونظريّات مختلفة"[3]، و"لا شكّ أنّ المفهوم الشّعريّ غير ثابت، وهو متغيّر"[4] "ثمّ إنّ هذا الشّعر الجاهلي واسع الثّراء، واسع الخصوبة، بالغ في مبانيه ومعانيه النّهائية الّتي لا يتجاوزها لسان النّاس بهذه العربيّة الشّريفة، هذا الشّعر بلغ حدّ التّناهي كما يقول الباقلاّني وهو مظنّة أن يكون كنز أسرار بلاغة اللّسان البشري، ويعيد أن كتب البلاغة والنّقد المحدودة والمعدودة بين أيدينا قد استقصت ما في هذا الشّعر غير المحدود، وغير المعدود"[5] ولقد "جعل النّاقد مفتاح هذا المشروع في مؤلّف ثلاثيّ الأجزاء بعنوان (مفاهيم موسّعة، لنظرية شعريّة ، اللّغة الموسيقى، الحركة) سعى فيه لاستغوار المبادئ الإبداعيّة العميقة الّتي يشترك فيها الشّعر مع غيره من الفنون والعلوم"[6]، ولهذا يجب قراءة النّصوص الشّعريّة من جديد ومن وجوه مغايرة ومختلفة تماما ولتكن بدايتها من الأعلام الجغرافيّة.

فما يتضمّنه الشّعر من أفكار مختلفة وعميقة لا ريب أنّها تحتاج إلى فلسفة وتأويل وتحليل عميق تعطي النّص جمالا وذوقا وفنّية، فلا ريب أنّ الأذواق متنوّعة عند القرّاء المتلقّين منذ العصر الجاهليّ؛ إذ كان النّقد تأثّرياً انطباعيًّا يعتمد على الذّوق بالدّرجة الأولى، ففي النّصوص الشّعريّة محدّدات بارزة كأنّها أعلام تُلفت وتشدّ انتباه القارئ وتجعله أكثر اهتماما وتفاعلا مع النّص؛ وتُعيد ذهنَه إلى تلك الحياة الجميلة في العصر الجاهليّ ببيئته وطبيعته القاسية، "ينبني الذّوق على ما أتاحته البيئة الحقيقيّة المعيشة أكثر ممّا ينبني على المطالعات

---

[1] محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ظ02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص ب

[2] د. مشري بن خليفة، الشعريّة العربيّة ، مرجعياتها وإبدالاتها النصّيّة، ، ط01، 2011، ص12

[3] حسن ناظم، مفاهيم الشعريّ، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربيّ، ط01، بيروت، 1994، ص10

[4] د. مشري بن خليفة، الشعريّة العربيّة ، مرجعياتها وإبدالاتها النصّيّة،ط01، 2011، ص11

[5] محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ظ02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص ج

[6] بن يوسف خضرة، إشراف: خيرة مكاوي، النظرية الشّعريّة الموسعة لمحمّد مفتاح، نظريّة نقديّة متعدّدة التخصّصات، أعمال الملتقى الدوّلي الافتراضي التّاسع لتحليل الخطاب " الدّراسات البينيّة في اللّغة والأدب والنّقد" ماهيتها وطبيعتها ومصادرها، 15، 16 2022، إشراف وتنسيق الدكتورة هنية عريف، ص127

والقراءات، ومهما قيل عن نقّاد المغرب وتأثّرهم أو تبعيّتهم للمشرق العربيّ ونقّاده في المعايير والمصطلحات، ومهما قيل عن ذوق المغاربة النّقاد المثقّفين ثقافةً مشرقيّة بأنّه مشرقيّ إلّا أنّ لهؤلاء خصوصيّة الذّوق الّذي كوّنته البيئة المغربيّة في الإحساس بالجمال اللّهم إذا كانت البيئتان متشابهتان"[1] ولقد "يشكّل المكان في الشّعر أحد البؤر الدّلاليّة الّتي تستقطب العديد من الدّلالات الممتدّة، الّتي تفصح عن علاقات الاتّصال والانفصال بين المرء وبيئته الّتي يسكنها وتسكنه، ذلك أنّ كلّ شخص منّا يشتمل على خصائص المكان الّذي درج فيه، خاصّة إذا ما طال المكث فيه، فالمكان ليس ذلك المعطى الخارجيّ المحايد الّذي نَعبُره دون أن نأبه به، وإنّما نجد في الاشتمال معنى اللّباس، فالاشتمال تغطية وستر من ناحية، ومخالطة واندماج من ناحية أخرى"[2]، فالشّعر في جماله خليط كبير ومزج كلّي مع البيئة والطّبيعة وكلّ الأعلام الجغرافيّة والشّاعر والمتلقّي، فهم جميعا يشكّلون روحا واحدة وجسدا واحدا لتأويلات عديدة عميقة، ذلك لأنّ هذه الطّبيعة الجغرافية هي مصدر الشّعر العربي، بل هي الّتي صنعت العربيّ قبل شعره النّابع منها فكان كل كلامه تعبيرا منها وعليها "وممّا لا شكّ فيه أنّ البيئة الجاهليّة طبعت الإنسان الجاهليّ بطابعها ولوّنت أخلاقه ومزاجه وعاداته وتقاليده بلون تضاريسها ومناخها، فلذلك تميّزت أخلاق الجاهليين بأصالة الصّحراء والشّهامة والشّجاعة والكرم والنّجدة وإباء الضّيم، كما أنّها طبعت شعرهم سمات خاصّة لا نجد لها مثيل عند الأمم الأخرى"، امتزج العربيّ بالأعلام الجغرافيّة الّتي سكنها امتزاجا كبيرا جللا، فهي جزء لا يتجزّأ منه؛ وهو أيضا جزء منها، فهي الّتي صنعته كما صنعها؛ وغرسها بداخله كما غرسته هي بداخلها أيضا؛ ومازال العربيّ هكذا مع الأعلام الجغرافيّة يحاورها ويبادلها المنفعة حتّى عبّر عمّا يشعر به اتّجاهها شعرا، فسكب الأعلام الجغرافيّة ونثر جمالها بين أبيات قصائده الشّعريّة، ولذلك كان تناسقا وارتباطا وثيقا بين الأعلام الجغرافيّة والشّعر، فنتج عن هذا التّمازج جمالا وزينة في الشّعر؛ كما أصبح الجغرافيّ لا غنى له عن الشّعر لما ما في الشّعر من جغرافيّة هائلة قدّمها الشّاعر في طبق من ذهب للجغرافيّ "وطبقا لذلك فالأدب الجاهلي وليد الصّحراء، بيئة العرب الطّبيعيّة والاجتماعيّة"[3]، لكن لا يستطيع الشّاعر تحويل الأعلام

---

[1]عبد العزيز شويط، أثر البيئة في المنجز النقدي المغربيّ القديم، دراسة في طوبونيميّة المواقع والأعلام لصياغة الذّوق النّقديّ ودربته، جامعة جيجيل، مجلّة المقال، العدد 04، ص183.

[2]شباح نوارة، إشراف: محمّد الصالح خرفي، التجربة النقديّة عند حبيب مونسي، نقد الشّعر أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، جامعة محمّد الصديق بن يحي جيجل، 2015/2014، ص101.

[3] المرجع السّابق، ص 206.

الجغرافيّة إلى لآلئ تبرق في الشّعر إلّا إذا كان له نحوها ذوق جمالي وأحاسيس تغمر وجدانه بحرا من الحبّ والإعجاب والتّعلّق، "لكن أولى مراحل ذلك البحث هي الإحساس بالجمال الطّبيعيّ؛ بمعنى الإحساس بجمال الطّبيعة، أو جمال الكون؛ ويتقابل الجمال الطّبيعيّ مع الجمال الفنّي...وتسود مسألة الإحساس بالجمال أفكار شائعة مختلفة ومتعددة؛ منها ما يبوء الجمال الطّبيعيّ المرتبة الأولى فيعلّي من شأنه ويقدّسه[1]" ومن هنا "الأدب كلام جميل يؤثّر في النّفس ويرغّبها في الفضيلة والجمال، وينفّرها من الرّذيلة والقبح[2]"

إنّ اهتمام الشّعراء بالمكان وجغرافيّة بيئتهم لم يكن للتّذكر والحنين والشّوق فقط وخاصّة حين نتحدّث عن أعلام الأطلال بل كان ذا أبعادٍ؛ أبعدَ غورٍ وأعمقَ معنى شكّل فلسفة تحتاج إلى تمعّن؛ فإلزاميّة تطرّق الشّاعر الجاهليّ إلى الأطلال؛ وجعله خاصيّة من خصائصه الفنيّة- ليس عبثا ولا فضلة، وإنّما هذا يتجاوز ذهن المتلقّي إلى نفسيّة الشّاعر والعرب جميعا؛ وكذا شعورهم وإحساسهم الوجدانيّ العميق بانتمائهم إلى هذه الأعلام الجغرافيّة الّتي تشكّل وتمثّل هويّتهم الّتي بها يعتزّون؛ ذلك لأنّها تميّزهم عن غيرهم من البشر لأنّ الهُويّة هي ما انفرد به المرء عن البشر الآخرين، و تعتبر الأعلام الجغرافيّة هويّة الأقوام والفاصل لهم، ولا يوجد ما يقوم بهذا الدّور مثل الأعلام الجغرافيّة في المعلّقات "**يرى بارث** أنّ الأهمّ في عمليّة اكتساب الهويّة هو إرادة وضع حدّ بين هم ونحن"[3]، وهذا جليّ جدّا ويظهر واضحا من خلال إضافة العرب إلى شبه الجزيرة العربيّة، لأنّ هذا المعلم الجغرافيّ الرّحب المتمثّل في شبه الجزيرة العربيّة يشكّل هويّتهم بجدارة وامتياز؛ ولذلك "تحوّل الحديث عن الأطلال في الشّعر الجاهليّ إلى التزام صارم حتّى صار أحد الخصائص الفنّيّة للقصيدة الجاهليّة"[4]؛ وبهذا "لا شكّ أنّ تحليل الخطاب اللّغويّ والشّعريّ على الخصوص أدعى على الانفتاح والتّفاعل كون مادّته البحثيّة، اللّغة كينونة إنسانيّة متجاذبة الأبعاد، يؤثّر كلّ بُعد على الآخر بصورة اطّراديّة، تفاعلا بين الذّات والموضوع، الأمر الّذي حدا بالناقد محمّد مفتاح في مجال الشّعريّة

---

[1] منصور قيسومة؛ مدخل إلى جماليّة الشّعر العربيّ الحديث؛ الدار التونوسية للكتاب، ط01؛ 2013، ص05.

[2] غازي طليمات، عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، الأدب الجاهليّ، قضاياه، أغراضه، فنونه، ط01، مكتبة الإيمان، دار الإرشاد، بحمص، دمشق، 1992، ص18.

[3] ناصر بن سعيد بن سيف السيف، الهوية والثقافة، مقال من الأنترنيت، شبكة الألوكة، ص09، يمكن تحميل المقال أيضا من مكتبة نور ، www.noor-book.com.

[4] المرجع نفسه، ص211.

إلى توسيع إطار المعالجة اللغويّة المحضة للشّعر؛ للمتح من العلوم المعرفيّة والعلوم المحضة كعلم التّشريح وعلم الأعصاب، وفلسفة الذّهن وغيرها"[1].

لا يمكن أن نحصر ذكر الأطلال فقط للتذكّر، بل هي مواضع جامعة شاملة لكلّ ما يتعلّق بالعربيّ في حياته بشتّى أحوالها الاجتماعيّة والإنسانيّة والنّفسيّة والثّقافيّة وعاداتهم وتقاليدهم وأخبارهم جميعا "وإذا نظرنا إلى ما كتبه القدماء عن المكان والحنين نجدهم مثل المحدثين، فقَدْ تَباينَ اهتمامُهم بالموضوع بين البُعد الجُغرافيّ عند أصحاب معاجم البلدان وكتب التّراجم والتّاريخ، وبعض النقّاد وشرّاح الشّعر وغيرهم من ناحية، وبين الوعي بالبعد الشّعريّ في دلالة المكان وشعريّة الحنين ورمزيّة الأسماء من ناحية أخرى"[2] "وقد تعود جماليّة اللّغة الشّعريّة إلى المفارقة الحاصلة بين استعمال اللّفظة في سيّاقها المعجميّ العام والمألوف، واستعمالها في سيّاقها الشّعريّ وإلى تقاطع المؤتلف، وتباين المختلف بين السّيّاقين، أو إلى مدى خروج المعجم الشّعريّ من السيّاق الموضوعيّ المباشر إلى السيّاق الذّاتيّ والوجدانيّ غير المباشر، وهو خروج يتلازم والتّغيّر الإيقاعيّ الحاصل في بُنى التّركيب والتّعبير وتشاكل الصّوّر والرّموز الشعريّة؛ ومعاضدة الإيقاع الدّاخليّ والتّناغم الذّاتيّ أو الإيقاع الباطنيّ للإقاع العروضيّ[3]".

وكان للمعالم الجغرافيّة المتنوّعة التّضاريس في صحراء شبه الجزيرة العربيّة دور في بناء الإنسان العربيّ وذلك "لأنّ النّفس الجاهليّة كانت تُعاني تأثيرات البيئة الصّحراويّة القاسية، حيثُ كان للسّمات الجغرافيّة الّتي ميّزت الصّحراء الجاهليّة الأثر المباشر في زعزعة استقرار الحياة الاجتماعيّة الجاهليّة"[4]، إنّ المزج الّذي كان بين الطبيعة ونفس الإنسان مزج كليّ حتّى غدا شيء واحد" لا يمكن أن نفصل دراسة النفسيّة العربيّة عن الطّبيعة الّتي نشأت فيها وتأثّرت بها، فإنّ الجغرافيّة رغم اهتمامها قبل كلّ شيئ بالتّضاريس الأرضيّة، لم تتمكن قطّ من إهمال السكّان الّذين يعيشون في هذه البيئة الطّبيعيّة أو تلك، وبما يُبديه هؤلاء السكّان من

---

[1] بن يوسف خضرة، خيرة مكاوي، النظرية الشّعريّة الموسعة لمحمّد مفتاح، نظريّة نقديّة متعدّدة التخصّصات ، أعمال الملتقى الدوّلي الافتراضي التّاسع لتحليل الخطاب " الدّراسات البينيّة في اللّغة والأدب والنّقد" ماهيتها وطبيعتها ومصادرها، ص15، 16 2022، إشراف وتنسيق الدكتورة هنية عريف، ص129.

[2] المصدر نفسه، ص58.

[3] منصور قيسومة؛ مدخل إلى جماليّة الشّعر العربيّ الحديث؛ الدار التونوسية للكتاب، ط01؛ 2013، ص29.

[4] عادل بوديار، إشراف: عبد القادر دامخي، دلالة المطر في الشّعر الجاهليّ، دراسة نسقيّة سياقيّة، مذكرة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي القديم،2015/2014، ص 101.

طبائعٍ نفسيّةٍ، وقد ذهب ابن خلدون هذا المذهب موردا نواميس ومبادئ عن الجغرافيا الإنسانيّة...ومردّ ذلك إلى العقود بالأرض...فالجاهليّ بعامّة علوق بالأرض، مرتهن لها"[1]، وبهذا تفقد الكلمات والتّعابير معانيها القاموسيّة المصطلحة في تحوّلاتها عبر الحركة النّاتجة عن تركيب البيت في إطار اللّغة الشّعريّة الإيحائيّة، هذه اللّغة الشّعريّة تتميّز بأنّها توقظ الحواس والمخيّلة والملكات النفسيّة؛ وتلقي القارئ في عالم من المثل والصّوّر والأشكال والأجواء النفسيّة الخاصّة بها، عالم ترهف فيه الحالة النّفسيّة[2]"، والأصل أنّ النّصّ الأدبي لا يتوقّف الإبداع فيه عند منتجه بل يمتدّ إلى متلقّيه حين استقباله له، لأنّه "لقد بدأ العمل الأدبيّ يتأسّس حين أصبحت الثلاثيّة (المبدع، النّصّ، القارئ) إشكاليّة حقيقيّة بالنسبة للمناهج النقديّة العربيّة والغربيّة[3]".

ولذلك فإنّ إعادة النّظر في الأعلام الجغرافيّة المذكورة في الشّعر القديم؛ ودراستها من جديد بالتّحليل العميق؛ أمرٌ حتميٌّ لا مفرّ منه لمحاولة كشفه وسبر أغواره الّتي لا تزال خفيّةً فذكرُ الأعلام الجغرافيّة بمختلف الفضاءات والأمكنة في الشِّعر الجاهليّ أوسعُ بكثيرٍ من أن يكون مجرّد طلل يُحدِّثنا عن الحنين الّذي أرهق الشّاعر خاصّة وأنّ "الشّعرَ الجاهليَّ لا يزال مذخورا بالكنوز المسهوِّ عنها، وهو الجذر الّذي تفرّعت عنه فروع الشّعر في الأعصار المختلفة، وفي البقاع المختلفة، والأزمنة المختلفة إلى يومنا هذا...والسّبب في غياب الكنوز المذخورة في هذا الشّعر وأنّ أبوابها لا تزال مغلقة هو أنّنا منذ زمن بعيد ندرس هذا الشّعر في ضوء ما تعلّمناه من طرائق دراسة الشّعر سواء الّذي تعلّمناه من كلام علمائنا، أو من كلام غير علمائنا"[4]" وهذا كلّه يؤكّد أنّ الشّعر الجاهليّ الّذي هو ذروة البيان الإنسانيّ لا يزال عامرا بكثير من أصول نقده وبلاغته، ولا تجد قراءة أشدّ متعةً من القراءة الّتي تحاول أن تكتشف خبيئةً من خبايا الزّوايا، وقد استشعر سلفُنا من علمائنا هذه المُتعة وكانت كلمة الخبيء والدّفين والإشارة إلى الخبيء والإيماء إليه كان ذلك ومثله يكثر في كلامهم"[5]، فمازال هناك حظّ أعظم وكبير لدراسة المعلّقات بطريقة انفراديّة فريدة للنّاقد والباحث في الشّعر القديم عموما مثل النّقد الطوبونيميّ "قبل الخوض في النّقد بالطّوبونيميا وعلاقة هذه الأخيرة بالنّقد الأدبيّ، ومدى

[1] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص 71.

[2] فتيحة طيبي، تلقي النّص الشّعري العربي القديم، مجلة الباحث، العدد: 11، ديسمبر 2012، ص142.

[3] المرجع نفسه، ص145.

[4] محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ط02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص أ، 05

[5] المرجع السّابق، ص ج، 07

صلته بالنقد البيئيّ وحتّى الإيكولوجيّ (الأخضر) ، ومن حيثُ الإصطلاح يدخل النّقد الطّوبونيميّ حقل اللّسانيّات بدون منازع، لارتباطه بتسميّة الأعلام وتسمية الأماكن (المواقع) ، وعليه فإنّ الطّوبونيميا (Toponymy)؛ أو التّسميّات الجغرافيّة فرع أساسيّ من اللّسانيّات Linguistique أو هو تفرّع من فرع منها، هو علم أصول الكلمات وأشكالها Onomastic والمصطلح طوبونيميا معرّب عن اليونانيّة ومنحوت من كلمتين"[1].

الشّعر بحر ليس له ساحل؛ وهو مليئ بالعجائب والغرائب؛ والصّيد فيه متنوّع يحتاج إلى دارس متعدّد المعارف والثّقافات، ويتميّز بالرّزانة والحكمة لحلّ شفراته الملوّنة الجذّابة "فالّذي يتجرّد ليكتشف شيئا من بلاغة الشّعر ونقده؛ فإذا لم يعد بشيء من ذلك سيعود بمزيد من القُرب من هذا الشّعر ومزيد من الوعي به"[2]، فالمعلّقات كالمحيطات غامضة جدّا ومكوّناتها ومكنوناتها ضاربة في الأغوار"وأنّ هذا الغامض باب من أبواب نقد الشّعر لم يُكتشف، ولم يُدرس، ولم يُحلّل"[3]، وهي لا تتضمّن فقط هويّةً وتراثاً ونغماتٍ؛ فهي إضافة إلى كلّ هذا تنمّق المشاعر وتزركشها "وجماليّة المكان في الشّعر القديم لا زالت موضوعا يحتاج إلى وقفة تأمّل وإمعانِ نظرٍ ودراسات متأنّية تُراعي كلّ ما من شأنه أن يساعد على تشخيص جماليّة المكان في العمل الإبداعيّ عموما والشّعريّ منه على وجه الخصوص، ويرصد الوظيفة الدّلاليّة والمعانيّ المجازيّة والقضايا الرّمزيّة والمقوّمات الشّاعريّة لهذه الجماليّة الّتي يكتسبها المكان في الشّعر"[4]، "وهذا يعني أنّ التّفاعل بين المتلقّي والنّصّ على هذا النّحو كان يعتمد- ضرورة- لدى النّاقد العربيّ واليونانيّ على معرفة العوامل المؤثّرة في حياة الأديب أو الكاتب، وذلك للوقوف على أسرار النّصّ وإشاراته[5]".

إنّ جمال النّص والقصيدة الشّعريّة ومنها المعلّقات لا يتوقّف عند مجرّد البلاغة من صوّر بيانيّة ومحسّنات بديعيّة وانتقاء للألفاظ وعمق في المعنى وتنويع في الأسلوب وقوّة الأسلوب حيثُ الأعلام الجغرافيّة تعتبر زينة الشّعر وجمال لذيذ وذوق فذّ إذ "إنّ مصطلح الجماليّة في

---

[1] عبد العزيز شويط، أثر البيئة في المنجز النّقديّ المغربيّ القديم، دراسة في طوبونيميّة المواقع والأعلام لصياغة الذّوق النّقديّ ودُربته، جامعة جيجل، مجلة المقال، العدد الرابع 4، ص178

[2] محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ط02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص د، 08

[3] المرجع نفسه، ص و، 10

[4] عز الدّين إسماعيل، التّفسير النّفسيّ للأدب، مكتبة غريب،ط4، ص58

[5] محمود عباس عبد الواحد، قراءة النّصّ وجماتليّة التّلقّي بين المذاهب الغربيّة الحديثة وتراثنا النّقديّ (دراسة مقاترنة)، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط01، 1996، ص05

الأدب يمكن أن يطلق إذا عن الأثر النّاتج عن قراءة النّصّ، وما يولّده ذلك من راحة في النّفس، أو إن شئنا ما يبعثه هذا الأثر من لذّة أو متعة، كما قد ينتج عمّا تستهجنه النّفس من قبح فيولّد اشمئزازا وألما، ثمّ إنّ التّعبير اللّغويّ يختلف من شخص لآخر بحسب درجة التأثّر"[1] "فالشّعر إذا أثر لا معنى، وهذا ما يجب أن نتطلّبه في كلّ تجربة لغويّة جماليّة"[2]، "ونحن لن نحاول أن نجد للكلمات معان جديدة، لأنّ هذا ضدّ العمل القرائيّ النّقديّ، إذ ليس من هدف القراءة إيجاد معجم بديل تقيّد به الكلمات مرّة أخرى، ولكن هدف القراءة هو إيجاد الأثر، والأثر مصطلح فنّي يحلّ محلّ الهدف والغرض في النّصّ الأدبيّ، ويحقّق الوظيفة الجماليّة في التّذوّق والتّفاعل مع النّصّ من جهة القارئ، والوصول إلى الأثر فعاليّة إبداعيّة للقارئ النّاقد"[3] ومن منّا يشكّ في الأعلام الجغرافيّة وما تتركه من أثر عميق في روح القارئ فتنفخ فيه جمالا يستنشقه؛ وينتعش به؛ خاصّة حين يدرك أنّه لقد ميّزه وانفرد به وشكّل هويّته، فما يتركه الشّعر في صدر المتلقّي من أثر وتأثير هو الرّونق والبديع والإبداع والجماليّة روحها ووِدادها، وقد تفطّن النقّاد إلى هذا الباب المسكّر وخاصّة ذلك الأثر الّذي يكون كالسكّر على الوداد والفؤاد "إنّما يقيّمه بمقدار ما يثيره في نفسه من تأثيره، وقد ساد هذا النّقد بزيّادة الاهتمام بالجانب الشّعوريّ في الفنّ وارتبط خاصّة وظهور النّزعة الرومانسيّة في الأدب والفنّ"[4]، فالشّعر أثر وبصمة عميقة في الشّعور واللّاشعور معاً ومدى تجاوب المتلقّي معه ومحاورته إيّاه وذوقه له؛ ولذلك فإنّ "**تودوروف**" **(Todorof)** (193– 2017)، فيُسطّر موضوع هذا العلم بقوله: ليس العمل الأدبيّ في حدّ ذاته هو موضوع الشّعريّة، فما نستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النّوعيّ الّذي هو الخطاب الأدبي"[5]، "وقد نستطيع أن نقول إنّ التّأثير هو كل

---

[1] عمارة حسين، إشراف: جلولي العيد: جمالية المكان في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي، ماجستير بورقلة 2011/2010، ص90

[2] عبد الله محمّد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلة التشريحيّة، قراءة نقديّة لنموذج معاصر، ط4، 1998، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ص291

[3] المرجع نفسه، ص288

[4] أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص 14

[5] بن يوسف خضرة، خيرة مكاوي، النظرية الشّعريّة الموسعة لمحمّد مفتاح، نظريّة نقديّة متعدّدة التخصّصات أعمال الملتقى الدوّلي الافتراضي التّاسع لتحليل الخطاب " الدّراسات البينيّة في اللّغة والأدب والنّقد" ماهيتها وطبيعتها ومصادرها، 15، 16 2022، إشراف وتنسيق الدكتورة هنية عريف، ص131

شيء في الشّعر وهو سرّ خلوده وسبب بقائه على وجه الدّهر، وما الشّاعر العظيم إلّا الّذي يستشعر الأشياء الّتي تلمس قلوب النّاس وتؤثّر فيها تأثيرا عميقا"[1].

ففي الشّعر أسرار تحتاج إلى الاجتياح والإقدام والتّأمّل والعمق فيها ذلك لأنّ "وجه الوقوف على شرف الكلام أن تتأمل، يعني ليس أن تقرأ في كتب النّقد ولا في كتب البلاغة، وإنّما أن تتدبّر الكلام وأن تتفرّس فيه وأن تتجوّل بعقلك وقلبك ولسانك في خفايا مبانيه، حتّى تدرك سرّه، وهذه هي القراءة الحرّة الّتي أقول أنّ الشّعر لا يزال مغلقا على كثير من أسرار بلاغته لأنّه لم يقرأ هذه القراءة وإنّما يقرأ في ضوء ما استخرجه علماؤنا من طرائق العربيّة في الإبانة عن المعاني وهذا جيّد جدّا"[2]، والدّهاء والابتكار مفتاح الشّعر وبذلك ولهذا "يعدّ مشروع محمّد مفتاح النّقديّ من أنضج المشاريع النقديّة،...يتّسم هذا المشروع بالعمق والانفتاح المعرفيّ،...تتّسم منهجيّة النّاقد بالتّمحيص الدّقيق للتّصوّرات والمفاهيم وفق نهج علميّ دقيق، يستغور من خلاله كلّ العلائق التّاريخيّة والإبستيميّة، ويستدرج ما يجاورها من علوم ومعارف"[3] وقد ساعد النّاقد اتّساع معرفته المختلفة للعلوم إذ نجده "اعتمد على مجموعة من المجالات كعلم التّشريح والفيزياء، وعلم الأعصاب وفلسفة الذّهن، وعلم النّفس في حديثه عن الدّماغ البشريّ والنّسق العصبيّ"[4] فيعتبر الشّعر "مركّبة ذات كفاءة مفاهيميّة وتحليليّة وتأويليّة تستوعب العلائق الوثيقة بين النّصّ ومبدعه والمحيط من جهة، وعلاقته بالعلوم والفنون من جهة أخرى"[5] وناقد كبير آخر ألا وهو"الباقلاّني يقول من وراء هذا يجب أن يكون لكلّ واحد منا تجربته الخاصّة في تذوّق الشّعر وتحليله وتبيّنه وكشف أسراره وهي من أمتع التّجارب وأفضلها...وكما كان لكلّ شاعر مذهب في إنشاء الشّعر فالواجب أن يكون لكلّ قارئ مذهب ومنزع في تذوّق الشّعر وتحليله ونقده، وبهذا تنمو المعرفة وتزدهر وتزهو أيضا وليس يمضغ رجيع ثقافات البشر لأنّ هذا المضغ أشبه بعمل العبيد والخدمّ"[6]، فالشّعر يحتاج إلى فتحه من

[1] شوقي ضيف، في التّراث والشّعر واللّغة، دار المعارف، كورنيش النّيل، القاهرة، ص96

[2] محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ط02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص و

[3] بن يوسف خضرة، إشراف: خيرة مكاوي، النظرية الشّعريّة الموسعة لمحمّد مفتاح، نظريّة نقديّة متعدّدة التخصّصات، أعمال الملتقى الدوّلي الافتراضي التّاسع لتحليل الخطاب " الدّراسات البينيّة في اللّغة والأدب والنّقد" ماهيتها وطبيعتها ومصادرها، 15، 16 2022، إشراف وتنسيق الدكتورة هنية عريف، ص132

[4] المرجع نفسه، ص 134

[5] المرجع نفسه، ص 140

[6] محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ط02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص ز

جديد وذلك لعمق جماليّاته وتنوّعها إذ "إنّ جماليات النّصّ ليست فيما يقول، ولكن فيما يحدث في النّفس، وهذا هو الأثر، ولا بد أن نُقنع أنفسنا هنا بما يحمله هذا المصطلح من بعد مفتوح هو الأثر، أي فعّالية لاحقة تأتي بعد حدوث النّصّ لا قبله"[1] بل الأعلام الجغرافيّة من مختلف الأمكنة هي الأخرى تثير مشاعر المتلقّي وتزيّن الشّعر في نفسه، وكلّما أسهب الشّاعر من ذكرها زادت الأفكار غزارة وتنوّعا؛ ذلك لأنّ المكان والأعلام الجغرافيّة في الحقيقة هي محتوى للعديد من المواضيع المختلفة؛ وهي بوتقة تجتمع فيها الكثير من أساليب العيش والحياة ولا يتكشّف ذلك إلّا بالتّحليل والاستقراء والتّمحيص "فإنّه ما يزال هناك ميدان لنشاط الشّاعر تبرز فيه مقدرته الفنّيّة، وهو ميدان التّشكيل المكانيّ"[2]، فللمكان والأعلام الجغرافيّة في الشّعر جمال جذّاب ثمّ إنّ "الشّاعر العربيّ منذ القديم كائن مكانيّ مرتبط ببيئته، ابن الصّحراء وصديق الرّيح والشّمس والمسافات، لذلك كان المكان حاضرا بشدّة في قصائده الّتي كان يتخيّر النّقّاد أجملها وأقواها ويعلّقونها على جدار الكعبة، وعيا منهم بقيمة المكان"[3]، فقيمة الأعلام الجغرافيّة في الشّعر لم تكف جمالا؛ فزاد من جمالها المكان الّذي علّقت فيه ألا وهو جدار الكعبة المشرّفة وهذا فَرَضَ التّعمق في النّقد من جديد "ومع تعمّق التّجربة الثّقافيّة واتّساعها تزوّد النّقد بمصطلحات فلسفيّة فبلغ أوجّه مع (حازم القرطاجنّي) في مصطلحات عديدة نذكر منها (القوّة المؤثّرة والقوّة الصّانعة) وعدد من المصطلحات الأخلاقيّة من استعارة وتشبيه وإدماج وإرداف وإطناب، وما أضافته في تزويد افتعال مصطلحات السّرقات الشّعريّة من نسخ وسلخ"[4].

إنّ الأعلام الجغرافية زينةٌ وسرورٌ وأسرارٌ، وهي مصدر الجمال وأصله قبل قول الشّعر، فالأعلام الجغرافيّة ينبوع إلهام الجمال منذ الزّمن القديم عند الإغريق "كانت الطّبيعة في بلاد اليونان السّاحرة من بين الأسباب الّتي دفعت اليونانيين إلى تذوّق الجمال والولع به والكتابة عنه كما نمت فيهم موهبة الشّعر وكتابة الأساطير والدراما وكان أفلاطون هو أوّل من التفت

[1] عبد الله محمّد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلة التشريحيّة، قراءة نقديّة لنموذج معاصرط4، 1998، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ص 289

[2] إيمان جريدان ،هويّة المكان وتحوّلاته، قراءة في رواية طوق حمام دار الكافي 2020،ص21

[3] محمّد الصالح خرفي، جماليّة المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة قسنطينة الجزائر،2006/2005، ص346

[4] حفيظة بشارف، المصطلح النّقديّ والمثاقفة، مجلة الحكمة للدّراسات الأدبيّة واللّغويّة، المجلد 08، العدد: 04، (2020)، سعيدة، الجزائر، ص82

إلى مصدر الجمال في هذه الطّبيعة"[1] ولذلك فإنّه "ومن وجهة نظرنا أنّ المكان من أهمّ العناصر الّتي تشكّل جمال النّص إذ أنّ المكان الجغرافيّ يتبنّي لغةً تُشكّل النّص عبر الجماليّة المكانيّة حيثُ تبرز تعامل الشّاعر مع العنصر المكانيّ وجوانب رؤيته له، والأهداف المتوخّاة من ذلك، وإذا ما عدنا إلى النّصّ الشّعريّ العربيّ قديما وحديثا لاحظنا بجلاء أنّ الشّاعر العربيّ ارتبط كثيرا بالمكان الّذي ولد فيه وعاش به...وبلاغة المكان لا تتأسّس إلاّ لغة، لأنّ اللّغة هي الّتي تعطي المكان كينونته...وهي الّتي يؤرّخ الشّاعر من خلالها لتاريخ المكان، ويرسّخه في الذّاكرة لينتشل القصيدة المكانيّة من النّسيان بين آلاف القصائد الّتي حملت همّ المكان، وحمّلته قيّما جماليّة، ويحوّلها بتحويل المكان نفسه، إلى إبداع إستثنائيّ يؤشر عليه من بعد"[2] ولهذا "يعدّ المكان مدخلا مهمّا لدراسة النّصوص الأدبية -لا سيّما الشّعر- وبيان أبعادها الفنيّة والجماليّة، ويمثّل المكان عنصرا بارزا في العمل الأدبيّ ويرتبط ارتباطا وثيقا بعملية الخلق والإبداع، فمن خلاله تتشكل الأحداث وتتحرك الشّخوص وتتفاعل في دورة لا تنتهي من التّأثير والتأثّر بين الكون والإنسان والطّبيعة[3]".

فيكفيك في الشّعر العربيّ أسماء الأماكن والأعلام الجغرافيّة لتعرف كيان المجتمع وعاداته وتقاليده؛ فالمكان جامع شامل لكلّ حياة العربيّ؛ وليس هذا عند الأمم الأخرى أو في لغاتها؛ ففي ألفاظ العربيّة ما يدفعك لتحسّس هذه الحياة وسبر غورها؛ لأنّ اللّغة العربيّة ليست فقط لغة شاعريّة؛ بل هي لغة شاعرة كما يؤكّد لنا الأستاذ عبّاس محمود العقّاد فهو يقول: "واللّغة العربيّة في طليعة اللّغات المعبّرة بين لغات العالم الشّرقيّة أو الغربيّة، فلا يعرف علماء اللّغات لغة قوم تتراءى لنا صفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربيّ من مادّة ألفاظه ومفرداته في أسلوب الواقع وأسلوب المجاز...وإذا لاحظنا هنا المعنى في دلالة أسماء الأمكنة فهي دلالة مطّردة على هذا المثال في أكثر البقاع الّتي تُسكن أو يُرحل منها وإليها، فالمنزل حيثُ ينزل الإنسان، والبيت حيثُ يبيت اللّيل، وكذلك الموقع والمربع والمأوى...وقد يدلّ المكان بمادّته على عيشه" المشاع" في البادية"[4].

---

[1] راوية عبد المنعم عبّاس، الإنسان والفن والجمال، ثلاثيّة الحياة الخلاّقة، دار الوفاء لدنيا الطّباعة، ط01، 2014، ص38

[2] محمّد الصالح خرفي، جماليّة المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة قسنطينة الجزائر،2006/2005، ص06

[3] معتز قصي ياسين، دلالات المكان في شعر حامد عبد الصمد البصريّ، مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ، جامعة البصرة، العراق، سبتمبر 2020، مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيّات والاجتماع، ص523

[4] عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربيّة، ص37

ولهذا كلّه كذلك "يعدّ المكان هويّة من هويّات الخطاب الأدبيّ، وأيّ محاولة لتهميشه هي تهميش لهويّة الخطاب ذاته"[1].

الأعلام الجغرافيّة في الشّعر كالمصابيح والقناديل تضيء الشّوارع ليلا؛ وكان الشّاعر الجاهليّ حاذقا ماهرا "فقد تتبّع الشّاعر كلّ شيء في المكان الّذي يصفه، ولذلك فالمكان يطبع الفكر والثّقافة والألفاظ والمعاني بجاذبيّة سحريّة إيحائيّة توحي به وإليه، فالأدب في البيئة الحضريّة بالطّبع يختلف عن الأدب البدويّ فلكلّ واحد سمات وأصالة وفكر وعمق وإحساس"[2] ؛ فأعلام المكان تأخذ اسمها من معناها وما أوحت إليه "وذلك أنّ جبل السّراة وهو أعظم جبال العرب؛ وأذكرها؛ أقبل من قعرة اليمن حتّى بلغ أطراف بوادي الشّام فسمّته العرب حجازا؛ لأنّه حجز بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر".

"هكذا نظر إلى الشّعر نقديّا، عبر معيار التّأثير المطّرب، وبُنيت الشّعريّة على جماليّة الإسماع والإطراب، الّتي حوّلها الاستخدام السيّاسيّ، والإيديولوجيّ العام إلى نوع من جماليّة الإيصال الإعلاميّ، بحيثُ يكون الشّعر فنّا قوليّاً يؤثّر، بطريقته الخاصّة، في نفوس النّاس، – مدحا أو هجاء – ترغيبا أو ترهيبا[3]"، "وما يمليه اجتهاد المتلقّي وهو يحاول اكتشاف شفرات النّصّ بنوع من القدرة الخارقة؛ ونحن لا يمكننا ان نكتشف علامة ما إلّا من خلال معرفة قدرة فاعليّتها وأثرها في النّصّ، كذلك سنعمل على الكشف عن مكامن العلامات وآثارها من خلال طرح الأفعال وآثارها ومعرفة الأسماء وما تؤدّيه من دور في ذلك الكشف لعلّنا نصل إلى جماليّة الأثر على صفحة العمل الأدبيّ[4]"، "لغة الخطاب الأدبيّ تختلف عن اللّغة المعياريّة النّمطيّة لأنّها تتجاوز حدودها وتتحرّر من قيودها، لأنّ هدفها إثارة الإنفعال لا تقرير وقائع...لا تحيل لغة الخطاب الأدبيّ إلى دلالة واحدة بل تنفتح على غابة من التّأويلات والدّلالات وفي كلّ الأزمان، فالخطاب الأدبيّ خطاب إيحائيّ كثيف[5]"، "وحينما نحلّل أيّ نصّ أدبيّ نهدف من ذلك إلى الوصول إلى شعريّة النّصّ؛ والشّعريّة على اختلاف وجهات النّظر فيها محاولة إدراك الطّبيعة الفنيّة للخصائص التّكوينيّة لكلّ جنس أدبيّ واستنباط القوانين الّتي

[1] إيمان جريدان، هويّة المكان وتحوّلاته، قراءة في رواية طوق الحمام، دار الكافي 2020، ط02، ص31

[2] محمّد صديق حسن عبد الوهّاب، الصّحراء في الشّعر الجاهليّ، بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتورة في الأدب والنّقد، ص47.

[3] أودونيس ، الشّعريّة العربيّة، دار الآداب، بيروت، ط01، 1985، ط02، 1989،ص23

[4] د. سمير الخليل، تقويل النّصّ؛ تفكيك لشفرات النّصوص الشّعريّة والسّرديّة والنّقديّة، دار غيداء للنّشر، ط01، 2016، ص14.

[5] المرجع نفسه، ص 17.

تحكم الخطاب اللّغويّ الّذي يكتسب بفضلها صفة الأدبيّة بأبعادها الجماليّة[1]"، "وبهذا فالنّصّ الأدبي هو الّذي يتميّز عن غيره من النّصّوص الأخرى بالعناية بالطّاقة اللّغويّة الّتي ترسم الوظيفة التّعبيريّة الأدبيّة النّابعة من العلاقات الدّقيقة الّتي يشيّعها المبدع في نصّه[2]"، "إذ لا مراء فيما يمتلكه الخطاب الشّعريّ بوصفه خطابا أدبيّا من القدرة الهائلة على تنشيط مخيّلة المتلقّيّ واستثارة قنوات الإدراك لديه، مستدرجا إيّاه إلى الالتذاذ والانتشاء الحاصلين في أثناء قراءة نصّ شعريّ ما أو سماعه[3]"، "إنّ قضيّة اللّغة عند الشّاعر هي قضيّة حياة أو موت في مساره وتاريخه الأدبيّ[4]"، "إنّ جماليّة المكان لا تنبع من مقدرة المكان الفنيّة على تمثّل الأبعاد الهندسيّة للمكان الّذي يصوّره حتّى، وإن بلغ هذا التّمثّل درجة الإتقان ولكنها تنبع من مقدرته على جعل المكان يتمثل فيما يجوس في النّفس من خلجات، وفي الحلم من نبضات، وفي اللّاشعور من ذكريات[5]" "ومعاني الشّعر الجاهليّ مستمدّة من البيئة العربيّة في العصر الجاهليّ، وهي تصوّرها تمام التّصوير لأنّها تعبير دقيق عن الحياة الجاهليّة: سلاما وحربا، وجدّا ولهوا، وفرحا وحزنا، وألما وأملا، كما تكثر في الشّعر الجاهليّ أوصاف جبال الجزيرة وصحرواتها وقفارها ووديانها ومياهها وأوصاف أعشابها وحيواناتها وخيامها ومنازلها إلى غير ذلك ممّا يتّصل بالبيئة الجاهليّة ويصوّرها تمام التّصوير"[6].

فانتقاء الأعلام الجغرافيّة واستعمالها في الشّعر لم يكن عبثا أو بدون دلالة عميقة ومتنوّعة لدلالات أخرى غيرها "يقيناً بأنّه يكمن وراء اختيار الشّاعر للأسماء ما هو أعمق من ظاهر معناها، إن لم يكن في وعي الشّاعر فهو بلا ريبٍ في وعي النّص، وإلّا كيف يتّفق لابن حلّزة مثلا لولا تلك المقصديّة الفنّية أن يقول عن بين أسماء وسؤاله عن اللّقاء:

فالمحيّاة فالصّفاح فأعنا قُ فتاقٍ، فعاذب فالوفاءُ.

[1] المرجع نفسه، ، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص19.

[3] المرجع نفسه، ص 20.

[4] المرجع نفسه، ص 21.

[5] د. حسين بوحسون، جمالية المكان الفنّي، مقاربة نظريّة، جامعة طاهري محمّد بشار، مجلة دراسات 2016، ص15.

[6] محمّد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهليّ، دار الجيل، بيروت، ط01، 1992، ص252.

أوليست هذه الأسماء تومئ على نحوٍ لافتٍ إلى: (التحيّة فالمصافحة، فالعناق، فعاذب، فالوفاءُ) تلك الخلال الّتي كان يسأل الشّاعر عنها أسماء)"[1].

ولهذا فإنّ "أسماء الأعلام الدّالة على المكان؛ واسم العلم الدّال على المكان مثل أسماء المدن وغيرها من أسماء الأمكنة نتوصّل إليها وفق استعمالها في اللّغة..." وجاءت الأعلام الجغرافيّة في الشّعر كثيرة "تعدّد الأمكنة في الشّعر العربيّ القديم وتنوّعها قد يجلوان عن وظائف مختلفة يظلّ التّوثيق أهمّها...والتّوثيق في النّصّ الأدبيّ عامّة والشّعر خاصّة ليست غاية أو هدفا شأن المواد العلميّة إنّما هي عمليّة فنّيّة بامتيّاز تروم ملامسة ذهن المتقبّل وتأسيس عمليّة فريدة قوامها الإنشاء"[2].

وفي معلّقة امرئ القيس:[3]

قفَا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقطِ اللِّوى بينَ الدّخولِ فحوملِ.

فتوضحُ فالمقراةُ لم يعفُ رسمُها لما نسجَتها من جنوبٍ وشمألِ.

فيمكننا تحديد موقع المكان وحياة النّاس فيها بمختلف أشكال الحياة حلوها ومرّها؛ في ليونتها وعسرها؛ عاداتهم وتقاليدهم من هذه الأسماء فسقط مثلا من السّقوط واللّوى من الالتواء؛ والدّخول وحومل معناها معروف لدى الجميع؛ وكذا توضح الّتي هي من الوضوح وأخيرا المقراة، "ويبدو أنّ موضوع الطّبيعة كان دائما من الموضوعات المثيرة للدّارسين، بعدما أمكن للرّؤية النّقديّة الحديثة أن تكشف مدى فاعليّة المظاهر الطّبيعيّة الموصوفة في الكشف عن الرّؤى الحياتيّة، والفكريّة، والنّفسيّة حيثُ تحوّلت الظّاهرة فعل القراءة إلى رمز شعريّ يحمل الدّلالات الجماليّة والشّعريّة الإيحائيّة الّتي تسير بعيدا لتسبر غور التّجربة الإنسانيّة بتفاصيلها المختلفة في نفس الشّاعر ثمّ المتلقّي"[4].

---

[1] عبد الله بن أحمد الفَيفي، مفاتيح القصيدة الجاهليّة، قديّة جديدة، عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا، عالم الكتب الحديث، 2014، إربد، الأردن، ط01، ص.38

[2] أ. عمّارة الجداري، المكان في الشّعر العربيّ القدبم بين التوثيق والتلقّي، من خلال نماذج من المفضّليّات، والمعلّقات، جامعة سوسة تونس، الخطاب، المجلد 14، العدد 01، تاريخ النّشر: 2019/02/01، ص498، 499.

[3] زهير مصطفى اليازجي، و أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص14.

[4] عادل بوديار،إشراف: عبد القادر دامخي، دلالة المطر في الشّعر الجاهليّ، دراسة نسقيّة سياقيّة، مذكرة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي القديم، 2015/2014، ص01.

أصبحت الأعلام الجغرافية بمسميّات الأماكن جميعا الشّغل الشّاغل اليوم وهي منطلق الدّراسات كواحدة من أهمّ المبادئ واللّبنات والأسس الرّئيسة في الأدب العالميّ كلّه بمختلف أجناسه ولجميع الأجناس الأدبيّة دون مغالاة "إنّ الاهتمام بالمكان أصبح له أهميّته، فارتبط بعالميّة الأدب وهو أحد أسباب الوصول للعمل الأدبيّ تأثيره وتأثّره وهو طريقة لرؤية النّص الأدبي من الدّاخل والخارج معاً، فهو أكثر استيعابا لمعاني النّص وفنيّته ولذا جاء الحديث عن الصّحراء في الشّعر الجاهلي يمجّد المكان"[1] "وكان لهذه الأماكن الأثر الأكبر في كافّة شئون حياتهم"[2] ولهذا "فإنّ الشّعر العربيّ على العموم لم ينل ما يستحقّه من العناية والاهتمام ببحث كلّ جزئيّة فيه، وكلّ ما هنالك أنّ مؤرّخي الأدب قد قاموا برسم خطوط عامّة لتاريخ الأدب العربيّ ولم يعن أحدٌ من المؤرّخين بدراسة الشّعر دراسة موضوعيّة خالصة عميقة، فيستقصيه في صبر وأناة[3]".

ويشترك المتلّقي للشّعر في العصر الجاهليّ مع الشّاعر في الكثير من النّقاط والأفكار الّتي تبعث فيهما وتترك الأفراح والأقراح والسّرور والأحزان والأسرار؛ ولعلّ أهمّ المعالم الّتي يلتقون فيها هو الأعلام الجغرافيّة ولذلك راح الشّاعر مسرعا لاهفا في استعمالها في قصائده؛ بل وجعلها في مطالع القصيدة وأكثر الشّاعر الجاهليّ الأوّل القديم من استعمال الأعلام الجغرافيّة إلى حدّ الإطناب والإسهاب دون ضجر أو ملل؛ بل يزيده ذلك فعاليّة ونشاطا وحيّويّة وغبطة وسرورا؛ ولذّةٌ منقطعةُ النّظير؛ وذوقا مميّزا كعسل السّدر الحرّ الّذي أنتجته النّحلة من أزهار عبقة من سفوح الجبال مختلفة شتّى، فلا الشّاعر يرفض العسل ولا المتلقّي كذلك "والإنسان بطبعه يميل إلى أن يصف ما يُرضيه ويعجبه بأنّه جميل"[4]، فالأمر الوحيد تقريبا الّذي يجمع الشّاعر والمتلقّي وخاصّة في العصر الجاهليّ هو المعالم الجغرافيّة الّتي قطنوها فجمعتهم وتركت لهم ذكريات منبوشة في الذّاكرة مستقرّة فيها سرمد الدّهر خلّدتها المعلّقات" فالمكان بأشيائه وأبعاده يعكس التراجيديا العربيّة الجاهليّة"[5] وقد بدت الأعلام الجُغرافيّة في أرواحهم وانعكست عليها و"أمّا انعكاس المكان في شخصيّة الجاهليّ فيتجلّى من خلال التكرار – تكرار

---

[1] إبراهيم موسى الزقرطيّ، أسس الأسماء الجغرافيّة، المركز الجغرافيّ الملكي الأردنيّ، عمان 1997، ص01.

[2] منال عبد الفتاح حسين شتية، قداسة المكان في الشّعر الجاهليّ، إشراف أ. د إحسان الدّيك، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، نابلس، فلسطين، 2017م، ص34.

[3] علي الجنديّ، شعر الحرب في العصر الجاهليّ ، مكتبة الجامعة العربيّة بيروت، ط03، 1966، ص07.

4 أميرة حلمي مطر، فلسفة الجمال، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص05

5 ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص75

المشاهد والأشياء نفسها – فالشّعر الجاهليّ شعرُ التّعبير الفوطوغرافيّ النّقليّ عن الصّحراء، شعر اجترار الصّوّر"[1] وقد كانت هذه الأعلام الجغرافيّ أنساقا إشاريّة توحي بما ربط وجمع الشّاعر وجمهوره المتلقّين "فالنّصّ الأدبيّ يتضمّن في بنيته أنساقاً إشاريّة تغري المتلقيّ بالتّفاعل معها لفكّ مغاليق النصّ"[2]، وكلّما كان المتلقّي أدرى واعلم بتلك الأعلام الجغرافيّة كان للنّص أقرب وللفهم والتّحليل أفضل وأحسن ولقد "يرى وراء البحث في شعريّة الجغرافيا ما هو أجدى من الجغرافيا الواقعيّة عينها"[3].

واستعمال الأعلام الجغرافيّة بقوّة تعبيريّة وإيحائية ولذّة فريدة لا يتأتّى من فراغ "ولا شكّ أنّ الشّاعر الجاهليّ قد تميّز بقدرة خاصّة على الابتكار الّذي أهّله؛ لأنّه يؤثّر في سامعه الّذي يتلقّى منه الشّعر، لا سيّما أنّ هذا الشّاعر كان لزاما عليه أن يُنشئ شعرا مطابقا لما في نفس سامعه، حيثُ أنّ المسألة الجوهريّة تكمن في نجاح شعر الشّاعر، هذا الشّاعر الّذي يظلّ مرتبطا بمدى فهم السّامع وتأثيره بما يقوله الشّاعر، ثمّ فإنّ هناك قاسِما مشتركا بين الشّاعر ومتلقّي شعره، يمثّله الذّوق العام المشترك الّذي يجعله أحدهما قادرا على التّصوير والآخر قادرا على فهم هذا التّصوير وتذوّقه"[4] والأعلام الجغرافيّة في الشّعر العربي تمثّل "المكان المتخيّل وهو جغرافيا الذّاكرة والمخيّلة، وهو يختلف عن المكان الطّبيعيّ، لأنّ فيه الانتقاء والخيال، فالمكان الفنّي ينفصل عن المكان الحقيقيّ، لأنّ الفنّيّة تعتمد آليات ذهنيّة ربّما تكون غير موجودة على أرض الواقع، ...فالتّعامل مع المكان الحقيقيّ تعامل خياليّ ذهنيّ يكسب المكان أبعادا فنّيّة[5]" وإبداعيّة وهذا الّذي صنعه الشّاعر الجاهليّ وخاصّة أصحاب المعلّقات.

وإنّ ألفاظ المعالم الجغرافيّة في المعلّقات بمختلف أشكالها تشرح الصّدر وتفتح الوداد وتطرب الأذن وذلك نظرا لجماليّتها العظيمة وخاصّة أنّ لغتنا هي لغة شاعرة ولغة شعريّة أيضا وهي وعاء لمعانٍ رنّانة جذّابة تخدم الشّعريّة بالدّرجة الأولى "وتهتمّ الشّعريّة بالمعنى

---

3 المرجع نفسه، ص 179

2 يوسف عليمات، جماليات التّحليل الثّقافيّ، الشّعر الجاهليّ انموذجا، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط01، 2004،ص45

3 عبد الله بن أحمد الفَيفي، مفاتيح القصيدة الجاهليّة، قديّة جديدة، عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا، عالم الكتب الحديث، 2014، إربد، الأردن، ط01، ص 38

5 بوجمعة بوبعيو، جدلية القيّم في الشّعر الجاهليّ ، رؤية نقديّة معاصرة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001، ص03.

[5] معتز قصي ياسين، دلالات المكان في شعر حامد عبد الصمد البصريّ، مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ، جامعة البصرة، العراق، سبتمبر 2020، مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيّات والاجتماع، ص530.

الواسع للكلمة، بالوظيفة الشّعريّة؛ لا في الشّعر فحسب[1]" ، وبهذا نجد أنّ الأعلام الجغرافيّة فلقد تزيد من وزن النصّ وثقله، ذلك لأنّ ألفاظ الأعلام الجغرافيّة ليست مجرّد لغة؛ بل تتجاوزها إلى ما لا يراه المتلقّي العادي إلى المتلقّي الّذي هو عالمٌ وعارفٌ وملمٌّ بخبايا اللّغة الشّعريّة الإيحائية المضمرة للمعاني بحجابٍ يشقّه النّاقد ذو النّظر الثّاقب الحادّ والمعلوم أنّ اللّغة الشعريّة معانيها عميقة بحسب تداولها في قلب القصائد "فالعمل الإبداعيّ يختفي وراء جدران اللّغة، الّتي لا يمكن أن تفرض هيمنتها ووجودها إلّا بطرق جماليّة...ومن هنا تسعى الشعريّة واللّسانيات إلى البحث عن حركيّة اللّغة في النّصّ[2]" ولذلك " إنّ العلاقة بين الشّعريّة والسيميائيّة علاقة يجذبها الطّابع التّداوليّ، بحيثُ يسعى هذا الاتّجاه إلى صبّ كلّ اهتماماته على المقاصد الفكريّة والعاطفيّة؛ وما تشكّله هذه العلاقة من مقصديّة بين مختلف أجناس الخطاب وتكوينه، وهو ما يطلق عليه فكرة المعيار في البلاغة القديمة[3]"، فاستعمال الشّاعر للأعلام الجغرافيّة في الشّعر والوقوف عندها بالرّعاية والاهتمام ليس عبثا إذ "إنّ تهاطل دلالات المكان، من حقول علميّة أخرى، شكّل إحدى الصّعوبات في تحديد المصطلح الأقرب، لتحديده في المجال النّقديّ، وخاصّة في تحليل النّص الشّعريّ؛ ما يكشف عن اختلالات المصطلح قد أضرّت بتجميع مفاهيمه ووضعها تحت سقف مصطلح واحد

---

[1] بن بغداد أحمد، صبار نور الدّين، شعرية المكان في الشّعر الجاهليّ، المعلقات العشر أنموذجا، بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتوراه في النّقد المعاصر، 2016/2015، ص20.

[2] المرجع نفسه، ص22.

[3] المرجع نفسه، ص25.



الفصل الثالث: الأعلام الجغرافيّة في المعلّقات الجاهليّة- دراسة بينيّة تطبيقيّة.

تمهيد

في ذكر المعلم الجغرافيّ العالميّ المقدّس مكّة.

أسماء مكّة ودلالتها.

الموقع الجغرافيّ لمكّة.

في ذكر الديّار والمواضع المهجورة (الأطلال).

رثاء الأعلام الجغرافيّة الطّلليّة.

في ذكر المياه (الهيدرونيم) المذكورة بالمعلّقات

في ذكر الصّحراء.

في ذكر الجبال الأوروني.

الأعلام الجغرافيّة الخاصّة بالبرق والدّارات.

الأوديّة والأنهار والمنخفضات والوهّاد.

الأعلام الجغرافيّة السّماويّة الفلكيّة.

الشّمس.

القمر.

السّحاب.

النّجوم.

الثّريّا.

تمهيد:

تُلهِب الأعلام الجغرافيّة أحاسيس الشّاعر وتُشعل فيه نيرانا لا يُطفئها إلّا قول الشّعر، الأعلام الجغرافيّة ألوان كثيرة مختلفة من جبال وأودية ومرتفعات ومنخفضات وبُرق ودارات ورمال وصحاري ومياه ونجوم وسحاب وكواكب أخرى كثيرة تجعل الشّاعر يتدفّق شاعريّةً مختلفةَ العواطف شوقا وحنينا، وحُبّا وعشقاً، وحُزنا وألما، وفرحا وسرورا، واستشرافا وثبوطا، إنّها أعلامٌ جغرافيّةٌ تطير بالشّاعر وتُحلّق به عاليا في الفضاء؛ بسرعة البرق تخطف عقله وتلوح به في معلم جغرافيّ آخر من جديد، مرتحلاً من هنا ومنتجعا بدهشة هناك، لا يشعر بمُرور حياته ولا مُرّها، ولا أيضا بحُلوها، مندهشٌ من حالها، ومستغربٌ من أحوالها، كلّ أحاسيسه ملؤها عواطف؛ معكّر صفوَها لأنّها مزيج من ماضي وحاضر ومستقبل يكتنف جميعها الغموض والتّكدير؛ لا تكاد أن تُرتّب لولا أنّ الشّعر أظهرها من صدره نوراً وضياءً يُنير دربَ حياته ويبعث فيه الأمل من جديد، إنّها أعلامٌ جغرافيّةٌ كلّ حياته علوق بها، هذا معلم جغرافيّ منه يسقي الماء، وهذا يمثّل منتجعاً له؛ إليه يذهب ليطمئنّ ويرتاح، وهذا معلمٌ تكثر فيه الحيوانات؛ فيذهب ليصيد منه ما لذّ وطاب، وهذه فيافي مختلفة التّضاريس يغدو ويروح ويلجؤ إليها ليُروّح عن نفسه فارّا وهارباً من وجعِ الدّنيا الّذي لقد أنهكه، ولأنّ الأعلام الجغرافيّة أنواع وأقسام كما رأينا في عنصر تقسيمها من الفصل الثّاني، وبذاك كانت الأعلام الجغرافيّة واحدة من أسباب قول الشّعر ونظمه حيثُ "أدرك النّقد قديما، فضلا عن الإطار الشّعريّ، ضرورة توفّر أنواع من الدّواعي والبواعث والمحرّكات لتساعد الشّاعر على النّظم والتّركيز"[1] فسنتطرّق في هذا الفصل إلى التّعمّق في الأعلام الجغرافيّة بالدّراسة والتّحليل دراسة بينيّة لاكتشاف أهميّتها وقيمتها ودورها الأساسيّ والمحوريّ كداعٍ من دواعٍ قول الشّعر وبواعثه وعن مدى الحماسة اللّهيبة الّتي ألقتها في لسانه فصار شعرا مضيئاً. ومن هذا كلّه كذلك نجد بأنّ صوت الشّاعر ينخفض ويعلو أكثر وأكثر لتزداد حدّة نبرته وانفعاله قيّاسا مع مدى انفعاله بالأعلام الجغرافيّة، والأسئلة الّتي تطرح نفسها هنا: هل الأعلام الجغرافيّة تيمة رئيسة في الشّعر فقط؟ أم أنّها موضوع أساسيّ لعلوم أخرى؟

وإنّ كلّ عصر من العصور الأدبيّة لقد تميّز بدوافع دفعت الشّاعر لقول الشّعر، فالإسلام حين مجيئه بدّل الشّعر ثلاثة مائة وستّين درجةً، وفي العصر الأمويّ محرّك وجدان الشّاعر

---

[1] يوسف حسان بكّار، بناء القصيدة في النّقد العربيّ القديم، (في ضوء النّقد الحديث)، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ص63.

وخلجانه هو الأحزاب السيّاسيّة؛ والعصر العبّاسيّ مفجّر الشّاعر فيه قصائدا كان بسبب امتزاج العرب بالشّعوب

الأجنبيّة، وهكذا فلكلّ عصر ظروف وسمات تعدّ اللّبنات الأساس للإبداع الشّعريّ، وأمّا العصر الجاهليّ وإن تعدّدت بواعثه لقول الشّعر فستظلّ الأعلام الجغرافيّة هي الأساس الأوّل لذلك، لأنّ حياة الجاهليّ كلّها علوق بالأعلام الجغرافيّة، "خلط بعض الباحثين بين الأمكنة المتماثلة في الاسم، مثل الخلط بين (السّقيا) الواردة في المدينة و(السّقيا) الواردة في طريق الحجّ بين مكّة والمدينة...وكذلك الخلط بين جبل (شامة) الموجود قريبا من مكّة وجبل (شابة) بالباء الموحّدة الواقع في عالية نجد، والجبلان ما زالا معروفين باسمهما إلى هذا العهد، إلى غير ذلك من الخلط بين الوقائع التّاريخيّة مثل معركة (حنين) الوارد ذكرها في القرآن الكريم وبين معركة (أوطاس) الّتي هي امتداد لمعركة (حنين) وجعلها معركة واحدة سمّيت معركة (أوطاس)[1]".

ولقد أولت الجامعات العالميّة وآثرت الدّراسات البينيّة اهتماما كبيرا وغير مسبوق وذلك نظرا للأهمّيّة القصوى الّتي أضحت تغمر الدّراسات البينيّة: "ومن الأمثلة العاليّة للدّراسات البينيّة، تمنح جامعة مونتريال في كندا شهادات عليا في تخصّصات علميّة مزدوجة ولا ترتبط بتخصّص علميّ تقليديّ محدّد من برامج المرحلة الأولى من التّعليم الجامعيّ؛ مثل شهادّة الدّكتوراه في العلوم الإنسانيّة التّطبيقيّة أو علوم الحاسوب الحيويّة، أو علوم الإحصاء الاجتماعيّة، وتمنح جامعة باترا بماليزيا درجة الماجستير في برنامج الهندسة الطبيّة الحيويّة وبرنامج الفلسفة في هندسة الطيران والفضاء، كما تمنح جامعة الكويت درحة الماجستير في علوم الأرض التّطبيقيّة ونظم المعلومات الجغرافيّة...بالإضافة إلى العديد من الأمثلة الأخرى"[2]، وبذلك كانت الأعلام الجغرافيّة بمثابة الشّمس الّتي تسطع على كلّ العلوم والمعارف لتُضيئها.

إنّ المعلّقات العشر الطّوال موروثٌ عربيّ نفيس ولا يقدّر بثمن؛ فهي تراث باهض عظيم وثروة لا يضاهيها ألماس الدّنيا ولا كُنوزها، فالمعلّقات تُمثّل تاريخ العرب القديم، وكلّ ما يتعلّق

---

[1] سعد بن عبد الله بن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1999، ص10

[2]عمار بن عبد المنعم أمين عميد كليّة علوم الأرض جامعة الملك عبد العزيز، الدّراسالت البينيّة، رؤية لتطوير التعليم الجامعيّ، 2017، ص56

بحياتهم، ولذلك ستبقى كالمصابيح تنير صدور العرب ونفوسهم، تشكّل المعلّقات كُتباً مفتوحة لجميع أنواع الدّراسات؛ ومهما كثرت عليها المجاهر لسبر حقائقها فستبقى عاجزة في الوصول إلى الغاية القصوى من المعلّقات؛ فهي كالبحر مهما تعدّدت الدّراسات حولها فسيكون الدّارس كالّذي دخل البحر ثم خرج ولم يصل إلى الأعماق، المعلّقات جامعة شاملة للكثير من العلوم والمعارف ويمكن للكثير من المتخصّصين العودة إليها للنّهل منها دون أن يكتفي أو يملّ فبعد أن ينهل ما يريد من علم ستسحر نُهيته وتخبّل عقله ليعود محاولا البحث فيها من جديد، فلا غرو أن نجد الدّارسين لها وعلى الرّغم من كثرتهم تراهم ينزلون عليها كالمطر فيزيدها ذلك اخضرارا وجمالا ورونقا وما الأعلام الجغرافيّة في المعلّقات إلّا نزر قليل ممّا احتوته وسنرى إن شاء الله هذه الأعلام ومدى قوّتها وتصويرها من طرف الشّعراء إذ جميع الشّعراء تطرّقوا إلى ذكر الأماكن بمختلف ألونها من **أطلال وأودية وجبال وفيافي وصحاري وشعاب ووهّاد ونجاد وحزن**، وأوّل ما ذكره الشّعراء في مطالع معلّقاتهم الأماكن؛ فبمجرّد أن تستهلّ قراءة معلّقة من المعلّقات تقف أمامك الأطلال شامخة سامقة باسقة تُرفرف كالأعلام معلنةً رأس المعلّقات الضّروريّ والحتميّ؛ إذ المعلّقات بدون أطلال هي قصائد مبتورة ومذبوحة، فقد شكّلت هذه الأماكن الّتي كانت في مطالع القصيدة كالأعلام ترفرف أعلاما جغرافيّة تزيّن القصيدة وتلفت انتباه القارئ والسّامع المتلقّي وتجعل من الدّارس منبهرا متعلّقا بالقصيدة شغوفا بالعودة إليها لمرّات لا نهاية لها.

وأمّا عن قيمتها الجغرافيّة عند الجغرافيين فحدّث ولا حرج فهي تشكّل حلّة وتاج فوق رءوس العرب، بها يفتخرون وفي انتسابهم وانتمائهم إليها يعودون، وإنّ هذه الأعلام الجغرافية الّتي كست المعلّقات قد اختلفت وتنوّعت أعلامها الجغرافيّة من معلّقة إلى أخرى؛ كما أنّ الشّعراء قد نوّعوا في رسمها وتصويرها "وإنّ دراسة الأعلام الجغرافيّة الواردة في أشعار الجاهليّة لتعود بفائدة كبيرة ذلك لأنّها تمكّننا من معرفة الإطار الجغرافيّ الّذي عاش فيه الإنسان العربيّ قبل الإسلام، والمناطق الّتي امتدّ إليها نشاطه ولهذا كان لابدّ من دراسة الأعلام والعمل على تحديد مواقعها ووضع مصوّر تفصيلي للجزيرة العربيّة"[1].

ولقد ترفِد الأعلامُ الجغرافيّة من الأحداث والوقائع والأخبار ما يشمل حياة العرب في العصر الجاهليّ جميعا بمختلف أشكالها؛ وبذاك فهي مصدر للكثيرين من المتخصّصين

[1] إبراهيم موسى الزقرطيّ، أسس الأسماء الجغرافيّة،المركز الجغرافيّ الملكي الأردنيّ، عمان ،1997، ص11.

وخاصّة أهل التّاريخ، فبمساعدة الأعلام الجغرافيّة وشاعريّتها الجيّاشة الّتي تفيض أحاسيسا في صدر الشّاعر استطاع بلوغ الغاية في نقل الخلجات الّتي يقشعرّ لها بدنُه؛ فأفرغ أثقال همّ الذّكريات أو قلّل منها في الأقلّ شعراً "فيسهم المكان في تحديد الحدث وتحقيقه والتعرّف به باعتباره واقعة شهدها التّاريخ"[1] "إنّ تحديد الشّعراء لهذه المواضع لم يقتصر على كونها مناطق خصبة اتّخذتها القبائل مرابع تنعم بخصبها ومياهها، وإنّما هي شيء غير هذا، فالشّعراء حاولوا ان يحدّدوا لنا هذه المناطق ويرسموا أماكنها بكلّ دقّة، وما كانوا يجدونه فيها، وبهذه المعلومات يوضّحون أخبارا تاريخيّة، ويصوّرون تخطيطا جغرافيّا يمكن الانتفاع به لأنّه يُلقي أضواء قويّة على هذه المناطق الّتي لم تزل مجهولة، وفي هذه النّاحية تكمن أهميّة الشّعر الجاهليّ الّذي يعدّ من أصدق الوثائق صحّة وتوثيقا"[2].

1. في ذكر المكان المقدّس مكّة:

مكّة معلم جغرافيّ غنيّ عن التّعريف يشار إليه بالبنان وما في هذا أدنى ريب، وقد "ارتسمت لمكّة ملامح القداسة على مرّ العصور؛ فهي من الأماكن الّتي تخلق في النّفس الرّعشة الروحيّة الّتي تهزّ الكيان، وتسمو به إلى عالم التّصوّف والخشوع، فمن رَحِمِها خلق الله الأرض ومنها دحيت، وكعبتها المشرّفة هي سرّة الأرض ومركزها، ...وممّا زاد من أهميّتها وقداستها في اعتقاد بعض الباحثين، وجود بئر زمزم في وادٍ غير ذي زرعٍ لما للماء من أهميّة خاصّة في حياة البدويّ المادّيّة والرّوحيّة"[3] كما "وتتواشج هذه الصّورة لمكّة مع معانٍ وصوّر ذهنيّة حافلة بالأسرار والمعجزات الّتي تمنحها دلالات رمزيّة وقدسيّة، تتجاوز المدلول الجغرافيّ إلى القداسة والعظمة"[4]، "ويختلف المؤرّخون في اشتقاق كلمة مكّة؛ فذهب فريق إلى أنّها إنّما سمّيت كذلك لأنّها تمكّ الجبّارين، أي: تُذهب نخوتهم، وذهب فريقٌ إلى إنّها إنّما تقع بين جبلين مرتفعين عليها، وهي في هبطة بمنزلة المكوك، وذهب فريق ثالث إلى أنّ الكلمة

[1] عمّارة الجداري، المكان في الشّعر العربيّ القديم بين التوثيق والتلقّي، من خلال نماذج من المفضّليّات، والمعلّقات، جامعة سوسة تونس، الخطاب، المجلد 14، العدد 01، تاريخ النّشر: 2019/02/01، ص499.

[2] نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشّعر الجاهليّ، دار الإرشاد للطّباعة والنشّر، بيروت، ط01، 1970، ص40

[3] منال عبد الفتاح حسين شتية، قداسة المكان في الشّعر الجاهليّ، إشراف أ. د إحسان الدّيك، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها، نابلس، فلسطين، 2017م، ص 25.

[4] المرجع نفسه، ص36.

مشتقّة من: أمّتك، من قولهم: أمتك الفصيل ضرع أمّه؛ إذا مصّه مصّا شديداً، ولمّا كانت مكّة مكانا مقدّسا للعبادة فقد امتكت النّاس، أي جذبتهم من جميع الأطراف[1]".

والأعلام الجغرافيّة المحيطة بمكّة -المعلم الجغرافيّ البارز- كثيرة جدّا حيثُ نجدها "تشتهر مكّة بمجموعة من الجبال، أشهرها جبل أبي قبيس في جنوب مكّة، وجبل حراء في غربها وفيه كان يتحنّث سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وجبل ثور ويشرف على مكّة من الجنوب، وفيه الغار الّذي بقي فيه صلوات الله وسلامه عليه، مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه، فترة إبان الهجرة من مكّة إلى المدينة في عام 622م، وهناك كذلك جبل رضوي، بين المدينة المنوّرة والبحر الأحمر[2]" و" إنّ بكّة بتقدير الخالق عزّ وجلّ هي قلب الأرض، وأنّها مركز التجمّع الإشعاعيّ للتّجاذب المغناطيسيّ، والأرض شأنها شأن أي كوكب آخر تتبادل مع الكواكب والنّجوم الأخرى قوّة جذب تصدر من باطنها، وهذا الباطن يركّز في مركزها ويصدر ما يمكن أن نسميَه إشعاعاً"[3].

ولكن رغم أهمّيّة مكّة؛ هذا المعلم الجغرافيّ المميّز والبارز في بطن الجزيرة العربيّة نتفقق عدم تطرّق شعراء المعلّقات إلى ذكرها عدا الشّاعر زهير بن أبي سلمى.

"وظائف مكّة:

ومن الوظائف الهامّة في مكّة والّتي ترتبط بطبيعة مكّة وكونها ملتقى للحجيج، والحجابة: تعني ملكية مفاتيح الكعبة ومن يتولاها يكون مسئولا عن تنظيم الشّعائر، الدّينيّة ومواقيتها، وكانت لقصي ثمّ آلت إلى ابنه عبد الدّار، والرفادة: وقيل أنّ أوّل من استنّها إبراهيم عليه السّلام، ونسبت إلى عمرو بن لحيّ، وفي عهد قصي كانت تعني مسئوليّة جماعيّة بأن تتولّى بطون قريش دفع مبالغ ماليّة لقصي ليؤمن بدورة الطّعام للحجّاج غير المقتدرين أيّام الحجّ، وبعد قصي تولّاه ابنه عبد الدّار، والسّقاية: وهي من الوظائف الّتي تزداد أهميّتها في مكّة وتشتمل على جلب المياه إلى احواض خاصّة حول الكعبة لسقاية الحجيج، واللواء، والنّسيء، والإجازة[4]".

2. "أسماء مكّة ودلالتها:

[1] محمّد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ص391.

[2] المرجع السّابق، ص111.

[3] رنا محمّد مجيد الغريريّ، المعجم الجغرافيّ الخصّ بألفاظ وآيات القرآن الكريم، ص720.

[4] جبران، روضة سحيم حمد آل ثاني، مؤسسة حمادة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، 1998، ص157.

وردت لمكّة كما سبق أن أشرنا العديد من الأسماء والصّفات وهي من دلالات غموض تاريخها وأهميّته في آن واحد، ومن هذه الأسماء والصّفات مايلي: مكّة: قال الله تعالى: هو الّذي كفّ أيديَهم عنكم وأيديَكم عنهم ببطن مكّة، وحول اشتقاق مكّة: احتمالات منها: من شدّة الإزدحام، أو من جذبها للنّاس إليها، أو من الخوف، أو لجهد أهلها، أو لقلّة الماء بها، بكّة: في قوله تعالى: أنّ أوّل بيت وضع للنّاس الّذي ببكّة فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ومن كفر فإنّ الله غنيّ عن العالمين" ، وحول تفسير هذه التّسمية: اجتهادات منها: لازدحام النّاس فيها، أو أنّها تبك أعناق الجبابرة، أي: تدقّها، البلد و البلد الأمين في قوله تعالى" لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد" ، القرية: في قوله تعالى: وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغدا من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون" ، أمّ القرى: قالى الله تعالى:" وهذا الكتاب أنزلناه مبارك مصدّق الّذي بين يديه ولتنذر أمّ القرى ومن حولها والّذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون" ، ومن التّسميّات الأخرى: بره، بساسة، صلاح، النشاشة، الحرم، المسجد الحرام، كوسا (كوثا)، وعند التّجّار كانت تسمّى: عروق الذّهب، وأهل بغداد يسمونها: مربية الأيتام[1]"، "كانت قريش تسكن مكّة وشعابها، ويبدو أنّ قريش كانت تقسّم إلى أقسام، بحسب مناطق سكّانها في مكّة وحولها حسب الاستتقرار وشبه الاستقرار، ولذا فإنّ الدّراسات تشير إلى أنّ قريش كانت تضمّ ثلاث مجموعات هي:

- قريش البطاح: وهي الّتي تسكن داخل مكّة و بجوار الكعبة.
- قريش الظّواهر: سكنت خارج مكّة و في شعابها.
- قريش الضّواحي: وهي الّتي سكنت خارج نطاق قريش الظّواهر[2]."

تاريخ مكّة قديم ضارب في القدم موغل فيه وقد "اكتنف الغموض تاريخ مكّة القديم وظهر ذلك من خلال الاختلاف في ترتيب الأقوام الّتي سكنت مكّة، وإن كان الرّاجح أنّ العمالقة هم أوّل من استوطنها، ثم بني جرهم وكانوا معاصرين لمقدم إبراهيم عليه السّلام مع زوجته هاجر في حدود القرن التاسع عشر ق م[3]"، "ومع قريش وشهرتها يبدأ تاريخ مكّة بالوضوح وبالأخصّ

---

[1] المرجع السّابق، ص154/153.

[2] المرجع نفسه، ص155

[3] المرجع نفسه، ، ص151

منذ عهد قصي بن كلاب[1]"، "وتعدّدت أوصاف مكّة بعد ذلك في المصادر العربيّة ومن أهمّها فيما هو مشهور: أمّ القرى، والبلد الأمين، والقادس والمقدّسة، والعرش، وأمّ الرّحم .....إلخ"[2].

"**الأبطح:** بفتح الباء وسُكُون الباء الموحّدة وطاء مهملة مفتوحة، وآخره حاء مهملة: موضع في مكّة، روى البخاريّ عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالأبطح فجاءه بلال فآذنه بالصّلاة، ثمّ خرج بلال بالعنزة حتّى ركزها بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالأبطح وأقام الصّلاة...الأبطح: أثر المسيل ضيّقا كان أو واسعا وفي شعر عمرو بن كلثوم في معلّقته قال:

يدهدون الرّؤوس كما تدهدي....حزاورة بأبطحها الكرينا"

وقال أيضا:

وقد علم القبائل من معدٍّ ..... إذا قُبب بأبطحها بُنينا"[3]

"وقال البكري: الأبطح: بكّة معلوم"[4]، "ولهذا فإنّ هذا الوادي يسمّة الأبطح والبطحاء نسبة إلى تكوينه الجغرافيّ، ويسمّى وادي إبراهيم نسبة إلى سكنى ذريّته فيه، ويسمّى وادي مكّة لوقوعه في مكّة، وهوز الّذي عناه إبراهيم عليه السّلام: ﴿ ربّنا إنّي أسكنت من ذرّيتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرّم﴾ سورة إبراهيم، الآية 37"[5]، "ومن الملاحظ أنّ هذا الأبطح ذو الشّهرة العلميّة والتّاريخيّة قد تغيّرت معالمه وذهبت بطحاؤه بسبب النّهضة العمرانيّة الشّاملة في مكّة الكرّمة ورصف بطحائها وطرقاتها وفرشها بالأسفلت[6]".

3. الموقع الجغرافيّ لمكّة:

مكّة المكرّمة معلم جغرافيّ مشهور وعظيم ومبجّل منذ العهد القديم وقبل حتّى العصر الجاهليّ و"موقع مكّة: تقع مكّة في منتصف الطّريق بين اليمن والشّام وقد أثّر هذا الموقع على مكّة وجعلها مؤثّرة ومتأثرة بأحداث وتطوّرات هاتين المنطقتين، أمّا من حيثُ موضع مكّة

---

[1] المرجع نفسه، ص155

[2] عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربيّة في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو مصريّة، منتدى سور الأزبكيّة، 2010، ص177

[3] سعد بن عبد الله بن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط01، 1999، ص15.

[4] المرجع نفسه، ص16.

[5] المرجع نفسه، ص16.

[6] المرجع نفسه، ص 17.

فهي تتموضع في واد منبسط من أودية جبل السّراة، تحيط بها الجبال من كلّ جانب، فإلى الشّرق يمتدّ جبل أبو قبيس وإلى الغرب جبل القعيقعان، وجنوبا جبل ثور ثمّ جبل حراء، ...أمّا مناخ مكّة فهو حارّ وقليل الأمطار ولذلك وصفت بأنها واد غير ذي زرع[1]" كما وتقع "مكّة تقع في واد على شكل سهل منبسط محاط بجبال ذات شعاب[2]"، " وهنا يحاول الإخباريّون أن يفرّقوا بين مكّة وبكّة، فالأولى هي القرية كلّها، والثّانية إنّما يراد بها موضع البيت الحرام، أو أنّ بكّة هي: موضع البيت، ومكّة ما سوى ذلك[3]"، "في منتصف الطّريق المعبّد للقوافل تقوم مكّة بين اليمن والشّام في واد منسط من أودية السّراة ...ومكّة مدينة قديمة ورد اسمها في المصادر اليونانيّة والرومانيّة القديمة فذكرها بطليموس الإسكندريّ باسم ماكورابا Macoraba ولكنّها لا بدّ ان تكون أقدم عهدا من هذا الجغرافيّ الّذي عاش في القرن الثاني بعد الميلاد[4]"

وأمّا عن نشأتها "لقد ارتبطت نشأة مكّة المكرمة بإعادة بناء البيت الحرام – الكعبة المشرفة – على يدّ أبي الأنبياء، إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السّلام، وقبل هذا لم يكن لمكّة وجود، وبدأ وجودها عندما ظهر ماء بئر زمزم[5]".

يقول زهير بن أبي سلمى في معلّقته:

فأقسمت بالبيت الّذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم[6].

وهو هنا يقول: "حلفت بالكعبة الّتي طاف حولها من بناها من القبيلتين. جرهم قبيلة قديمة تزوّج فيها إسماعيل عليه السّلام. فغلبوا على الكعبة والحرم بعد وفاته عليه السّلام، وضعف أمر أولاده، ثمّ استولى عليها بعد جرهم خزاعة إلى أن عادت إلى قريش، وقريش اسم لولد النّضر بن كنانة"[7]، وقد "كان للحجّ وما يتّصل به من مشاعر، ومواطن ومعانٍ، مكانة رفيعة في شعر قريش، فهي إنّما تصدر في ذلك عن طبيعة بيئتها، فلقد كان في مكّة المكرّمة البيت الحرام، والمشاعر المقدّسة...وكانت قريش في أشعارها تفتخر بمكانتها من البيت وتعتز

[1] المرجع نفسه، ص150.

[2] أحمد إبراهيم الشريف، مكّة والمدينة، في الجاهليّة وعهد الرّسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربيّ، 1985، ص 28.

[3] محمّد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ص392.

[4] أحمد إبراهيم الشريف، مكّة والمدينة، ص109 .

[5] عبد الشافي محمّد عبد اللطيف، مكة المكرمة في الجاهليّة وعصر الإسلام، دار الفكر العربيّ، القاهرة، 2007، ص10.

[6] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص.42.

[7] المرجع نفسه، ص42.

بحمايته وخدمته، وكذلك فعلت قبيلة جرهم من قبل، الّتي تحسّرت حينما فقدت هذه المكانة، يقول **شاعرهم فضاض بن عمرو بن الحارث الجرهميّ**:

كأنّ لم يكن بين الحجون إلى الصّفا   أنيس ولم يسمر بمكّة سامر.

بلى نحن كنّا أهلها فأزالنا   صروف اللّيالي والجدود العواثـر.

وكنّا ولاة البيت من بعد نابت   نطوف بذاك البيت والخير ظاهر.

فسحّت دموع العين تبكي لبلدة   بها حرم آمن وفيها المشاعـر.

وتبكي لبيت ليس يوذي حمامه   يظلّ به آمن وفيه العصافـر[1]".

"والواقع أنّ شعر قريش قد خلّد مسمّيات الأماكن المقدّسة وبعض الأماكن والمنازل ممّا يحيط بمكّة المكرّمة أو يقرب منها، كما خلّد الشّعراء الآخرون المنازل الّتي تقع في طريق الحجّ وتتّصل به"[2]، ولأنّ الشعراء في العصر الجاهليّ لم يقفوا على معلم جغرافيّ بالدقّة والتّفصيل كغرض خاصّ فلا نجد من القصائد المنفرد لأيّ معلم في الجزيرة العربيّة وكذلك مكّة المكرّمة وإن كانت قبلة لحجيج العرب جميعا في العصر الجاهليّ إلّا الأبيات الآنفة الذّكر لصاحبها الشّاعر فضاض بن عمرو بن الحارث الجرهميّ.

4. الديّار والمواضع المهجورة (الأطلال):

تعتبر الأعلام الجغرافيّة متمثّلة في الأطلال هي الأكثر شهرةً وتداولاً وتعاوراً بين النّاس حتّى غدت تجري على ألسنتهم جريان العسجد في السّبيكة النّورانيّة يعرفها العامّ والخاصّ؛ ذلك لأنّها دائما في طليعة الشّعر من المعلّقات وغيرها؛ ولقد أزمعت الأطلال نفوس العرب جميعا؛ والشّعراء في العصر الجاهليّ خصوصاً فتوطّنت أنفسهم فما طفقوا يذكرونها ليل نهار لا يتوقفون، وتعتبر الأعلام الجغرافيّة سقط اللّوى، الدّخول، حومل؛ توضح؛ المقراة، الّتي في مطلع معلّقة امرؤ القيس الأكثر شهرة على الإطلاق نظرا لورودها على رأس المعلّقات في قوله[3]:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ   بسقط اللّوى بين الدّخول فحوملِ

فتوضح فالمقراة لم يعفُ رسمُها   لما نسجتها من جنوبٍ وشمألِ

---

[1] مؤسسة تبيان الثقافية والمعلوماتية، الحجّ في الشعر الجاهلي، الموقع: www.teyan.net.

[2] المرجع نفسه.

[3] زهير مصطفى اليازجي، أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص11.

ولكن قبل الحديث عن الأعلام الجغرافيّة الموجودة بالمعلّقات، يجدر بنا ها هنا في هذا المبحث ونحن نتحدّث عن الأعلام الجغرافيّة المتمثّلة في الأطلال كالّتي حثّ عليها امرؤ القيس صاحبيه بالوقوف عليها تذكّرا وبكاء؛ يجدر بنا أن نقف عند هذا البكاء الّذي دعاهما إليه؛ ذلك لأنّ البكاء يوحي بالضّعف والاستسلام والخور والانهيار والجبن؛ وهي صفات مذمومة منبوذة في المجتمع العربيّ قديما؛ خاصّة وأنّ الشّعراء رجالٌ، العصر الجاهليّ الّذي عُرف بالشّهامة والمروءة والفروسيّة والأيّام (الحروب) واقتحامها بلا هوادة، فهو عهد لا مكان للجبان الخوّاف الرّعديد فيه، فشجّعوا على الموت في الحروب ورأوا أنّ الّذي يموت في الفراش جباناً وسمّوه موت الحتوف، فالنّاس في ذلك العهد لا يبكون ولو كان الأمر على حساب حياته وروحه؛ ومهما فقد من أعزّ ما يملك لا يبكي، بل وكان شائعا عندهم أنّ البكاء للنّساء ولا يمكن للرّجال البكاء في أيّ حال من الأحوال وتحت أيّ ظرف من الظّروف فعنترة بن شدّاد يقول:

وحولكَ نسوةٌ يندبنَ حزناً ويهتكن البراقعَ واللّفاعاَ.

فالنُّدب والنوّاح والبكاء من سمة النّساء فمتى يبكي الرّجال إذاً في العصر الجاهليّ؟

يبدو أنّ شعراء العصر الجاهليّ وجميع الرّجال في هذا العهد يبكون في حالة واحدة ووحيدة وهي حين يتعلّق الأمر بالأعلام الجغرافيّة الّتي ألفوها ثمّ ظعنوها؛ فسكنتهم وسكنوها فكانت بمثابة الرّوح الّتي تستقرّ أجسادهم وانفصالهم عنها يتركهم يبكون ولا يستحيون؛ ويتقطّعون تمزّقاً أليماً لا يجدون سبيلا لترقيعه أو الشّفاء منه إلّا البُكاء "وهذه الحالات النّفسيّة الّتي ذكرناها نراها تتردّد كثيرا في شعر الوقوف على الأطلال، على أنّ أشهر هذه الحالات الّتي تعتري الشّعراء وأكثرها دورانا في الشّعر هي حالة البكاء وذرف الدّموع، وقلّما يخلو شعر في الوقوف على الأطلال من البكاء والدّموع، فقد بكى الشّعراء طويلا على ديّار أحبّائهم[1]"؛ "والشّكوى من دأب الشّعراء في وقوفهم على أطلال الديّار، فهي حبيبة إلى قلوبهم، قريبة إلى نفوسهم، يناجونها ويبثّونها آلامهم وأحزانهم، ويشكون إليها ما يكابدون من شوق إلى أهلها الظّاعنين، ويجدون في هذه الشّكوى عزاء وسلوى، وكأنّ هذه الدّيار رفيق أمين يسعدهم في بلواهم، فيأنسون بقربه، وينعمون بلقائه، وينسون وحدتهم ووحشتهم عنده، ولو إلى حين[2]"، بل

[1] عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص 63.

[2] المرجع نفسه، ص 69.

ينادون به فيبكون ويتباكون ولا يبالون أو يكترثون، في بكائهم على الأعلام الجغرافيّة الطلليّة يعبّرون عن حسرتهم وحزنهم وتمزّقهم عويلا منقطع النّظير؛ وهم بذلك يفتخرون ويعتدّون وفي شعرهم بالبكاء ينطلقون؛ وفي هذه الازدواجيّة والتّناقض بين المروءة والشّهامة والشّجاعة والاقتحام الّتي يقابلها النوّاح والعويل معنى عميق جدّا يحتاج إلى فلسفة تقف عنده بجميع فروعها ومناهجها، ثمّ إنّ هذا التّناقض يترك في نفس السّامع إثارة رائعة تكسوها جماليّة ذات ذوق فنّي مميّز وفريد، فيذكرون الأعلام الجغرافيّة الّذي رحلوا عنها بكاءً حتّى لكأنّهم قد أصابهم بسسب فراقها الجنون."وكانتا صفتا الشّجاعة والبأس من أهمّ الصّفات العربيّة، يتغنّى بها الجميع، ولا تكاد تخلو منها قصيدة، ولعلّ هذا ما جعل الشّعر العربيّ شعر الحماسة بامتياز"[1]

5. رثاء الأعلام الجغرافيّة الطّلليّة:

الرّثاء هو غرض من الأغراض الشّعريّة، يعبّر الشّاعر فيه عن حزنه الشّديد وألمه الكليمُ الّذي يلدغ كبده أحاسيسا ذات لوعة تترجمها دموع منهمرة؛ ومشاعر جريحة؛ ووجدان مكلوم، هو حُزن شديد ناتج من بعده عن وطنه وديّاره الّتي هجرها قسرا استجابة للظّروف الخاصّة جدّا؛ يمزّقه تفجّعا وحسرة وأسى ووجعا، لقد سبّبه له فراقه وبَينه عمّن يُحبّ ويعشق، والّذي قد طال عنه الزّمن كثيرا؛ سواء أكان يعيش معه إن كان إنساناً أم كان يعيش فيه إن كان معلماً جغرافيّا، فالشّاعر في العصر الجاهليّ هو أوّل من ابتكر البكاء على المكان من الأعلام الجغرافيّة كالأطلال؛ وأوّل الشّعراء رثاء للمكان هو الشّاعر ابن جذام المعروف في بيت لامرئ القيس، فبذاك كان سبّاقا على شعراء العهد الأندلسيّ وشعراء العصر العبّاسيّ حين بكوا مدنهم الّتي دُرست وانمحت من الوجود، فبكى شعراء العصر الجاهليّ في مطالع قصائدهم على معالمهم الجغرافيّة الّتي هجروها قسرا من الظّروف الطّبيعيّة والاجتماعيّة بكاءً قطّع مهجتهم إرباً؛ فكلّ فنون الشّعر وألوانه وأغراضه سبق إليها شعراء العصر الجاهليّ، وإنّ تذكّر الشّاعر لحياته السّابقة الأليمه والبكاء عليها رثاءً بذكر جمالها وسحرها وما خلّفته له في نفسه من محاسن وآثارا لا تُنسى يجعله ويضعه في المرتبة الأولى ممّن بكوا على أوطانهم، فقد كان رثاؤه لهذه الأعلام دورا في الانطلاق لقول القصيدة الطّويلة؛ فيذر فيها ملخّصَ كلِّ حياته

---

[1] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، 90.

تقريبا، بدءا بالتّشبيب والغزل في المطالع الّتي غالبا ما يكون فيها ممزوجان؛ إلى أن يبلغ غرض القصيدة الحقيقيّ الّذي كان الشّاعر يريغه، وإنّ "الرّثاء يعتمد على الحالة النّفسيّة الّتي يحسّها الإنسان وهو يستقطب أشتات الحزن، ويستجمع دواعي الرّثاء، رمّم فيه الشّعراء أحاسيسهم، ويستكمل صورة المرثي، ليعدّ منها اللّوحة الفنّية الّتي تتناسب والتّجربة الّتي يعانيها، ومن هنا كانت قصائد الرّثاء في مختلف الآداب أصدق تعبيرا، وأصدق إحساسا من أغراض الشّعر الأخرى[1]"، و"الرّثاء غرض شعريّ قديم، ظهر عند العرب منذ العصر الجاهليّ...وقد قال شعراء الأندلس فأكثروا في رثاء مدنهم ومماليكهم ودولتهم، حتّى صار رثاء المدن والمماليك بسبب ذلك فنّا شعريّا قائما بذاته في أدبهم[2]" ، وأن يصبح رثاء المعالم الجغرافيّة غرضا قائما بذاته وفنّا مستقّلا، فلقد كان قد وُلد ونشأ منذ العصر الجاهليّ عند شعراء هذا العهد وعلى رأسهم أصحاب المعلّقات، فلا تخلو معلّقة واحدة من رثاء المعالم الجغرافيّة الطّلليّة، بل هي الباب الّذي يجب أن تطرقه وتفتحه لتلج إلى الحياة الّتي ملأت وفاضت بها المعلّقة. وأغراض البكاء عند الجاهليّ عميقة، وهدفه منها واسع وكبير"ومن هنا لم يأت بكاء الشّاعر للبكاء، ولكنّه أتى علّة لشفاء نفسه الملتاعة، حيثُ تبلغ هذه النّفس درجة التّأزّم[3]"، " فامرؤ القيس وجد في البكاء شفاء[4]" ، كذلك "ومن هنا كانت رمزيّة الطّلل تختزن هذه المعالم النّفسيّة وتعمّق من تجربتها، فكان الشّاعر حين يشير إلى مخلّفات الأطلال من نؤي وأثافي وبعر الآرام وعرصات الدّار، يشير في الواقع إلى كلّ ما كان خامدا في نفسه؛ أو في شعوره الباطني[5]".

وقد كان شعراء الجاهليّة الأُولى السبّاقون في البكاء على الأطلال حتّى قبل شعراء العصر الجاهلي أنفسهم، كما هو معلوم مع شاعر هذا العصر ابن جذام وليس كما جاء في كتاب عزّة حسن: شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى القرن الثّالث، حين نسب البكاء على الأعلام الجغرافيّة ورثائها إلى العصر الجاهليّ إذ جاء في هذا الكتاب "كان

---

[1] نوري حمودي القيسي، دراسات في الشّعر الجاهليّ، ص146

[2] ليلى جغام، رثاء المدن بين سقوط الأندلس وأحداث الثّلاثاء الأسود، جانفي، 2009. مجلّة كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد:04، ص86.

[3] د. بوجمعة بوبعيّو، جدليّة القيّم في الشّعر الجاهلي، رؤية نقديّة معاصرة، منشورات كتاب اتّحاد العرب، 2001، ص38.

[4] زهير مصطفى اليازجي، أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص148.

[5] د. بوجمعة بوبعيّو، جدليّة القيّم في الشّعر الجاهلي، رؤية نقديّة معاصرة، منشورات كتاب اتّحاد العرب، 2001، ص39.

الشّعراء الجاهليّون هم الّذين بدؤوا القول في شعر الوقوف على الأطلال[1]"، وإنّ أحقّية السّبق في البكاء على المعالم الجغرافيّة مختلف فيها بين الدّارسين منذ العهد القديم "فقد دارت تساؤلات كثيرة بين الباحثين في الشّعر العربيّ، مشرقيّة وأندلسيّة حول المهد الأوّل الّذي ولد فيه شعر رثاء الدّول والأمصار الّذي اشتهر في الأندلس خاصّة بصورة كبيرة[2]"، والفصل في الأمر هو أنّ شعراء الجاهليّة الأولى هم السبّاقون.

وقد جاء رثاء الأعلام الجغرافيّة الطلليّة في مستهلّ المعلّقات مجتمعًا مع غرض الغزل ولا عجب في ذلك، فكثيرا ما يحدث هذا؛ فتتداخل فنون الشّعر حيثُ "من الصّعوبة بمكان أن يضع الباحث خصائص ومميّزات لأيّ غرض من أغراض الشّعر العربيّ ينفرد بها ولا يشاركه غيره فيها، وذلك لطبيعة هذا الشّعر الّذي تغلب عليه الغنائيّة، وتتداخل أغراضة وتتفرّع من بعضها، فالرّثاء مثلا يرجع إلى المديح؛ لأنّه مدح للأموات...وفي شعر رثاء الدّول والأمصار تزداد المشكلة تعقيدا لأنّ هذا الشّعر لا يمثّل وحدة متكاملة، يمكن دراستها من خلال تسلسل القصائد[3]"، فقد سمّي رثاء الأعلام الجغرافيّة في المعلّقات بالمقدّمة الطلليّة و"المقدّمة الطّلليّة: هي مقدّمة تقليديّة فرضت سيطرتها على الشّعر من أيّام الجاهليين، وظلّ سلطانها مستمرّا عبر العصور الأدبيّة، فتجد الشّاعر يقف على مدينة زاهرة أصيبت بالدّمار واستبيح أهلها، يأخذ من مناجاة الأطلال ومناشدتها عن الأحباب، ويستوقف الصّاحب والرّفيق، ويدعو بالسّقيا وما إلى ذلك[4]" ، وإنّ رثاء الأطلال يترك فينا شعورا خاصّا؛ وهو شعور فنّيٌّ؛ حيثُ "وفي تحليل الشّعور الفنّي الّذي يثيره في نفوسنا أثناء قراءته[5]" نكتشف الكثير من الأفكار المتوارية و"إنّ للأطلال والآثار القديمة روحا خاصّة، وهذه الرّوح كائنة في باقيا الماضي، الّتي تُجدّد لنا حياة ممحوّة عافية في صوّرها الخربة النّاقصة عن منزلتها

[1] د. عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص 75.

[2] شاهر عوض القاوين، إشراف: حسن محمّد باجودة، الشعر العربي في رثاء المدن والأمصار حتّى نهاية سقوط الأندلس، بحث مقدّم لنيل درجة الدّكتورة في الأدب العربيّ، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، 1984، ص457.

[3] شاهر عوض القاوين، إشراف: حسن محمّد باجودة، الشعر العربي في رثاء المدن والأمصار حتّى نهاية سقوط الأندلس، بحث مقدّم لنيل درجة الدّكتورة في الأدب العربيّ، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، 1984، ص467.

[4] المرجع نفسه، ص 468.

[5] عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص 119.

الأولى، وهي تستمد من هذا الماضي الّذي تثيره في أذهاننا قوّة إمتاع، قد يضيع الفن نفسه إلى جانبها شيئا كبيرا من تأثيره وفتنته[1]" ثمّ "وكذلك وصلنا عن الجاهليّة رثاء اختلط بالوقوف على الأطلال واعتبر من النّسيب وهو رثاء يبكي به الشّعراء قبائل معيّنة، أو رثاء يعبّر به الشّاعر عن أحزان معيّنة...ونحن نجد في هذا الشّعر المعاني والمشاعر الّتي نجدها في الرّثاء[2]".

واستهلال الشّاعر قصائده برثاء الأعلام الجغرافيّة الّتي هجرها يريد من ذلك البرهنة على مدى حزنه وتعلّقه بها والكثير من الدّلالات ذلك لأنّ: "المستهلُّ جزءٌ من البرهان على الشّيء إذ لا نرى الشّيء إلّا من أجل البرهنة عليه حسبما يرى أرسطو، وبناء على ذلك فإنّ من عوامل نجاح الكلام أن يكون الشّاعر صاحب حجّة ولسان بليغ وصوت جذّاب واسترسال وانتقالات واضحة[3]"، "وليس هناك شكّ في أنّ مخاطبة الطّلل تكشف عن وعي الشّاعر العميق بالمكان وإحساسه به...وقد التفت ابن خلدون إلى ظاهرة مخاطبة الطّلل وعدّها نوعا من أنواع الأسلوبيّة الّتي يعتمدها الشّعراء في بلورة مواقفهم ورؤاهم، يقول: فإنّ لكل فنّ من الكلام أساليب تختصّ به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة، فسؤال الطّلول في الشّعر يكون بخطاب الطّلول...لكن الشّاعر عندما يتحدّث عن الدّيّار بهذه اللّهجة فإنّه يبرز لحظة الانفجار الانفعاليّ"[4].

وكان البكاء على الأعلام الجغرافيّة في مطلع الطّوال قد ورثه ذوو المعلّقات من أجدادهم ويظهر ذلك في قول قائدهم امرؤ القيس حين حدّثنا عن ابن جذام قال[5]:

عُوجاً على الطّلل المُحيل لعلّنا   نبكي الديّار كما بكى ابن جذام

---

[1] المرجع نفسه، ص 110.

[2] مصطفى عبد اللّطيف جياووك، الحياة والموت في الشعر الجاهليّ، مكتبة لسان العرب، منشورات وزارة الإعلام، دار الفكر، البصرة، الجمهوريّة العراقيّة،ط01، 1977، ص145.

[3] سمير الخليل، تقويل النّصّ؛ تفكيك لشفرات النّصوص الشّعريّة والسّرديّة والنّقديّة، دار غيداء للنّشر، ط01، 2016، ص25.

[4] موسى ربابعة، تشكيل الخطاب الشّعريّ، دراسات في الشّعر الجاهليّ، مكتبة الأدب المغربيّ، دار جرير للنّشر، سامراء، ط01، 2011، ص15.

[5] عبد الله بن أحمد الفَيفي، مفاتيح القصيدة الجاهليّة، قديّة جديدة، عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا، عالم الكتب الحديث، 2014، إربد، الأردن، ط01. ص 30.

فإذا تحدّثنا عن الأطلال فسنجدها تنقل إلينا الكثير من الأحداث والأخبار المتنوّعة والمختلفة من شاعر إلى آخر؛ وبالتّالي نقل أخبار القبائل وثقافاتها "وافتتاح الشّاعر الجاهليّ نصّه الشّعريّ بالوقوف على الطّلل يبرز للمتلقّي حقيقة الألفة والانسجام بينه وبين المكان، إذ يتحوّل المكان إلى ذاكرة حافظة للفعل الإنسانيّ وأثره في المكان"[1]؛ فالطّلل وعاء ومسرح لأحداث الحياة؛ مسرح للحياة بمختلف ألوانها الصّعبة المرّة والسّعيدة الجميلة، حياة عالقة في الذّهن متشبّثة به؛ لا تُنسى أبدا هيهات. فلم يجد الشّاعر في استهلال معلّقاته بُدّاً من الحديث عن هذه الأوضاع والظّروف الّتي تميّزت بالتّرحال وكثرة الانتقال والمغادرة والتّرك والظّعن والبين؛ والرّحيل عن الأماكن المألوفة والمحبوبة إليه؛ لم تكن له القدرة على تجاوز هذه المحن الّتي دأبها مفروضة عليه قسراً؛ فلم يستح أن يُطلق العنان لنفسه فيشكو هذا الوجع بالبكاء الشّديد والحزن العميق معبّرا عن تمزّق نُهيته وتشتّت ذهنه بسبب ذلك؛ على الرُّغم من تغنّيهم بالشّجاعة والجرأة واقتحام الصعاب والخطوب بل ربّما يرى الشّاعر- في العصر الجاهلي وهو يحنُّ باكيًا على مخلّفات ديّاره الّتي هجرها- شجاعةً وبأساً، فهو قويٌّ لأنّه يعبّر عّما يشعرُ به النّاسُ جميعًا من القبائل حوله، فليس من أحد يمكنه السّخرية منه أو التّقليل من شأنه فالكلّ من هذا الجانب سواسية متفجعون يتألّمون؛ فالملجأ الوحيد للتّقليل من ألم الفراق على نفسه وغيره هو: التّعبير عنه شعرا وبالبكاء في المقدّمات ومطالع القصيد للتّنفيس والتّقليل من الضّغط المفروض النّاتج عن الظّروف القاسية؛ فليس له القدرة على مجابهتها إلّا بتغيير المعالم الجغرافيّة والتّرحال عنها نازحاً هنا وهناك؛ غير مستقرّ ولا منيخ.

وقد كان وهو يسجّل هذه الأعلام الجغرافيّة ويدوّنها في قصيده؛ إنّما كانت حروفُها نفيسة غالية مذّخرة للجغرافيين بماء العسجد؛ ذلك لأنّ هذه الأعلام الجغرافية المتمثّلة في الأطلال؛ لقد حافظت على هذا التّراث والتّاريخ البعيد الضّارب في أعماق الماضي، وكانت بذلك قد أحاطت وصانت ألفاظا عربيّة شاعريّة، فكان للمعلّقات وهي تحافظ لنا على الأعلام الجغرافيّة أمر جلل، وقد اشترك فيها جميع شعراء المذهّبات بدون استثناء، فكلّ الأعلام الجغرافيّة من أماكن الطّلول تحكي أحداثاً متنوّعةً ومختلفةً للشّعراء وكلُّها تعبّر عن فراقهم وترحالهم وبينهم، كما حوت عاداتهم وتاريخهم التّليد "على أنّ جمال الفن يمكن له أن يمتزج بسحر الماضي، وهذا الامتزاج هو الّذي تنشأ عنه العظمة الفنّية في بعض الأطلال الكبرى، وسهولة هذا

[1] يوسف عليمات، جماليات التّحليل الثّقافيّ، الشّعر الجاهليّ انموذجا، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط01، 2004،ص133.

الامتزاج وثباته التّامّ على مدى العصور يدلّان دلالة قويّة على القرابة العميقة بين هذين النّمطين من الجمال، جمال الفنّ وجمال الماضي، ولا شيء يزيد شعورنا الفنّي قوّة وغنى كاتّحاد هذين النّمطين من الجمال في قطعة أثاث قديمة أو في أثر قديم مثلا...وسحر الماضي عنصر أساسيّ لا يمكن لأثر فنّي أن يستغني عنه إلّا في أحوال نادرة جدّا[1]"، والأكيد أنّ الطّلل من الماضي بالنّسبة للشّاعر بعد أن ظعن عنه وتركه و"يُقيمُ الشّاعر علاقة وثيقة بينه وبين الطّلل، فهو يتوسّل إليه لكي يتحدّث معه ويُخبره عن ارتحال القوم عن المكان، والشّاعر لم يلجأ إلى ذلك إلاّ ليبرز أنّ المكان جزءاً لا يتجزّأ من ذاته ووجوده ومصيره...ومن الجدير بالذّكر أنّ الشّعراء كانوا يُحيّون الطّلل بتحيّة الجاهليّة، وهذا رفعَ من شأن المكان ومنَحه صفاتٍ إنسانيّةٍ عميقة الدّلالات والأبعاد..."[2] ولذلك "إنّ الطّلل يتجلّى كالطّود الثّابت في وجدان الشّاعر العربيّ القديم منذ الجاهليّة وحتّى عصر التّجديد زمن العبّاسيين، والوقوف بين أحضانه لاستحضار طيف الحبيب غدا عادة لا محيد عنها"[3]، ورثاء الأعلام الجغرافيّة والبكاء عليها بشدّة وحزن عميق يختلف من شاعر لآخر، بل تختلف في قصائد الشّاعر نفسه و"لا شكّ أنّ أطلال معلّقة طرفة لا تصلح أن تكون أطلال معلّقة زهير، بل ولا تصلح أن تكون أطلال قصيدة أخرى لطرفة، لأنّ أطلال معلّقة طرفة هي رأس معلّقة طرفة، ولا تصلح أن تكون رأسا لغيرها، وكذلك قُلْ في الحدوج، والنّاقة وليس لكلّ شاعر ناقة، وإنّما لكلّ قصيد ناقة"[4] "كان للوقوف على الأطلال مدلول نفسيّ عميق، فهم يجسّة مأساة الجاهليّ أمام الزّمن وصراعه مع العدم...ولعلّ المدلول النّفسيّ للظاهرة الطلليّة في الشّعر الجاهليّ من أهمّ المداليل، لأنّها تسلّلت إلى الوعي العربيّ، واستقرت في وجدان الجماعة"[5].

"وقال آخر: تربة الصّبا تغرس في القلب حُرمةً وحلاوةً؛ كما تغرس الولادة في القلب رقّة وحفاوة، وقال آخر: أحقّ البلدان بنزاعك إليه؛ بلد أمصّك حلب رضاعه، وقال آخر: إذا كان

[1] عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص 111.

[2] المرجع السابق، ص 10.

[3] عبد الكريم عليّ الرحيوي، جماليات الأسلوب في الشّعر الجاهليّ، مقاربة نقديّة بلاغيّة في إبداع شعراء المدرسة الأوسيّة، عمان دار كنوز، ط 01، 2014، ص 18.

[4] محمّد محمّد أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ط02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة، ص ز.

[5] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، 1995، ص 150.

الطّائر يحنّ إلى أوكاره فالإنسان أحقّ بالحنين إلى أوطانه...وقال آخرُ: مَيلُك إلى مَولدك من كرم مَحْتِدِك، وقال آخر عسرك في دارك أعزّ لك من يسرك في غربتك[1]".

وقديما في العهد الجاهليّ؛ أغلب العرب إلّم نقل كلّهم لا يخرجون من شبه جزيرتهم، فهم يمكثون في كنفها حياتهم كلّها وبين أعلامها الجغرافية يرحلون ويتنقّلون شتاء هنا وصيف هناك، فمعروفة رحلاتهم وقد ذكرها الله عزّ وجل في سورة قريش فقال عزّ من قائل:﴿لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشّتاء والصّيف، فليعبدوا ربّ هذا البيت الّذي آمنهم من جوع وآمنهم من خوف﴾، فالمعالم الجغرافيّة لشبه الجزيرة مصدرُ عيشهم وجوهر حياتهم؛ ولذلك توطّنتهم وتوطّدت علاقتهم بها، سواء أكانت معلما جغرافيّا حيّا أم كانت معلماً ميّتا حيثُ "ترى الأعراب تحنّ إلى البلد الجدب والمحلّ القفر والحجر الصّلد، وتستوخم الرّيف[2]" وتعلّق العرب بالأعلام الجغرافيّة الّتي مكثوها وقطنوا بها؛ ليست صفةً تخصّهم وحدهم، فالإنسان بصفّة عامّة من النّاس جميعا يرتبطون بالأرض الّتي ولدوا وترعرعوا فيها، وليس من السّهل الظّعن عنها ما لم يكونوا مجبرين ومرغمين قسراً، " قال الله تعالى: ﴿ولو أنّا كتبنا عليهم أنِ اقتُلوا أنفسَكم أو اخرُجُوا من ديّاركم ما فعلوه إلّا قليل منهم﴾ وأوضح الله عزّ وجلّ: تعلّق النّاس الشّديد بديّارهم ومواطنهم، وهم يذودون عنها ذودا منقع النّظير فقال عزّ وجلّ:﴿ وما لنا ألّا نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديّارنا وأبنائنا﴾ وفي حبّ النّاس للأعلام الجغرافيّة قال أحدُهم "يحنّ اللّبيبُ إلى وطنه كما يحنّ النّجيب إلى عطنه[3]"، وإن أردت أن تعرف طباع النّاس وأخلاقهم وأصلهم فعليك بالتّعرّف على المعلم الجغرافيّ الّذي يقيمون فيه "وقال أحدهم "أرض الرّجل أوضح نسبه[4]".

وهكذا يفيض الصّدر ملء المشاعر تدفّقاً وإنّ "هذا التّصعيد في المشاعر هو ما يجعل من الطّلل كُتلة وجدانيّة، تنبُض عاطفةً، وترشُح مشاعراً مرهفةً"[5].

إنّ مغادرة النّاس للأعلام الجغرافيّة الّتي ألفوها؛ يترك في أرواحهم مَشّقة مُرهِقة؛ وألماً في النّفس شديداً، وقد يترتّب عن هذا عللاً وأسقاماً وأمراضاً؛ وربّما بلغ بِبعضهم أن يتعرّف على

---

[1] الجاحظ، مراجعة طاهر الجزائريّ، الحنين إلى الأوطان، مؤسسة هنداوي، 2017، ص07.

[2] المرجع السّابق، ص08.

[3] المرجع نفسه، ص09.

[4] المرجع نفسه، ص11.

[5] المرجع نفسه، ص160

تربة معلمه الجغرافيّ الّذي قطنه من رائحته الّتي اشتمّها فيه، فيستنشق به الإنعاش والحياة لتدبّ فيه الصحّة والسّعادة والسّرور، وكذلك الماء؛ وكلّ ما له علاقة بالمعالم الجغرافيّة الّتي سكنته ومن القِصص الّتي يتعاورُها النّاس مثلا "فقالت له بنت ملك الرّوم وقد عشقته؛ ما تشتهي ممّا كان فيه غذاؤك؟ قال: شُربةً من ماءِ دجلةَ؛ وشمّةً من تربة اصطخر؛ فغبرت عنه أيّاماً؛ ثمّ أتته يوما بماء الفرات وقبضةً من تراب شاطئه؛ وقالت: هذا من ماء دجلة؛ وهذه من تربة أرضك؛ فشرب واشتمّ من تلك التّربة؛ فأفاق من مرضه[1]".

وبهكذا كان العرب قديما يرفدون معهم تربة معالمهم الجغرافيّة إلى الأعلام الجغرافيّة الأخرى الّتي يرغبون في المكوث بها "وهؤلاء الأعراب مع فاقتهم وشدّة فقرهم، يَحِنّون إلى أوطانهم، ويقنعون بتُربهم ومحالّهم؛ ورأيت المتأدّب من البرامكة المتفلسف منهم إذا سافر سفراً أخذ معه من تربة مولده في جراب يتداوى به[2]"، وبذلك كان يعتمدون تربة معالمهم الجغرافيّة دواءً يستبشرون به علاجا لأمراضهم، بل وبها يبرءون فعلا ولا غرو في ذلك. ولأجل هذا كلّه "يحتلّ موتيف الطّلل مساحة واسعة في الشّعر الجاهليّ بحيثُ في الشّعر الجاهليّ قلّما نجد نصّا شعريّا يخلو ممّا أجمع النقّاد على تسميّته بالمقدّمة الطّلليّة... وافتتاح الشّاعر الجاهليّ نصّه الشّعريّ بالوقوف على الطّلل يُبرز للمتلقّي حقيقةَ الأُلفة والانسجام بينه وبين المكان، إذ يتحوّل المكان إلى ذاكرة حافظة للفعل الإنسانيّ وأثره في المكان"[3]، ولهذا فإنّ "المَطْلَعَ أوّلُ ما يواجه السّامع من القصيدة، وهو بهذا الاعتبار يحتلّ الأهمّيّة الأُولى من عناصرها، ولا بدّ أنّ الشّاعر يراعي ذلك، فهو بمثابة عنوان القصيدة أو المدخل الرّئيسيّ لها، ولذلك نلحظ أنّه يحشد فيه أجود ما لديه من معانٍ وحسن صيّاغة[4]"، والأعلام الجغرافيّة الطّلليّة أفكار كثيفةٌ وعميقةٌ لماضٍ واسع وجميل؛ فتترك في النّفس أثرا مُفعما بشذى الحنين، والشّعر مطابق لها في العمل والتّأثير "وكما أنّ الأطلال والآثار القديمة تمثّل صوّرا من حياة ماضية، وتثير في نفوسنا شعورا بجمال خاصّا لذلك، فكذلك الشّعر الّذي يصف هذه الأطلال والآثار، ويقدّم لنا صوّرها في تلافيف من أخبارها وأخبار الواقف عليها، وعلاقته بها، نقول هذا الشّعر يثير في

[1] المرجع نفسه، ص23

[2] المرجع السّابق، ص24

[3] يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافيّ، الشّعر الجاهليّ انموذجا، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط01، 2004، ص.133

[4] د. عبد الحليم حفنى، مطلع القصيدة العربيّة ودلالته النّفسيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1987، ص03

نفوسنا الشّعور ذاته بالجمال الّذي تثيره الأطلال والآثار، كما في شعر الوقوف على الأطلال عند العرب... ببقاياها الخربة وآثارها المتهدّمة تملك قوّة معجزة في إثارة الشّعور الفنّيّ[1]".

فالإنسان العاقل السّويّ الشخصيّة؛ السّليم الذّهن والعقل؛ الرّاجح الفكر؛ وذو القلب الخفّاق؛ تجده دائماً إلى معالمه الجغرافيّة الّتي ظعن عنها يرغب بشدّة في زيّارتها والعودة إليها من جديد، ومهما كرّر الزيّارة وأكثر لن يملّ ولن يرتوي منها ولن يشفي غليله منها؛ بل ويزجّه ذلك ويدفعه دفعاً إلى الرّجوع إليها مراراً وتكراراً "ولقد قالت العجمُ: من علامة الرّشد أن تكون النّفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها توّاقة، وقالت الهندُ: حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك، لأنّ غذاءك منهما وأنت جنين، وغذاءهما منه...وأولى البلدان بصبابتك بلد رضعت ماءه، وطعمت غذاءه، وكان يقال: أرض الرّجل ضئ" أؤكد لك أنّني كلّما زرت هذه الآثار شعرت بالرّضى؛ بل باللّذة الّتي كنت أشعر بها في كلّ مرّة سابقة؛ وما رجعت مرّة إلّا بفوائد جديدة لم أكن لأحصل عليها من قبل[2]".

ولا فرق في الأحاسيس بين من مَرّ على الأعلام الجغرافيّة الّتي غادرها حقيقةً في الواقع؛ والأعلام الجغرافيّة الّتي أوردها الشّعراء في قصائدهم وتأثّر بها جمهور المتلقّين نظرا لصدق مشاعرها وحقيقتها فهي تطوف بقلب القارئ لها دون أن تتوقّف وهي مشحونة جدّا بالحبّ المفعم والجمال المتدفّق "والآن حين أقرأ شعر الوقوف على الأطلال، وأمضي فيه، أحسّ هذا الشّعور ذاته ينبعث في نفسي شيئا فشيئا، وأحسّ إنّ هذا الشّعور يزداد قوّة وتأثيرا عندما أمرّ على صوّر الخراب والدّمار في هذا الشّعر[3]" وهذا امرؤ القيس وبعودتنا إلى معلّقته نجده يقول[4]:، وعندما تجوب الأعلام الجغرافيّة الماضية؛ فلن تنظر إليها بعينيك، بل تراها بعيني ودادك ومقلتي فؤادك "وفي الأرض مشاهد أخرى لعلّ من أشدّها أثرا في الحسّ والنّفس تلك الرّسوم الدّوارس، والرّبوع الخوالي، وما تخيّله للحسّ من صوّر الحياة الغابرة، ومن أشباح الأحياء الدّاثرة، فهي مشاهد للعين في الظّاهر، وللنّفس في الضّمير[5]".

---

[1] د. عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص112.

[2] أحمد لفي السيّد ، تأمّلات، في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع، مؤسسة هنداوي، 2012؛ ص15.

[3] عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص113 .

[4] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص42.

[5] السيد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، دار الشّروق، القاهرة، ط17، 2004، ص70.

والجمال في شعر الأطلال نشعر به ونحسّه ونلمسه بقلوبنا وعقولنا لمسا تنعشه الفطرة السّليمة والذّوق المجرّب المختبر و"نحن لا نعرف ماهية الجمال؛ ولا يهمّنا الآن البحث عن ذلك ما دامت تشعر به أنفسنا من غير تعريف منطقيّ...سواء أكان هذا الجميل مخلوقا حيّا أو جامدا أو فعلا من الأفعال الّتي تهزّ عواطفنا، أو معنى من المعاني الّتي تقع من النّفس موقع الجميل من الحسّ[1]" وكذلك "إنّ هذه الآثار الصّامتة تحدّث الّذي يعرف أن يسمعها، تحدّثه بأهل زمانها صادقة؛ كما قيل إنّ أصدق الكتب هو ما كتب بالحجارة[2]"، وأيضا "اعتمادا على أنّ الذّوق ليس في الكتب، بل يجب أن تمرّن النّفس على رؤية الجميل...يجد الإنسان آثار الجمال في الطّبيعة...يرى الجمال في الطّبيعة حيثُ أدار عينيه، يرى في الرياض جمالاً، وفي البحر الفسيح جمالا، بل يرى في الطّبيعة الجدوب والجبل الأقرع والصّحراء الجرداء جمالا من نوع خاصّ[3]" ، ومن لم يزر الأعلام الجغرافيّة الطلليّة الأثريّة فقد ضاع نصف عمره، وهو جاهل لا يعرف قيمة التّاريخ والآثار، "إنّ الوقت الضّائع هو ذلك الوقت الّذي يصرفه أبناؤنا وبناتنا المتروّضون في غير مواضع الآثار[4]" ، فالتّعرّف على الآثار وزيّارتها مهمّ وضروريّ، وإن ذكرته وتطرّقت إليه في شعرك، فهنا أنت إنسان مبدع وممتاز وذكيّ جدّا، وفي ذكر الآثار والدّيّار؛ **يقول امرؤ القيس**[5]:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل ... بسقط اللِّوى بين الدّخولِ فحوملِ

فتوضحُ فالمقراةُ لم يعفُ رسمَها ... لما نسجتها من جنوب وشمألِ

ترى بعرَ الأرامِ في عرصاتِه ... وقِيعانِها كأنّه حبُّ فُلفلِ

فامرؤ القيس في الأبيات ذكر هذه الأعلام واكتفى بذلك على أنّ هذه الأعلام الجغرافيّة الّتي ذكرها تعود إلى حياته الماضيّة الجميلة؛ وهو يحنّ إليها وإلى محبوبته ويطلب من رفيقيه الوقوف معه ليتذكّرا معاً مرابع تلك الحياة الجميلة الّتي خلت، فهو يحدّثنا عن مدى ألمه وحرقته وحسرته على الماضي الّذي انتهى ولن يعود؛ والّذي غدَا يُمزّقه شوقًا وحنيناً، فهو يمثّل صباه وشبابه وحياته فلابد أنّه راسخٌ في الذّهن مغروس في الذّاكرة لا ينساه أبدا، ثمّ انتقل

---

[1] المرجع نفسه، ص18.

[2] المرجع نفسه، ص19.

[3] المرجع السّابق، ص19.

[4] المرجع نفسه، ص 21.

[5] زهير مصطفى اليازجي، أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص14

الشّاعر يحدّثنا عمّا حدث لهذه الدّيّار الّتي هُجرت وكيف أنّها ما زالت آثارها باقيةً ولم تمحُها الرّيّاحُ الجنوبيةُ ولا الشماليّة باختلافهما عليها. "وبعد فهذه العناصر جميعا، تحدّثنا عن الماضي البعيد الّذي لن يعود، والاندثار الّذي يوحي بالفناء، والذّكرى اليائسة الأليمة، وعناصر غيرها أخرى قد مسحت شعر الوقوف على الأطلال بمسحة من الكآبة الصّائغة المحبّبة إلى النّفوس، وهذه العناصر تشترك جميعا، فتثير في نفوسنا حين قراءة هذا الشّعر شعوراً سائغا بالأسى والاكتئاب[1]" وإنّ "كلمة الشّرق تعني الاتّجاه الجغرافيّ الّذي تشرق منه الشّمس...وكلمة غرب تشير إلى الاتجاه الغربيّ الّذي تغرب فيه الشّمس"[2] وأمّا امرؤ القيس وكان قد تحدّث عن الأعلام الجغرافيّة الطلليّة؛ فأيضا حدّثنا عن الاتّجاهات الجغرافيّة حين تحدّث عن الرّيّاح الّتي دَرست الأعلامَ وهي تأتيها جنوباُ وشمالاً. فالحديث عمّا هو جغرافيّ تجاوز الأعلام المواضعيّة إلى ما يحدّد الاتّجاهات حيثُ إنّ "المفردات ذات الدّلالات الجغرافيّة مثل اعتبار أنّ الشّمس أمامك وأنت تقابلها أي أنّك تقابل الشّرق، وبذلك يكون كلّ ما هو يمينك يُمن، أي بلغة الجغرافيين الجهة الجنوبيّة، وكذلك فإنّ كلّ ما هو عن شمالك شمال أو بلغة الجغرافيين الجهة الشّماليّة، وبرسوخ هذا المفهوم في ذهنِ الإنسانِ ومن خلالِ خبرتِه يُمكنُه وبسهولةٍ أن يُحدّد وضعية الأشياءِ والأحداثِ ومعرفةِ السيّاق المكانيّ"[3]، ثمّ نقل لنا الشّاعر مشهدها إذ يقول:"انظر بعينيك ترى هذه الديّار الّتي كانت مأهولةً بأهلها مأنوسةً بهم خصبةَ الأرض كيف غادرها أهلُها وأقفرت من بعدهم أرضُها وسكنت رملَها الظّباءُ ونثرت في ساحاتها بعرُها حتّى تراه كأنّه حبُّ فلفل في مستوى رحباتها[4]".

وأمّا طَرَفَة بن العبد فنجده قد شبّه الأطلالَ "شبّهَ لمعانَ آثارِ ديّارها ووضوحِها بلمعانِ آثارِ الوشم في ظاهر الكفّ" حين قال في معلّقته:[5]

لخَولةَ أطلالٌ ببرقةِ ثهمدِ تلوحُ　　　كباقي الوشم في ظاهر اليدِ.

وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم　　　يقولون لا تهلك أسى وتجلّد.

---

[1] عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص116 .

[2] عبد الله حسين القاضي، مفهوم الاتجاهات الجغرافيّة في القرآن الكريم، تطبيقات ميدانيّة لأحداث رود ذكرها في القرآن الكريم والسيرة النبويّة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، علوم تصاميم البيئة، م 7، السعوديّة، ،2012، ص61/60.

[3] عبد الله حسين القاضي، مفهوم الاتجاهات الجغرافيّة في القرآن الكريم، تطبيقات ميدانيّة لأحداث رود ذكرها في القرآن الكريم والسيرة النبويّة، مجلّة جامعة الملك عبد العزيز، علوم تصاميم البيئة، م 7، السعوديّة، ،2012، ص 59.

[4] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص42.

[5] المرجع نفسه، ص42.

كأنّ حدوجَ المالكيّة غُدوةً خَلايَا سفينٍ بالنّواصفِ من دَدِ.

لقد كان للمعلم الجغرافيّ الطلليّ (ثهمد) جماليّة جذّابة ولفتة جميلة لأيّ متلقّي ذوّاق للّغة العربيّة، هي لفظة وإن كانت مَعلَماً جغرافيّا يُمثّل الكثير للشّاعر حيثُ فيه نشأ وعاش وكبُر، وقد آذاه فُراقه، فهو أيضا قد وهب القصيدة الشّعريّة شعريّتها؛ خاصّة وأنّه لقد ترك أثرا في نفس المتلقّي لِما لهذا المَعلم من جماليّة في الأصوات وتركيبتها، وهي لفظة (ثهمد) مميّزة؛ ولقد ميّزت القصيدةَ العصماءَ لطَرفةَ وحوّلتها إلى شيء منفرد معلوم، فكان لها وقع خاصّ جدّا في نفسية المتلقّي بعد أن أطربت أذنه ولفتت نُهيته ولبّه.

وإنّ البيت الثّاني من معلّقة طَرفة موجود أيضا بمعالمه الجغرافيّة في معلّقة امرؤ القيس ولم يكن اختلافهما إلّا في عروض البيت بين لفظتي تجمّل وتجلّد إذ امرؤ القيس يقول:

وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون لا تهلك أسىً وتجمّلِ.

كما نجد معلم آخر جغرافيّة تلاقى وتقاطع فيه طرفة مع امرؤ القيس وهو المعلم الجغرافيّ (حومل) الشّهير بمعلّقة امرؤ القيس فقد استعمله طرفة وسط القصيدة يقول:

مُؤلّلتان تعرف العتقَ فيهما كسامِعتي شاةٍ بحومل مفرد.

ومن هنا نجد أنّ الأعلام الجغرافيّة ليست حكرا على معلّقة دون الأخرى؛ كحومل الّذي إذا ذكرته؛ تذكّرت مباشرة امرؤ القيس دون طرفة، وهذا يدلّ على شيوع الأطلال لأنّها في مطالع المعلّقات أكثر من المعلم المذكور في عمق المعلّقة ولذلك حومل معلوم عند امرؤ القيس وأمّا طرفة فالمعلوم عنده هو: ثهمد.

وأمّا زهيرُ فقد شبّه الأطلالَ الّتي كانت أيضا أعلاما جغرافيّة لها وقعتها في النّفس وقد هزّت المشاعر وحرّكتها رجّا عظيما، ولقد مزجت أفكار الشّاعر وأحاسيسه مع أفكار القارئ المتلقيّ وأحاسيسه، فكانت بينيّة بين أفكار متنوّعة نتج عنها أثر لكلا الطرفين من الشّاعر وقارئيه المتفاعلين لَهَبَ المشاعرَ جمالا وانتباها وطربا واستحسانا؛ ونجده "شبّه رسوم دارها فيهما[1] بوشم في المعصم قد ردّد وجدّد بعد انمحائه" في قوله:[2]

أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلّم بحومانة الدرّاج فالمتثلّمِ.

ودارٌ لها بالرَّقمتين كأنّها مراجيع وشم في نواشر معصم.

[1] المرجع السّابق، ص 22.

[2] المرجع نفسه، ص 38.

بها العين والآرام يمشين خلفة　　　وأطلاؤها ينهضن من كلّ مجثم.

وقفت بها من بعد عشرين حجّة　　　فلأيا عرفت الدّار بعد توهّم.

أثافيَّ سُفعا في مُعرَّس مِرجلِ　　　ونُؤيا كجِذمِ الحوض لم يتثلّم.

يبدو جليّا تأثير هذه المعالم الجغرافيّة في نفسيّة الشّاعر، وهي معبّأة بمشاعر الحزن والألم والشّوق والحنين، ونلحظه قد صنع ما صنعه أقرانه من الشّعراء حين أثّرت فيهم الأعلام الجغرافيّة ودفعت بهم باعثا لقول الشّعر فقد وقف على الأطلال كما وقف امرؤ القيس ووقف أيضا طرفة بن العبد إلّا أنّه وطرفة لم يبكيا.

وأمّا الحارث بن حلّزة يصوّر الأطلال و روحه تتمزّق حزنا وتتقطّه إربا من فُراقه؛ القريبة من وداده؛ محبوبته أسماء إذ يقول:

آذنتنا ببينها أسماءُ　　　رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثّواءُ.

بعد عهدٍ لنا ببُرقة شمّا　　　ء فأدنى ديّارَها الخلصاءُ.

فالمُحيّاة فالصّفاحُ فأعنا　　　قُ فَتاقٍ فعاذبٌ فالوفاءُ.

فرياضُ القطا فأدوديّة الشُّر　　　بُبِ فالشُّعبتان فالأبلاءُ.

لا أرى من عهِدْتُ فيها فأَبكي اليـ　　　ومَ دَلْهاً وما يُحِيرُ البكاءُ.

وقد تضمّنت هذه الأبياتُ الخمسةُ فقط اثني عشرة معلما جغرافيّا، فواضح جدّا وجليّ اهتمام الشّعراء بالأعلام وأسماء الأماكن الّتي عرف أهميّتها وقيمتها في نقل أحاسيسه ومشاعره واختصار لحياته الّتي عاشها بها فهي عنوان الحبّ والتّعلّق والحنين لهذه الأعلام الجغرافية بل ذِكرُ اسم علم واحد من الأعلام يشكّل عنوان القصيدة ومدخلها الرّئيس الّذي تشعّ منه هذه الحياة، وقد بدا جليّا في استعمال الشّعراء لألفاظٍ هي نفسُها اشتركوا فيها ممّا جعل المعلّقات متداخلة في كثير من الأفكار والمعاني وأخبار ماضي العرب واشتراكهم في الأحاسيس ونقل الأعلام الجغرافيّة الّتي تبادلوا فيها مكارم العيش واختلفوا على هذه الأمكنة بالمكوث والاستقرار وقد قطنوا بها طويلا قبل تغييرها ونذكر من ذلك قول عنترة بن شدّاد:[1]

هل غادر الشّعراء من متردّم　　　أم هل عرفت الدّار بعد توهّمِ.

يا دار عبلة بالجواء تكلّمي　　　وعمي صباحا دار عبلة واسلمي.

[1] عنترة بن شداد، الدّيوان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط03، 2002، ص05 ، ينظر أيضاً: أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص42.

دار لآنسة غضيض طرفها   طوع العناق لذية المتبسّمِ.

فوقفت فيها ناقتي وكأنّها   فدن لا قضي حاجة المتلوّمِ.

وتحلّ عبلة بالجواء واهلنا   بالحزن فالصمّان فالمتثلّمِ.

ويشارك في ذلك النّابغة الذّبياني إذ يقول:[1]

يا دار ميّة بالعلياءِ فالسّندِ   أقوت وطال عليها سالف الأبدِ.

ونجده في واحد من هذه الأبيات يشارك زهير بن أبي سُلمى في لفظة المتثلّم فقد ذكر هذا المكان زهير بن أبي سلمى في أول القصيدة حيثُ يقول:[2]

أَمِ أُمٍّ أوفى دِمنةً لم تكلّمِ   بحومانة الدّراجِ فالمتثلّمِ.

وأمّا عنترة بن شداد فقد ذكره في قوله:[3]

وتحلّ عبلة بالجواء وأهلنا   بالحزن فالصمّان فالمتثلّم.

ومن خلال البيتين للشّاعرين نُدرك يقينا أنّ المواضعَ كلّها متقاربة من حومانة الدرّاج والجواء وكذا الحزن والصمّان فالمتثلّم، وأنّ حومانة الدّرّاج حتّى وإن لم يذكره عنترة إلّا أنه قد مرّ بالمعلم الجغرافيّ أو بالقرب منه غير بعيد عنه وأنّ هذه الأعلام الجغرافيّة لقد قطن بها العربُ جميعًا بالتّدوير والتّداول، ولذلك هم جميعا يعرفون هذه الأعلام الجغرافية إلّا قليلٌ منهم؛ ولهذا استحسنوها في الشّعر وراقت لها نفوسُهم؛ مرتاحين لها؛ مطمئنين ومتفاعلين وقد امتزجت بروحهم. وإنّ ذكرُها يبعث فيهم السّرور ويُطفئ نار الحنين و لهيب الشّوق.

وما ميّز شعراء المعلّقات وهم يتحدّثون عن الأعلام الجغرافيّة الطّليليّة هو: وقوفُهم عندها، فامرؤ القيس[4] يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدّخول فحومل.[5]

ويقول أيضاً:

وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم   يقولون لا تهلك أسى وتجمّلِ.

---

[1] زهير مصطفى اليازجي، أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ،2005م، ط01، ص128.

[2] المرجع نفسه، ص42.

[3] المرجع السّابق، ص71.

[4] أبو عبد السّلام الإدريسيّ، تحليل من انموذج الشّعر الجاهليّ، كلية متعددة التخصصات، الناظور. وحدة الشّعر القديم، 2015/2014، ص04.

[5] زهير مصطفى اليازجي، و أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص14.

وطرفة بن العبد يقول[1]:

وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون لا تهلك أسى وتجلّدِ.

وزهير بن أبي سلمى يقول:

وقفتُ بها من بعد عشرين حِجّة فلأيا عَرفتُ الدّارَ بعدَ توهّمِ[2].

ولبيد بن ربيعة يقول[3]:

فوقفتُ أسألُها، وكيف سؤالنا صمّا خوالد ما يبينُ كلامُها.

وعمرو بن كلثوم يقول[4]:

قفي قبلَ التفرّق يا ظعينا نخبّرك اليقينا وتُخبرينا.

قفي نسألك هل أحدثت صرماً لوشك البين أم خُنتِ الأميناَ.

وعنترة بن شدّاد يقول[5]:

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنّها فدنٌ لا قضي حاجةَ المتلوّمَ.

والنّابغة الذّبيانيّ يحدّثنا عن الطّلول في البيت الثّانيّ يقول[6]:

وقفت فيها أصيلا كي أُسائلها عيّت جواباً وما بالرّبع من أحدِ.

وللفظة الوقوف مركز أساس في الشّعر العربيّ وبؤرةٌ بارزةٌ كالشّمس؛ وكثيرا ما شكّلت مفتاحا للقصائد مذ العصر الجاهليّ إلى يومنا هذا فكان لها صدا قويّا مدويّا يعبّر عن أغوار نفس الشّاعر الغامضة والمظلمة، "وتلك كلمةٌ، قد ولّدت تراثاً ممتدّاً من الوقوف، منذ امرؤ القيس إلى العصر الحديث، إذ يقف إبراهيم ناجي مثلا على البحر مستهّلاًّ: قلتُ للبحر إذ وقفت مساءً وما كان لها ذلك محض تقليدٍ لفظيٍّ، وإنّما هي سطوة الكلمة الشّعريّة، بما تكتنزه من طاقة دلاليّة، تترك آثارها في ذاكرة الوعي، أو اللّاوعي لأجيال من الشّعراء"[7] ، ولفظة الوقوف توحي أيضا أنّ الشّعراء قد كانوا في حالة حركة وسير مارّين على الأعلام الجغرافيّة

---

[1] طرفة بن العبد البكريّ، الدّيوان، شرح يوسف الأعلم، بيروت دار صادر، 1900، ص، 54.

[2] المرجع نفسه، ص42.

[3] المرجع نفسه، ص55.

[4] المرجع نفسه، ص90.

[5] المرجع السّابق، ص.72.

[6] المرجع نفسه، ص.128.

[7] عبد الله بن أحمد الفَيفي، مفاتيح القصيدة الجاهليّة، قديّة جديدة، عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا، عالم الكتب الحديث، 2014، إربد، الأردن، ط01. ص32.

الّتي قطنوها قديما ثمّ أجبرتهم على الوقوف عندها تذكّرا لحياتهم العابرة في الأيّام الخوالي "دأبَ شعراءُ الجاهليّة على بدْء قصائدهم بالوقوف على الأطلال، وذكر الحبيبة الّتي رحلت، ووصف ما ألمّ بهم من حُزن، وتصوير الشّوق والحنين إلى الأيّام والخوالي، حين كان الشّمل مجتمعاً"[1].

تميّز الشّعر في العصر الجاهليّ بذكر الأعلام الجغرافيّة الّتي قطنها الجاهليّ، وكانت مزيجات مع ذكر الحبيبة للتذكّر" هكذا كان الشّاعر العربيّ، حتّى في أثناء حبّه، فارسا جبّارا، ومن الإحساس بالمكان ووطأته خرج الشّعور المزدوج عند الجاهليّ"[2].

كما وقد جاءت معلّقةُ عبيد بن الأبرص تزخر حافلة بالأعلام الجغرافيّة؛ فعدّد مواضعاً كثيرة مختلفة فهو يقول[3]:

أَقفرَ من أهلِه ملحوبُ فالقُطَبِيّات فالذَّنوبُ.

فراكس فثُعالِبات فذاتُ فرقين فالقَليبُ.

فعردةٌ، فقَفا حِبرّ ليس بها منهمُ عريبُ.

وبُدِّلت من أهلها وُحوشًا وغيّرت حالها الخطوبُ.

عيناك دمعُها سَرُوبُ كأنّ شأنيهما شَعيبُ.

واهية أو معينٌ مُمْعِنٌ من هضبة دُونها لُهُوب.

فجمالُ ألفاظِ المواضع للأعلام الجغرافيّة بمسمّياتها الّتي تحوّلت بفضل الشّعر الّذي أشهرها إلى أعلامٍ؛ زادت النّصَ رونقا وزينة؛ لأنّها ألفاظٌ جديدةٌ على الأذن وإن كانت عربيّة؛ فهي لم تكن أعلاما وإنّما مجرّد أسماء لأماكن ثمّ باستقبال النّاس الجمهور المتلّقين لها واستحسانها وتعلّقهم بها ملكت هذه الألفاظ ولبِست سحرا جماليّا فعّالا وأصبحت قلبَ النّص الشّعريّ؛ فلقد حوّل شاعرنا أسماءً مغمورةً مجهولةً -لا يعرفها إلّا أهلُها فقط - إلى أعلامٍ بمعان عربيّة يدرسها علمُ الأعلام المواقعيّة أو الطّوبونيميا وغيرها من العلوم.

وإنّ الأعلام الجغرافيّة الطّلليّة جاءت مقرونة بذكر المرأة؛ فرءوس المعلّقات ومطالعها كلّها مزيج بين الأعلام الجغرافيّة والنّساء؛ وربّما يعود ذلك إلى حبّ الشّاعر الكبير وولهه بالنّساء،

[1] زهير مصطفى اليازجي، أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص54.

[2] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص 73.

[3] زهير مصطفى اليازجي، أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص140.

فهو لا يفرّق بين الأزهار والنّساء، بل في مَعلمٍ جغرافيّ واحدٍ يرى نساءً كثيراتٍ، فلا غرو إذًا أن نجدَه مشحوناً معلّقته بهما في الاستهلال "وليست المرأة أخيرا كياناً خاصّا مستقّلاً، إنّها جزء من لوحة الصّحراء وإطارها، وبالتّالي جزءٌ مكمّلٌ للمكان، فقد تعامل الجاهليُّ بعامّةٍ، مع المرأة التّمثال، أي المرأةُ الّتي يتصوّرها في خياله، فجاءت على شاكلة واحدة عند كلّ الجاهليين، لقد فصّل ثوباً ألبسَهُ كلَّ النّساء، ولم يُفصّله على مقاسِ امرأةٍ واحدةٍ"[1].

إنّ الهدف والغاية من استهلال المعلّقات جميعها بالتّصريع؛ إنّما يعود لسبب واحد؛ وهو التّأثير في المتلقّي تأثيرا مُزلزلا يُلفت انتباهه؛ كما أنّه يصنع له طرباً في صدره وانشراحا في قلبه؛ وولعةً في أوصاره؛ وحبّ يتدفّق في نواشره، وهو الأمر نفسُه يُقال عن الشّاعر حين استهلاله قصائده الطّويلة جدّا بالوقوف على الأطلال، ولهذا فالجمع في الاستهلال بين التّصريع والأطلال المعالم الجغرافيّة؛ هو جمعٌ يروقُ جميعَ النّاس من السّامعين، وهو يجمع أيضًا بلهفٍ أحاسيسَهم وعواطفَهم كلّها. ولم يكن مطلقا جمعا اعتباطيّا أو عبثاً. وكانت الأعلام الجغرافيّة في مستهلّ القصائد الطّوال كالهلال توحي ببداية شهر جديد يتجاوز ستّين بيتا؛ وقد كانت كذلك كالمفتاح الّذي إن لم يكن بين يديك فلن تدخل بيتاً؛ وكذلك "كانت هذه الأطلال تقوم بوظيفة المُلهم، والمُرشد والمُبدع للشّعراء الّذين وقفوا عليها، والّذين لم يقفوا عليها، حتّى يستدرّوا مواهبهم الشعريّة ويستثمروا إحساسهم الفنّيّ، ثمّ إنّ هذه الأطلال كانت في الوقت نفسه، قناعا فنيّا يسقط الشّاعر عليها جملة أحاسيسه، ويتّخذها ستارا لمواضيعه"[2] ؛ ولذلك جاء الطّلل كثيف المعاني وغزير الأفكار يتصبّب شوقا وحنينا "ومن هذا الموقف فإنّ الشّاعر يكون مُهيّئا نفسيًّا للتّعامل مع ما هو موروث بطريقة غير عدائيّة، لا سيّما حين يجد مشاعره وأحاسيسه مرتبطةً بذلك الإنسياق الوجدانيّ الّذي يُمليه موضوع الطّلل...فموضوع الطّلل إذن من الموضوعات الحافلة بمختلف الإيحاءات والرّموز والدّلالات النفسيّة"[3]، فالبدايات دائما تكسوها النّعومة والرّطوبة والحلاوة والحفاوة وحسن الاستقبال؛ ولذلك قيل في أمثالنا الشعبيّة الشّائعة: **الخطّاب يأتي رطّاب**، وهذا ما كان يُدركه الشّاعر يقيناً لما تحتويه الأعلام الجغرافيّة الطّلليّة من هذه المعاني جميعاً، وهو يفتتح قصائده لجمهوره بالأعلام الجغرافيّة المختلفة من مساكن هجروها من قبل ولم تبق منها إلّا الآثار"ومنه القول بضرورة

---

[1] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص162.

[2] بوجمعة بوبعيو، جدلية القيّم في الشعر الجاهليّ ، رؤية نقديّة معاصرة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 37.

[3] المرجع نفسه، 2001،ص52.

جمال الابتداء، وجمال الانتهاء في القصيدة، أي براعة الاستهلال وبراعة الخاتمة، والحجّة في ذلك هو أنّ الابتداء هو أوّل ما يصل إلى السّماع، فإذا كان جميلا انساق فيه، وابتهج وأخذ يُصغي بشوق إلى ما يأتي بعده[1]"؛ ويشترك الشّاعر ويتقاسم وجمهوره في الأعلام المهجورة الحنين الشّديد الّذي فجّر كبديهما؛ ومزّق قلبيهما، وكوى عقليهما؛ وضيّق صدرهما وأسر وجدانهما "ويبدو لي أنّ هذا الحنين الّذي يشعر به الإنسان في دار الحبيب، بعد أن خلت هذه الدّار من الحبيب، هو الأصل وهو السّر العميق في نشأة شعر الوقوف على الأطلال، والبكاء عليها في الشّعر العربيّ القديم...إنّ هذا الحنين هو الأساس الّذي يقوم عليه شعر الوقوف على الأطلال في الحقيقة، لأنّ هذا الشّعر مرتبط بشعر الغزل، ومتّصل به دائما في الأدب العربيّ[2]".

وقد تضمّنت الأعلام الجغرافيّة في مستهلّ العلويّات الشّعريّة التّاريخيّة الكثير من المعاني حيثُ إنّ "المعاني الّتي أتى بها شعراء العرب في الجاهليّة في شعر الوقوف على الأطلال ليست بكثيرة، ويمكننا في سهولة ويسر أن نستقصي هذه المعانيّ، ثمّ نضع لها ثبتا إحصائيّا إن لم يكن تامّا كلّ التّمام فهو أقرب إلى التّمام...وقد عرض الآمديّ لهذا الأمر في كتاب الموازنة بين أبي تمّام والبحتري في كتاب (فن الابتداء)، أي فن ابتداء القصيدة... ذكر هذه المعاني كما في التّصنيف الآتي:

01- الابتداء بالوقوف على الأطلال.

02- التّسليم على الدّيار.

03 - تعفية الأزمان والدّهور للدّيار.

04 - إقواء الديّار وتعفيتها.

05 - تعفية الديّار للريّاح.

06 - في البكاء على الديّار.

07- في سؤال الديّار واستعجامها عن الجواب.

08 - فيما يخلف الظّاعنين في الديّار من الوحش وما يقارب معناه.

09- فيما تهيجه الديّار وتبعثه من جوى الواقفين بها.

---

[1] أودونيس ، الشّعريّة العربيّة، دار الآداب، بيروت، ط01، 1985، ط02، 1989، ص27.

[2] د. عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص06.

10 – في الدّعاء للدّيار بالسّقيا والخصب والنبات.

11 – في لوم الأصحاب في الوقوف على الديّار.

12 – أوصاف الدّيار ووصف أطلال الدّيّار وآثارها[1]".

وبلغ بأصحاب المعلّقات وقد برعوا براعة سامقة في رسم الأعلام الجغرافيّة والديّار المهجورة ونقل إحساسهم تُجاهها وقد "استطاع بعضُ الشّعراء أن يصل إلى درجة إعطاء الدّيّار نفحة الرّوح، والقدرة على الكلام[2]" والأحاسيس الجيّاشة لدى الشّعراء وهم يعبّرون بلسان أقوامهم؛ يشحنها ويعبّؤها سيرُهم بالأعلام الجغرافيّة ومرورُهم عليها فيتذكّرون مرابعها وكذا سمرهم فيها حيثُ " كان العربُ يمرّون في أسفارهم ورحلاتهم بالدّيار الّتي هجروها، فيرون الحيوانات تسرح وترتع في الأماكن الّتي عمروها هم في الأيّام الماضية، وقضوا فيها شطرا من حياتهم، يرونه عزيزا غاليا، فكان ذلك يؤلمهم ويُثير في نفوسهم ذكريات حلوة جميلة[3]" وقد عبّروا عن سبب تآكل واندثار ديّارهم وأعلامها الجغرافيّة و وكذا ما آلت إليه ودرسها؛ وقد أرجعوه إلى تعاقب اللّيالي وطول الزّمن و"أمّا تقادم العهد ومرور الزّمن فقد جعله الشّعراء سببا لخراب الدّيار في شعر الوقوف على الأطلال،...وأما حوادث الطّبيعة فقد جعلها الشّعراء سببا أيضا لخراب الدّيّار[4]"، وكلّ هذا يوضّح بجلاء قوّة الاعلام الجغرافيّة المهجورة وأثرها الكبير في نفسيّة الشّاعر ممّا دفعت به وزجّته لقول الشّعر وينفجر بقصيدة طويلة يكاد لا يتوقف عن القول فيها بسسببها " ما يعني الوقوف بسبب من الأطلال؛ وهذا يدلّ على خضوع الشّاعر للمشهد؛ فقيامه بهذا الفعل لايومئ إلّا بفاعليّة مؤثّرة بل إلى فاعليّة متأثّرة[5]".

المياه (الهيدرونيم)

- **الهيدرونيم (HYDRONYME)**: أسماء الأماكن الّتي لها علاقة بالماء مثل: عين، بئر، واد، منبع، نهر، حمام....

---

[1] عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص20/19

[2] المرجع نفسه، ص20.

[3] المرجع السّابق، ص56.

[4] المرجع نفسه ،ص51/50.

[5] سعد حسن كمّوني، الطّلل في النصّ العربيّ، دراسة في الظّاهرة الطلليّة مظهرا للرّؤية العربيّة، دار المنتخب العربيّ، بيروت، لبنان، ص 57.

الحمد لله أن جعل الماءَ أساسَ الوجودِ، ومن الماء الّذي نزل من السّماء جعل لكلّ ما في الكون من أسماء سموّاً ورفعةً وحياةً، فلا حياة دون ماء، ونظرا لأهميّته جعله اللّه ينبجس من الأرض بأشكالٍ شتّى عيونا ومنابعا وآبارا وأودية وبحارا، بل إنّ المياه تشكّل ما يقارب ثمانين بالمائة(80٪) من الأرض، ومن السّماء بالمثل فهو يتنازل بطرق مختلفة أيضا؛ ماءً ومطرا وغيثا وثلجاً وبَرَداً، ورغم كلّ هذا يعاني النّاس نُدرته وقلّته ومعظم الحروب كانت بسببه وخاصّة في القديم، الماء وما أدراك ما الماء، ولذلك جاء في حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلم "مَرَّ بسعد وهو يتوضّأ، فقال ما هذا السّرف يا سعدُ؟ قال: في الوضوء سرفٌ؟ قال صلّى الله عليه وسلم : نعم و إن كنت على نهرٍ جارٍ"[1].

للماء أهميّة جلل وقد "أكّد الله سبحانه وتعالى في الآية 30 في سورة الأنبياء ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون﴾ على دور الماء في وجود الحياة وديمومتها، ومن الظّاهر هنا أنّ كلمة جعل هنا بمعنى خلق لأنّها متعدّية لمفعول واحد"[2]، ويدلّ على ذلك قوله تعالى في سورة النّور ﴿ والله خلق كلّ دابّة من ماء﴾.

وتأتي أهميّةُ الماءِ أيضاً في قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجُرز فنخرج به زرعا تاكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ سورة السّجدة الآية27 ...(إلى الأرض الجرز) أي الّتي لا تمطر إلّا مطرا لا يغني عنها شيء إلّا ما يأتيها من السيّول، وورد عن الأرض الجرز الّتي ليس فيها نبت وأيضا الّتي ليس عليها شيء وليس فيها نبات...أي الأرض الجرداء"[3].

لا يوجد معلمٌ جغرافيّ واحد يمكنه الاستغناء عن الماء؛ وإلّا فهو معلمٌ ميّتٌ لا حاجة للإنسان به، والماء بين الأعلام الجغرافيّة مختلفةٌ كَمّيّتُه، فهو هنا كثير يتصبّب ويتدفّق فائضا وهناك قليل ونادر؛ ومنابعه عاجزةٌ شحيحةٌ؛ ويحدث هذا خاصّة في الصّحراء لذلك خلّف العديد من النّتائج لدى أهلها حيثُ إنّ "الماء في مثل الصّحراء هو حقّاً خير شيء وأنفس عناصر الطّبيعة وسط الصّحاريّ الجافّة الّتي قدّرت لسكّان الجزيرة...وكانت هناك الهجرات

---

[1] الراوي: عبد الله ابن عمرو، المحدّث: أحمد شار، تخريج المسند لشاكر، إسناده صحيح، ص23.

[2] جوانب من الفكر الجغرافي في القرآن الكريم، مجلة البحوث الجغرافيّة، العدد العاشر، أد علي صاحب طالب الموسوي، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، ص61.

[3] علي صاحب طالب الموسوي، جوانب من الفكر الجغرافي في القرآن الكريم، مجلة البحوث الجغرافيّة، العدد العاشر، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، ص63.

الّتي ينسبها بعضهم إلى العوامل الطّبيعيّة، ولكن التّاريخ القريب من الإسلام يدلّ على أنّ هناك عوامل أخرى حملت النّاس على ترك مواطنهم، وفي مقدّمتها الغزو والفتن وتغيير الطّرق التّجاريّة أو انقطاعها إلى حين، وعدم قيّام حكومة قويّة ترعى الأمن"[1].

إنّ الماء أساس الحياة وركن الكون وإنّ "الماء هو أحد الموارد الطّبيعيّة المتجدّدة على كوكب الأرض، وأهمّ ما يميّزه كمركّب كيميائي هو ثباته، فالكميّات الموجودة منه على ظهر الأرض هي نفسها منذ مئات السّنين، ويقدّر الحجم الكلّي للماء بحوالي 13

مليار متر مكعّب 97 % من هذا الحجم موجود في البحار والمحيطات، و 02 % مجمّد في الطّبقات الجليديّة. والمياه المالحة تمثّل المصدر الرّئيسيّ للمياه العذبة، وذلك عن طريق الدّورة الهيدرولوجيّة للماء"[2] فلا غنى للأرض عنه.

ممّا ليس فيه شكّ هو أنّ الشّاعر الجاهليّ على اطّلاع عميق وكثيف بكلّ خبايا طبيعته فأحبّها وشغف بها فهو على دراية بكلّ ما في بيئته وطبيعته؛ وهو أدرى بما في شعاب أرضه من وديان وجداول وعيون ومنابع المياه ذلك لأنّه على يقين تامّ بأهميّتها الجليلة والعظيمة؛ وإدراكه الواسع بحاجته إليها؛ له ولأهله وغنمه وإبله؛ فلا غرو ولا عجب أن نجد بأنّ الشّعر قد زخر بكلّ هذا ممّا هو من عناصر الطّبيعة جميعا؛ وخاصّة ما تعلّق بالماء الّذي هو الحياة وإذ بدونه لا يوجد حياة؛ وبعد كلّ هذا؛ إنّ للماء تأثير كبير جدّا في النّفوس فخريره يرقّ المشاعر ويشرح الصّدر ويبعث الأمل وينشر الحياةو ينعش الرّوح.

وجاءت المعلّقات الجاهليّة الشّعريّة الطّويلة الكبيرة تفيضُ ماءً حيثُ "تتألّف هذه المعلّقة الكبيرة من ثلاثةِ عناصرٍ رئيسيّةٍ، ينطوي كلّ عنصر منها إلى عناصر؛ أو فلنقل إلى أجزاء أخرى فَرْعِيّة تمتزج جميعاً وتتآلف في موضوع فنّي جماليّ متكامل: يطرح موضوع الماء بتمثّلاته الفنيّة والرّمزيّة المختلفة في النّثر والشّعر من خلال مقولة أساسيّة هي: صراع الجاهليّ من أجل الحياة، كما تمثّلت في وجدانه من خلال مواقف وعقائد وتقاليد"[3] فالماء له ذوق خاصّ، ولذّة فريدة، ومسلكُه ودَربُه ومجراه في الحنجرة والحلق منبسطٌ سلسٌ وسريع؛ يعرف غايته ومصبّه بدّقة عجيبة؛ فهو علاج وشفاء للجسم والرّوح، به تنمو وتسمو المُهجة

---

[1] إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهليّ، رفعُ عبد الرّحمان النّجديّ، دار الطّليعة بيروت، لبنان، ط01، 1979، ص26.

[2] سامر مخيمر، خالد حجازيّ، أزمة المياه في المنطقة العربيّة، الحقائق والبدائل الممكنة، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهريّة ثقافيّة يصدرها المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب ، الكويت، 1996، ص 07.

[3] ثناء أنس الوجود، رمز الماء في الأدب الجاهليّ، الناشر مكتبة الشباب، ص د، 06.

ويتّسع الصّدر وتقوى العضلات، الماء ينفجر من الأرض ويهطل من السّماء" فالماء عماد الحياة في الصّحراء القاحلة الشّحيحة بالقوت، تتبع القبائل مصابَ الغيث زمن الرّبيع، وتتلاقى عند أماكن تجمعه حيثُ تتفجّر الحياة من موات الأرض وتسود الطّمأنينة والدّعة، ويتصادق أفراد القبائل المجتمعة حول الماء وتنموا أواصر حبّ بين الشّباب والفتيات، ثمّ يأتي اليوم المحتوم الّذي لا مهرب منه ولا محيص عندما ينضب الماء أو يكاد، وتأخذ معالم الحياة في الخفاء، فتتزّق القبائل كلّ في طريق، وتنطوي قلوب المحبّين على ألم ممضّ، ويمضي حينٌ من الدّهر، ويمرّ المحِبّ (الشّاعر) بالمكان الّذي استمتع بلذّة الحبّ فيقف يتأمّل أطلاله"[1]، وقد غنيت المعلّقات بذكرِ الكثير من الأودية، وقد ذُكرت بمعانٍ مختلفةٍ كالوادي والجواء فعنترة بن شدّاد يقول:[2]

يا دارة عبلة بالجواء تكلّمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي.

ولقد اغتنت شبه الجزيرة العربيّة منذ القدم بالماء حيثُ "تُعتبر المياه الجوفيّة من أقدم الموارد المائيّة في المملكة، والّتي يعود تاريخ الاعتماد عليها إلى فجر التّواجد البشريّ في شبه الجزيرة العربيّة، وخاصّة في مناطق الواحات والرّوضات، والأودية والمنخفضات، ومناطق الأفلاج، والّتي غالبا ما ساهمت في التمركز البشريّ البدائيّة، بل وامتدّ دورها حتّى يومنا هذا[3]"

يقول عنترة بن شدّاد[4]:

يا دارَ عبلةَ بالجواءِ تكلّمي وعِمِي صباحاً دارَ عبلةَ واسلمِي.

والجواء جمع جوّ؛ وهو الوادي الّذي توجد به دار عبلة والشّاعر يخاطبها وقد ذكرها أكثر من مرّة مثل قوله[5]:

وتحلُّ عبلةً بالجواءِ وأهلُنا بالحـزْنِ فالصمّانِ فالمتثلّمِ.

---

[1] أبو عبد السّلام الإدريسيّ، تحليل من أنموذج الشّعر الجاهليّ، كلية متعددة التخصصات، الناظور. وحدة الشّعر القديم، 2015/2014، ص04.

[2] زهير مصطفى اليازجي، و أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص72.

[3] محمّد الخزامي عزيز، نظم المعلومات الجغرافيّة، أساسيات وتطبيقات للجغرافيين، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندريّة، 1998، ص278.

[4] زهير مصطفى اليازجي، و أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، ص72.

[5] المرجع نفسه، ص72.

والملاحظ في معلّقة عنترة بن شدّاد أنّه لم يذكر لفظة الوادي وإنّما كان بمرادفها هذا (الجواء) وقد استعمل امرؤ القيس هذا اللّفظ نفسه إذ يقول[1]:

كأنّ مَكَاكيَّ الجواءِ غديّةً صُبِحن سُلافا من رحيقٍ مُفلفلِ.

وأمّا الوادي فقد ذكره امرؤ القيس مثل قوله:[2]

ووادٍ كجَوْفِ العيرِ قَفرٍ قَطَعتُهُ به الّذيبُ يعوي كالخليعِ المعيّلِ.

ونجده قد صوّره تصويرا ولأروع حتّى تشتاق أنت لرؤيته وتتمنى ذلك لكأنك تعرفه أكثر من الشّاعر نفسِه، وهذا يوحي لجمالية لغتنا العربيّة وجمال أعلامها الجغرافية الّتي تزيّنت بالألفاظ الجذّابة المعبّرة عنها والّتي هي بدورها أشعلت نور الأبيات وما بينها وما في داخلهما " فالشّاعر إذا ما وقف على الأطلال، يطالعنا بما هو مدهش ومثير للتّأمّل"[3].

والشّعر الجاهليّ شعرٌ متماسك ومتراصّ؛ وهو في مدى بعيد المنأى وجميل من الاتّساق والانسجام؛ فهو غير مفكّك ولا مشتّت، بل إنّه في منتهى التّرتيب والتّنظيم، ولذلك لا يمكن أن ننظر إليه من هذا الجانب كما "نظر بعض الدّارسين إلى موضوعات الشّعر نظرة تجزيئيّة، تجعل من الشّعر الجاهلي وحدات منفصلة غير متّصلة،... تحسّ من خلال ذلك أنّ الشّاعر الجاهليّ مختلّ التّفكير ضعيف الرّبط، لا ينظر إلى الكون بشموليّة ولا يحسّ الحياة بوحدة وتكامل، لأنّه بدويّ بسيط ينظر إلى الحياة بانفصام تامّ، والطّبيعة أمامه وحدات منفصلة فيها الجبل والكثيب والمرعى والحيوان والسّماءّ، ومن ثمّ لم يتعمّق أسرار الوجود، وليس لديه من قوى الرّبط ما يستطيع بها أن ينظر إلى الكون بشموليّة وكلّية"[4]

وكان من أسباب وجود الماء بالصّحراء العربيّة في شبه جزيرتهم، وكان للشّعراء شغف بها كبير "وقد تتبّع الشّعراء في الجاهليّة نزول المطر تتبّعا غريبا ...ورسموا صوّرا رائعةً لمناظره وهو ينثال كاللّؤلؤ من قبّة السّماء الخيّرة إلى قيعان الصّحراء الظّمأى، وأشاروا إلى السيّول والغدران والآبار، وما يحدثه من انقلاب في الحياة العاديّة فالحيوانات تفرّ مذعورة، والضّفادع تنقّ نشوة، والطّيور صبحن سلافا من رحيق مفلفل، والتّلال العالية تعمّم بالزّهر والنّبات"[5]؛

[1] المرجع نفسه، ص22.

[2] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص31.

[3] ثناء أنس الوجود، رمز الماء في الأدب الجاهليّ، الناشر مكتبة الشباب، ص 325.

[4] أنور أبو سويلم، المطر في الشّعر الجاهليّ، جامعة مؤتة، دار عمان، دار الجير بيروت، ط01، 1987، ص05.

[5] المرجع نفسه، ص11.

ولهذا "وجاء الماء في القرآن الكريم أصلا للموجودات ومادّة للحياة، منه خلق كلّ شيء"[1] ﴿واللّه خلق كلّ دابّة من ماء، فمنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع﴾، ومصادر الماء في شبه الجزيرة العربيّة متنوّعة و"لقد شكّل المطر أهمّ مصادر الماء في البيئة الصّحراويّة الجاهليّة الّتي ميّزها الجدب والقحط، وندرة المياه، لذلك نجد الجاهليّ قد أولى المطر عناية خاصّة، وأكثر من ذكره في أشعاره حتّى غدا معلماً رئيساً في بنائها لما كانت تحمله صورة المطر من دلالات معرفيّة، وقيّم فنّيّة جماليّة متنوّعة، فهو يرى في الماء معاني الحياة المختلفة"[2] ومن معاني الصّحراء أيضا "لقد استعمل اليعقوبيُّ كلمةَ الصّحراء لتعني التّربة الّتي يدفن النّاس فيها موتاهم، أمّا الماء فهو الكلمة الأساسيّة في لغة الصّحراء، فهو الحيا والجدا والجمال والشباب والخير والنّعمة والخصب، وحيثُ لا توجد واحات في بعض المناطق الصّحراويّة يحصل البدور على الماء من باطن الأرض، وأحيانا يجدونه قريبا منها، ويسمّونه: الثّمد والحِسي"[3] ، والماء عذبٌ ومفعمٌ بطاقةٍ تتفجر في النّصوص بالمعاني العذبة والرّقيقة وذات الخفّة والدّعة والوقار، ومن معاني الماء أيضا: "فالماء يعني أيضا: العِزّ والمنعة، والكرامة، والشّرف، **قال الحصين الحام المُريّ:**

أثعلب لو كنتم موالي مثلها إذاً لمنعنا حوضَكم أن يُهدّما[4]".

واهتمّ العربُ بالماء لثلاثة دوافع أساسيّة: فهي: "**أوّلاً** تعود لتلك المعتقدات الأسطوريّة والموروثات الشّعبيّة المتّصلة بظاهرة الماء الّتي أخذت تغزو عقل العربيّ القديم فتؤلّف ثقافته وتشحذ وجدانه، وتتشكّل لغته الفنيّة في استغلال ظاهرة الماء في موروثه من النّثر والشّعر، ...وتذهب في مجملها إلى أنّ الماء أصل الكون والحياة، وقد كان للعرب مثل غيرهم من شعوب العلم شأن كبير مع الماء، ذلك لأنّ الجزيرة من البقاع الجافّة فالأمطار فيها شحيحة، والأنهار الكبيرة لا وجود لها، والعيون قليلة كما أجواءها جافّة، وهو ما جعل للماء فيها أهميّة كبيرة، وجعل الجاهليين مثل غيرهم يرون في الماء ومصادره، من الأمطار والرّعود والبروق والسّحب والآبار والعيون قوى مقدّسة، وكان من شغفهم بالماء أن جعلوا أصنامهم بمسمّيات

[1] المرجع نفسه، ص18.

[2] عادل بوديار، تحت إشراف: عبد القادر دامخي، 2015/2014، دلالة المطر في الشّعر الجاهليّ؛ دراسة نسقيّة سيّاقيّة، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربيّ القديم، ص 33.

[3] أنور أبو سويلم، المطر في الشّعر الجاهليّ، جامعة مؤتتة، دار عمان، دار الجير بيروت، ط01، 1987، ص32.

[4] المرجع نفسه، ص34.

لها به علاقة مثل: يمّ وقزح ووعائم ونهر...واعتبار الأماكن الّتي توجد بها المياه من قبيل الحمى الّذي يحرم على الإنسان اقتحامه أو العبث به، وقد قامت حول آلهة الماء وأصنامها وآبارها روايات شعبيّة وأساطير دينيّة تصوّر طبيعة الصّلة المقدّسة الّتي نشأت في وجدان الجاهليّ وعقله بين الماء والدّين، وكانت زمزم أكثر الآبار المقدّسة أخباراً في الجاهليّة والإسلام، وهو ما يجعل من تاريخها أنموذجا للثّقافة الدّينيّة والشّعبيّة والأسطوريّة الّتي وجدت طريقها إلى أشعار الجاهليين وأمثالهم"[1].

تذهب الكثير من الشّعوب إلى أنّ الماء هو أصل الموجودات كلّها؛ وأنّ الماء هو كلّ شي"وينظر السّاميّون و بصفة خاصّة العرب واليهود إلى الماء بوصفه أصل الأشياء، مثلهم في هذا مثل باقي الشّعوب"[2]، لا حياة دون ماء، ولا ماء دون مجهود عظيم مبذول للحصول عليه ولو بشقّ الأنفس، ولذلك نجد الكثير من المعاني في خضم الماء وغماره " إنّ المتأمّل في هذه الأسماء على كثرتها، سوف يلفته هذا الرّكام الهائل من أسماء الآبار، والمياه والجداول، ومجاري المياه، الّتي نبت حولها النّبات المخضّر وضجّت بألوان الشّجر والأزاهير الملوّنة، فمّما يطالعنا من أسماء الأماكن: الحوض الطّوى، والمدافع والريّان، والنحائت والمدافع ، والرجل والقطبيّات ولبنى والخبث، وهي جميعا أسماء آبار مياه، أو مسايل لها ومنه ما جاء في معلّقة عبيد بن الأبرص"[3].

وقد عبّر الشّعراء عن معانيهم بالكثير ممّا يرفده الماء من مدلولات "ويختم الشّاعر الجاهليّ صراعه النّفسيّ والوجوديّ بلوحة السيل، بوصفه تطهيرا لوجه الأرض من الدّم والموت وإشاعة للخصب والحياة"[4]، "ولقد بلغ من تلذّذ الشّاعر بوصف ما بعث المطر من حياة في الديّار أنّ المفسّرين اختلفوا في قوله: رزقت مرابيع النّجوم، أهو يدعو بالسّقيا أم يخبر"[5].

ويبقى أشهر منبع للماء وأفضلها على الإطلاق؛ منذُ القديم إلى يومنا هذا هو ماء زمزم ببكّة المكرّمة "وتحتلّ بئر زمزم موقعا خاصّا في نفوس العرب منذ الجاهليّة وحتّى الآن ولا يرجع الموقع إلى كونه بئرا يفيض بالعذب من الماء في مكّة الشّحيحة بالماء، وإنّما لذلك

---

[1] ثناء أنس الوجود، رمز الماء في الأدب الجاهليّ، الناشر مكتبة الشباب، ص و، 08.

[2] المرجع نفسه، ص 18.

[3] المرجع السّابق، ص 147.

[4] المرجع نفسه، ص 326.

[5] مصطفى عبد اللّطيف جياووك، الحياة والموت في الشعر الجاهليّ، مكتبة لسان العرب، منشورات وزارة الإعلام، دار الفكر، البصرة، الجمهوريّة العراقيّة،ط01، 1977، ص 179.

الدّور الدّينيّ الّذي تلعبه في سقيا الحجيج وطهارتهم، وعلى الرّغم من أنّ المصادر المختصّة بجغرافيّة الجزيرة العربيّة ذكرت عديدا من الآبار والعيون والأنهار القصيرة ومسايل الماء، فإنّ بئر زمزم خصّت من بين هذه العيون والآبار بخاصيّة دينيّة"[1] حيثُ "أمّا فيما كانوا يعتقدونه حول الوديان وأماكن المياه، فكان مسافرهم: إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق اللّيل، عمد إلى وادٍ ذي شجر؛ فأناخ راحلته في قراراته، وهي القاع المستديرة وعقلها وخطّ عليها خطّا؛ ثمّ قال: أعوذ بالله من صاحب هذا الوادي[2]"، "وما بئر زمزم إلاّ دليل على ذلك؛ فقد انصرف إليها النّاس لفضلها على سواها من المياه؛ لجلال قدرها، وكان يتمثّل بشرفها على سائر المياه، فكانوا يتفاخرون في المقام عليها، واتلشرب منها؛ والاغتسال بها، لمكانها من المسجد الحرام، ولأنّها بئر إسماعيل عليه السّلام[3]".

ولا تنتهي معاني الماء هنا وإنّما تتمدّد "والماء في الحسّ اللّغويّ العربيّ يعني: الغيثُ والحياة والرّحمة والطُّهر والنّقاء وسرّ الحياة، وهو أيضا: ماء الشّباب؛ وماء الرّقاب، وماء الجمال، ويعني أيضا النّهاية المحتومة للحياة"[4]، وما زالت معانيه تستزيد وتتمدد وتتفرع ولا تتوقّف " ويحتمل الماء المعنى: السّعادة والكرامة والعزّة والشّرف، وطيب العيش، وقد عبّر عن هذه المعاني كلّها عمرو بن كلثوم في بيته المشهور[5]:

وأنّا الشّاربون الماءَ صفواً ويشرَبُ غيرُنا كدَرا وطينَا.

الماء في الكون تماما كالدّم في الجسد؛ لا جسد من دون دم ولا كون بدون ماء؛ "والماء أكثر ضرورة للإنسان من الغذاء، فبينما يمكن أن يعيش ستّين يوماً بدون غذاء، لا يمكنه أن يعيش بدون الماء اكثر من ثلاثة إلى عشرة أيّام على أقصى تقدير، والماء أساس تكوين الدّم واللّمفاوي، والسّائل النّخاعي وإفرازات الجسم، ...وهوسبب رخاوة الجسم وليونته، ولو فقد الجسم 20% من ماء جسمه فإنّ الإنسان يكون معرّضا للموت...[6]" فالماء أساس العيش والحياة.

---

[1] المرجع نفسه، ص 46.

[2] نوال عليّ عبد الرّحمان خضر، إشراف: أ.د. خليل عودة، صورة السّماء والأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغيّة)، قدّمت هذه الأطروحة لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة بكلّيّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة بنابلس فلسطين، 2011، ص53.

[3] المرجع نفسه، ص54.

[4] أنور أبو سويلم، المطر في الشّعر الجاهليّ، جامعة مؤتة، دار عمان، دار الجير بيروت، ط01، 1987،

[5] المرجع نفسه، 1987.

[6] عطية محمّد عطية، الظواهر الفلكيّة والجغرافيّة في القرآن الكريم، مكتبة المهتدين، ط01، 2012، دار يافا العلميّة، ص318.

ولذلك "وكان النّزاع على الماء من الأمور المألوفة في الحياة الجاهليّة، ولا نبالغ إذا قلنا: إنّ أكثر حروب الجاهليّة كانت من أجل الماء، فقد اقتتلت (عبس وكلب) على ماء يقال له عراعر وفي هذا اليوم أنشد عنترةُ بنُ شدّادِ قصيدَتَهُ الّتي مطلعها:

ألا هل أتاهاَ أنّ يوم عراعر   شفى سَقَمَا لو كانت النّفس تَشْتَفي[1]

وبلغ بالعرب في شبه جزيرتهم "ومن أجل الماء والكلأ عرفوا نظام الحمى إذ كان العزيزُ منهم إذا انتجع بلداً مخصّبًا أوفى بكلبٍ على جبلٍ أو على نشز من الأرض، ثمّ استعوى الكلب، ووقف له من يسمع منتهى صوته بالعواء، فحيثُ انتهى صوتُه حماه من كلّ ناحيّة لنفسه، ومنع النّاس منه"[2]، وبسببه كانت تندلع الحروب.

إنّ قصائد المعلّقات الطّوال المذهّبات غنيّة بأعلام وأسماء أمكنة الميّاه وقد تطرّق إليها الشّعراء نظرا لأهميّة الماء الّذي كان مصدرَ عيشِهم؛ بل هو السّببُ الرّئيسيُّ في انتقالهم وترحالهم وظعنهم من معلم جغرافيّ إلى معلم جغرافيّ آخرَ، وهو السّببُ في عدم استقرارِهم، وبسببه أيضاً يتكبّدون الحزن والحسرة والألم مرتحلين متنقلّين هنا وهناك مغادرين المكان الّذي ألفوه وامتزجوا معه وأسكنوه روحهم ممّا اضطرّهم للبكاء عليه في جميع مطالع قصائدهم الشّعريّة حيثُ" قامت حياةُ العربيِّ على الرّحلة والانتقال سعيًا وراءَ الكلإِ وبحثاً عن الماء، يُقيم حيثُ يرى الرّزقَ، فيَحِلُّ بخيمته ويَنصِب أثافيه ويوقد النّار؛ حتى ينضب هذا المورد فينتقل إلى غيره، ويعيش بذلك في مساس مع الطّبيعة، يرعى النّجوم في أفلاكها، وينظر إلى السّماء وكواكبها، ويرقب السحب والغيوم والرّعد والبرق، يعبر الصّحراء ويمرّ بالوُهاد والتّلول والنّجاد والسّواقي والمياه، فهو في صلة مع هذه الظّواهر لا تتقطّع، تقع عليها عيناه في الصّباح والظّهيرة والمساء واللّيل كأنّه راصد فلكيّ أو جغرافيّ باحث..."الكتاب المدرسيّ السّنة أولى ثانوي، وقد ورد الماء في معلّقة امرؤ القيس إذ يقول[3]:

فأضحى يسحّ الماءَ حولَ كتيفَه   يكبّ على الأذقان دوح الكنهبلِ.

وأمّا زهير فيقول:[4]

فلمّا وردنَ الماءَ زُرقا جِمامهُ   وضَعنَ عَصيّ الحَاضرِ المتخيّم

---

[1] أنور أبو سويلم، المطر في الشّعر الجاهليّ، جامعة، ص36.

[2] المرجع نفسه، ص36.

[3] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص21

[4] المرجع نفسه، ص43.

ويظهر من البيت أنّ الضّعائن المتنقّلة إليه كانت قد اختارته نظرا لصفائه النّاصع ونقائه اللّامع، فالزّرق نعت حقيقي وهي تعني شدّة الصّفاء، ويذكر لنا الشّاعر بأنهما قد ضربن خيمة واستقروا بهذا المكان، وبهذا قد أثّر هذا المعلم الجغرافيّ المتمثّل في وادي الرسّ في الشّاعر فنتج عنه تدفّق العاطفة الجارفة ففاضت كلام عسلا ساحراً يخبّل الألباب والنُّهى، فرقرقة هذا الماء وصفائه وكذا مشهد النّساء متجهات إليه قادمين من السّوبان الأرض المرتفعة قد أثّر في الشّاعر وفي هذا يقول[1]:

ووَرّكن في السّوبان يعلون متنه   عليهنّ دلُّ النّاعم المتنعّمِ.

بكرن بكورا واستحرن بسحرة   فهنّ ووادي الرسّ كاليد للفمِ.

وفيهنّ ملهىً للطيف ومنظر   أنيقٌ لعين النّاظر المتوسّمِ.

كأنّ فُتاتَ العهنِ في كلِّ منزلٍ   نزلنَ به حبُّ الفنا لمْ يُحطّمِ.

فلمّا وردن الماء زرقا جمامه   وضعن عصيّ الحاضر المتخيّم.

وإنّ تصوير شعراء المعلّقات للماء في أشعارهم يختلف من شاعر لآخر، فإن كان زهير قد حدّثنا عن صفائه وزرقته وجماله وأنّه ملهى للطيف وسارّ للنّاظرين فنجد أنّ الأعشى قد عبّر عنه في ظرف آخر مختلف في معلّقته، فهو يصوّر قيمة الماء وضرورته وحاجة النّاس إليه يقول[2]:

حتّى تدافع منه الماءُ تكلفة   روض القطا فكثيب الغينة السّهِلُ.

يسقي ديارا لها قد أصبحت غرضا   زورا تجانف عنها القود والرّسل.

ولا ننسى أنّ في الماء أمرُ جللٌ عجيبٌ يجب أن نُشير إليه ونذكُره وهو ما تطرّق إليه القرآن في قضية البحرين اللذين لا يلتقيّان وهو قوله تعالى:﴿مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان، فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان﴾ من سورة الرّحمان (21/19).

ونظرا لأهمّيّة الماء الكبيرة، وهذا دون مبالغة فلا اختلاف فيه فنجده موضوع استراتيجي وهو محل دراسة مجهريّة للدّراسات البينيّة حيثُ "نجد في جامعة الملك عبد العزيز تخصّص المياه مشترك بين ثلاث كلّيات، هي كلّية الأرصاد (علوم وإدارة موارد الميّاه) وكلّية الهندسة (تقنية تحلية المياه)، وكلّية علوم الأرض (جيولوجيا المياه)، ومن ثمّة يمكن تحقيق التّكامل

---

[1] المرجع نفسه، ص 85.

[2] زهير مصطفى اليازجي، و أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص 122

بين الكلّيات الثّلاث، لعمل برنامج دراسات بينيّة يجمع بين الثّلاث كلّيات في هذا التّخصّص"[1]، وهو يمثّل عمل تطبيقيّ فِعليّ في مجال الميدان العمليّ للدّراسات البينيّة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ بين البحر والصّحراء تقاطع وتقابل فكلاهما رحب واسع وله انعكاس على نفسيّة الشّاعر ومشاعره وشعره وشاعريّته.

6. الصّحراء:

أرض العرب في شبه الجزيرة صحراء "ولم يتركوا في الفَلوات والمفازات إذا كانوا من بنيها شيئاً إلّا وصفوه، فوصفوا وحوشها الضّارية، وذئابها العاوية، وظباءها السّارحة، وحُمُرها القارحة، كما وصفوا جوارح السّماء وصوادحها، وخشاش الأرض وهوامها، ثمّ وصفوا الرّسوم والأطلال، والسّهول والجبال، والأنواء والأمطار، والعيون والآبار، والبرق والرّعد، والأفلاك والكواكب، ولم ينسوا أن يصفوا حياتهم في جِدِّهم ولهوهم، وظعنهم وإقامتهم، وسلمهم وحربهم...فخلّدوا بشعرهم بيئتهم، وأبقوه على الدّهر صورة لحياتهم هي أصدق سِفرٍ للمؤرّخين، وأدقّ سجلّ للباحثين، ولذلك قالوا صادقين الشّعر ديوان العرب"[2].

إنّ أرض جزيرة العرب كلّها صحراء تقريبا وذلك يعود إلى مناخها الجاف والقليل الأمطار، وبذلك لا غرو أن تكون كذلك، ولا غرو أن يذكرها شعراؤها بقوّة وكثرة ويبدعون في تصوريها ونقل صورها، ونظرا لشساعتها ورحبها لقد قسّمها العربُ إلى أقسام "فالمناطق الصّحراويّة وهي أكبر الأقسام مساحة في الجزيرة العربيّة وتقسّم إلى ثلاث مناطق: النّفوذ: وهي مساحات لامتداد صحراويّ، الدّهناء: وعرفت أيضا بالأرض الحمراء، وهي تُغطّي في امتدادها من النّفوذ شمالا حتّى الرّبع الخالي مسافة 600 ميل، الحرار(الحرات) : جمع حرّة وهي توجد على امتداد المنطقة الغربيّة من الجنوب قرب باب المندب حتّى مناطق حوران في سوريا[3]".

الشّاعر ابن بيئته وهذا يتّفق عليه النقّاد جميعا، والجزيرة العربيّة صحراويّة، فكان للصّحراء حضورا قويّا بارزا في أشعراهم، حضرت الصّحراء بقوّة بمختلف أسمائها وأعلامها، فلا يوجد شاعر لم يذكر الصّحراء بمختلف أشكالها وألوانها وكلّ مسميّاتها، إنّها طغت على الشّعر

---

[1] الدّراسات البينيّة، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعيّة ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرّحمان، 2017، ص10

[2] عبد العظيم علي قناوي، الوصف في الشّعر العربيّ (العصر الجاهليّ)، ج01، القاهرة، 1949، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، ص54

[3] جبران، روضة سحيم حمد آل ثاني، مؤسسة حمادة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، 1998، ص24

وسيطرت عليه من كلّ جانب، والصّحراء بمفهومها الواسع كعلم جغرافيّ للجزيرة العربية، احتوت وتضمّنت مسميّات أعلام جغرافيّة شتّى من على سطح أرضها "إن الصّحراء هي أساس فكر وفهم وإدراك وخيال وميلاد وترعرع ونموّ وبداية خطوات الشّعر العربيّ في العصر الجاهليّ حتىّ قويت شوكته، إنّ الشّعر العربيّ الجاهليّ يحمل لغة ولون ورائحة وذوق وسمات وأثر الطّابع البدويّ في البيئة الصّحراويّة وصفاتها"[1].

علاقة وطيدة جدّا تلك الّتي تجمع بين الصّحراء والعربيّ وقد "شكّلت الصّحراء صورة قاسية للمكان في حياة الجاهليين وأدبهم، وانعكست في حياتهم، فهي بجفافها القاتل وأشكالها ومناظرها المحدودة، ومناخها الفتّاك، تحدوه على نظام خاصّ في حياته يمكّنه من البقاء والاستمرار، وإلّا فالموت لا مفرّ منه، فالصّحراء صورة لعنف الطّبيعة"[2].

ذكر امرؤ القيس الصّحراء فقال:[3]

وألقى بصحراءِ الغبيطِ بعاعَهُ نُزولُ اليمانيّ ذي العيّابِ المحمّلِ.

وهو يقول: "ألقى هذا الحيا ثقله بصحراء الغبيط، فأنبت الكلأ وضروب الأزهار وألوان النّبات، فصار نزول المطر به كنزول التّاجر اليمانيّ صاحب العياب المحمّل من الثّيّاب حين نشر ثيابه يعرضها على المشترين، شبّه نزول هذا المطر بنزول التّاجر اليمانيّ صاحب العِياب المحمّل من الثّيّاب حين نشر ثيابه يعرضها على المشترين"[4].

رأى الأعشى أنّ الصّحراء أشبه بظهر التّرس في استوائها، وأنّها مقفرة موحشة، فما يسكنها إلاّ الجنّ الّذين يمرحون فيها ويصخبون خلال اللّيل حين يلفّ السّكون عالم الصحراء ويخيّم الظّلام وهو في ذلك يقول:[5]

وبلدة مثل ظهر التّرس موحشة للجنّ في اللّيل في حافاتها زحل.

لا يتنمى لها بالقيظ يركبها إلاّ الّذين لهم فيما أتوا مهل.

والعرب أهل مال وتجارة وغنى وبحث عن الرّفاهيّة والدّعة والبذخ والحريّةُ المطلقةُ العنانِ في كبد الصّحاري وإن كانت رحلتهم في ذلك شاقّة لكنّها ممتعة ولقد دأبها منذ نعومة أظافره

---

[1] محمّد صديق حسن عبد الوهّاب، الصّحراء في الشّعر الجاهليّ، بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتورة في الأدب والنّقد، ص03.

[2] ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّ بيروت، ط01، ص147.

[3] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص45.

[4] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[5] زهير مصطفى اليازجي، أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01، ص121.

فهي عنده أمر بديهيّ مسلّم به ومستسلم لها فعايشها وعايشته فألفها وألفته "فكان الأعراب من أصحاب الإبل والأغنام يرتحلون بأموالهم وأهليهم يتّبعون مواقع الغيث، ومنابت الكلأ، وهذه الرّحلة تسمّى **النُّجْعَة**، ثمّ ينتقلون بها جميعا من مكان إلى مكان، حتّى يعودوا إلى منازلهم الأولى في الصّيف، ويُقيموا فيها على مياههم من الآبار وغيرها... وكان الأعراب في نزولهم على المياه، تجتمع منهم عدّة أحياء على ماء واحد وفي منزل واحد، فتنشأ مع الأيّام ألفة ومودّة وصلات قربى مع النّازلين معا، تقرّب بينهم[1]"، ولقد "سبر الجاهليّ أغوار بيئته معتمدا عينا نقّادةً، وملاحظة ثاقبة، وفطرة لا تكذبه في أكثر الأحوال، وعرف بعد تمرّسه بالواقع، علاقة المحيط بساكنه، وخلص منها إلى مقولات عدّة، منها أنّ البنية النّفسيّة لها صلة وثيقة بالوضع البيئويّ[2]"، فنجد أنّ "الصّحراء اسمها مفازة سمّيت كذلك لأنّ من خرج منها وقطعها فاز...خصوصا أنّ الرّمل يطمس المعالم جميعها[3]" فلا غرو أن يحيط الجاهليّ بجغرافيّة بلاده وأعلامها إذ "كلّ هذا أوردناه كنموذج عن شيوع المعرفة الجغرافيّة في الجاهليّة بين الجميع، ...كاستجابة ضروريّة لظروف الحياة، وكخبرة إلزاميّة يكتسبها الفرد عرضا...لأنّ في هذه الحالة تكون حياة القبيلة أو فناؤها متعلّقة بهذه المعرفة، والشّخص هذا الّذي تُوكّل إليه هذه المُهمّة يُعرف بالرّائد، وهو بمثابة الكشّاف الّذي يكشف للقبيلة غوامض الصّحراء[4] "ولهذا "فلكلّ زمان سوق خاصّ به، يتلاءم مع المعطيات المناخيّة؛ وحريٌّ بكلّ العرب بطبيعة الحال أن تعرف الطّرق المؤدّية إليها[5]"، "صوّر الشّعراء كلّ ما شاهدوه في صحرائهم مترامية الأطراف، وصوّروه بما كان يجيش في نفوسهم من الصّوّر وأكثر ما كانوا يتحدّثون عن مظاهر الصّحراء"[6].

وجاءت الصّحراء بلفظ آخر ألا وهو الفضاء في معلّقة لبيد بن ربيعة حيثُ يقول:

والعِينُ ساكنةٌ على أَطْلائِها عوذا تأجّل بالفضاء بِهامُها.

[1] عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968، ص08.

[2] محمّد توفيق أبو علي، الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ، دراسة تحليليّة، دار النفائس، بيروت، ط01، 1988، ص186.

[3] المرجع نفسه، ص189.

[4] المرجع نفسه، ص190.

[5] المرجع نفسه، ص190.

[6] نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشّعر الجاهليّ، دار الإرشاد للطّباعة والنشّر، بيروت، ط01، 1970، ص28

وهو يقول:"والبقر الواسعات العيون قد سكنت وأقامت على أولادها ترضعها حال كونها حديثات النّتاج، وأولادها تصير قطيعا قطيعا في تلك الصّحراء[1]".

7. في ذكر الجبال الأوروني (Oronym):

لقد كان للطّبيعة الجغرافيّة في الشّعر الجاهلي حظّ كبير وواسع جدّا؛ فقد نالت اهتمام الشّعراء اهتماماً لافتاً للدّراسة والتحّليل والتّأويل وتعدّد القراءات؛ وهذا الاهتمام يعود لحبّهم الكبير لها وشغفهم العظيم بها وولعهم المنقطع النّظير، وكذا اختلاطهم وامتزاجهم العميق النّاتج عن إعجابهم وافتتانهم بها؛ ولذلك صوّروا في شعرهم كلّ ما تقع عليه عيونهم كما أسلفنا الذّكر، ومن بين ما ذكروا الجبال، "وقد خاطب الشّعراء الجبل في الشّعر الجاهليّ وهذا الخطاب يكشف عن علاقة عميقة بين الإنسان والمكان الّذي هو موطن التّجربة"[2].

فبذكر الأماكن والأعلام الجغرافيّة من جبال وغيرها والطّبيعة بصفة عامّة يزيد النّص جمالا ووضوحا وحيويّة ونبضا وفنيّة وجاذبيّة؛ خاصّة وأنّ المكان جامع شامل لأفكار وأخبار متعددة ومختلفة؛ فهو الإناء الّذي آوى في صدره تأويلات عميقة تحتاج إلى دراسة عميقة "تعدّدت دلالات المكان وأبعاده ... فجاء المكان العربيّ محمّلا بدلالات سيّاسيّة، واجتماعيّة، وتاريخيّة..."[3].

فتسمع عن الصّحراء وتروق لك؛ وعن المياه فينشرح صدرك؛ وعن والوهّاد والنّجاد والتّلول فيقشعّر جسمك؛ وعن الجبال فترتاح نفسك وتضيء روحك وتعلو شامخة مُهجتُك ويُرفع رأسك؛ فتفيضَ أحاسيسُك ومشاعرُك وينشط عقلُك؛ فالأعلامُ الجغرافيّةُ جمالٌ ورونقٌ ليس له حدودٌ وليس له منتهى ولا ساحل، فهو البلاغةُ قبل كلّ شيء؛ بل قبل البلاغة نفسها، فالأعلام الجغرافيّة في كُنه الشّعر لازمةٌ، وفي المعلّقات شامخةٌ سامقةٌ تجعلك تنظر وتتمعّن وتتنقّل وتَسمعُ وتَستمِتعُ وتُشاهد وتنزح وتنيخ وتمشي وتتوقّف؛ وبالأحرى في معلّقة واحدة تعيش وتحيا حياة جديدة متكرّرة متنوّعة فلا ملل ولا ضجر، وتكون بذلك قد اطّلعت وعرفت على الكثير من أخبار الماضين، وكان ممّا تطرّقَ إليه شعراءُ المعلّقات إبداعا وابتكارا لما يوحي بالثّبات

---

[1] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص198.

[2] موسى ربابعة، دراسات في الشّعر الجاهليّ، تشكيل الخطاب الشّعريّ، مكتبة الأدب المغربيّ، دار جرير للنّشر، سامراء، ط01، 2011، ص20.

[3] بدر نايف الرّشيديّ، إشراف: عبد الرؤوف زهدي، صورة المكان الفنيّة في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير مقدمة لكليّة الآداب والعلوم، جامعة الشّرق الأوسط، 2012/2011، ص131.

والصّمود والشّموخ والرّفعة والعلوّ والوقار والرّزانة الجبال، الجبال الّتي قال الله لنا عنها يخبرنا عن قيمتها وأهميّتها في القرآن الكريم ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا﴾ من سورة النّبأ (7/6) وقال عزّ من قائل﴿وجعلنا في الأرض رواسيَ أن تَميدَ بهم وجعلنا فيها فجاجا سُبُلاً لعلّهم يهتدون﴾ من سورة الأنبياء 31، ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسُبُلاً لعلّكم تهتدون﴾ من سورة النّحل (15).

وقبل الحديث والخوض في الجبال السّامقة المطروقة من طرف أصحاب المعلّقات يجب علينا التّنويه ها هنا إلى جبال حباها الله سبحانه وتعالى فذكرها في القرآن الكريم وهي جبال الجوديّ وجبل طور وجبل غار حراء وقد ذُكر جبل طور في سور هي : البقرة، 63- النّساء، 154- مريم، 52- طه: 80، المؤمنون: 20، القصص: 20، القصص: 29، الطّور: 1-2، التّين: 1-2، "لم يتغيّر طُورُ على مرّ العصور، والطُّورُ الآن عاصمة محافظة جنوب سيناء وتقع على خليج السّويس، وهي تعدّ من أهمّ المناطق السيّاحيّة بمصر وخاصّة في مجال السيّاحة الطبيعيّة"[1].

وجبل الجوديّ في سورة هود: الآية: 44 يقول الله تعالى: ﴿وقال اركبوا فيها باسم الله مُجراها ومُرساها إنّ ربّي لغفورٌ رحيم، وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال ونادى نوحٌ ابنه وكان في مَعزِلٍ يا بُنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، قال سآوي إلى جبلٍ يعصمُني من الماء قال لا عاصِمَ اليوم من أمرِ الله إلّا من رحمَ وحال بينهم الموجُ فكان منَ المُغرقين، وقيل يا أرضُ ابلعي ماءَكِ ويا سماءُ أَقلعي وغيضَ الماءُ وقُضي الأمرُ واستوت على الجُوديّ وقيل بُعدا للقوم الظّالمين﴾.

ومعنى لفظة الجوديّ في المعجم "الجوديّ: بجيم معجمة مضمومة بعدها، واو ساكنة فدال مهملة بعدها ياء، جبلٌ مطِلّ على الجزيرة في العراق من أعمال الموصل، وقال البوخاري في صحيحه: عن مجاهد: الجوديّ: جبل بالجزيرة، وقال ابن حجر: وقال مجاهد: الجوديّ: جبل بالجزيرة"[2] وفي رواية أخرى " والجوديّ جبل قبالة جزيرة ابن عمر، عند ملتقى الحدود السوريّة

[1] رنا محمّد مجيد الغريريّ، المعجم الجغرافيّ الخاصّ بألفاظ وآيات القرآن الكريم، ص721.

[2] سعد بن عبد الله بن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، الرياض، ط01، 2003، ص 105.

التّركيّة حالياً، على الضّفة الشّرقية لنهر الّدجلة، ويُرى الجبل الجوديّ بوضوح من بلدةِ عين دِيوار السّوريّة"[1].

ثمّ جبل غار حراء، الّذي أنزل الله سبحانه وتعالى فيه القرآن الكريم على سيّد الخلق أجمعين رسول الأمّة صلى الله عليه وسلم الكريم."ونرجّح ممّا أورده الطّبريّ، وابن الأثير واليعقوبيّ، أنّ آدم عليه السّلام بعد أن غفر الله له، حمله جبريل إلى جبل عرفات، وعلّمه مناسك الحجّ، وأنّه تُوفي ودُفن عند سفح جبل أبي قبيس"[2].

أمّا جبل طور ففيه كلّم الله سيّدَنا نبيَّ الله موسى عليه السّلام، وأمّا جبلُ الجوديّ ففيه استقرّت سفينةُ سيِّدنا نوح عليه السّلام، وجبل غار حراء نزل فيه الوحي على سيّدنا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

دون أن ننسى أشهر جبلين في الإسلام وهما جبل عرفات وجبل أُحُد الّذي قال عنه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم "هذا جبلٌ يحبّنا ونحبّه"، "وكانوا يخاطبون الجبل كما يخاطب الرّجل أخاه؛ كان المشركون إذا أرادوا الإفاضة قالوا: "أشرقْ يا ثبيرُ كيما نغير، وكانت الشّمس تشرق من ناحية جبل ثبير[3]"، "وارتبط الجبل عند عرب الجاهليّة بالعديد من مظاهر حياتهم، ومظاهر عباداتهم، منها عبادة الأصنام، إذ وضعت القبائل العربيّة أصنامها في الجبال، وكانت تحجّ إليها"[4]، "وقد ارتبطت الجبال عند العرب بظاهرة دينيّة أخرى هي الحجّ، حيثُ يحجّ الماعبّدون إلى المرتفعات للتّعبّد والتبتّل، ومن تلك المرتفات حِراء، وأبو قبيس، وثبير، يقول الشّاعر:

فإنّي والّذي حجّت قريشُ   محارمُه وما جمعت حِراء.

وكان النبيّ عليه الصّلاة والسّلام يتعبّد بغار موجود في هذا الجبل،[5]".

---

[1] شوقي أبو خليل، أطلس القرآن، أماكن أقوام أعلام ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط01، 2000، إعادة: 2003، ص 25

[2] المرجع نفسه، ص14.

[3] نوال عليّ عبد الرّحمان خضر، إشراف: أ.د. خليل عودة، صورة السّماء والأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغيّة)، قدّمت هذه الأطروحة لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة بكلّيّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة بنابلس فلسطين، 2011، ص55.

[4] منال يعقوب عبد الرّحيم يعقوب، تجليات الثّقافة الجاهليّة في لغة السّور المكيّة، إشراف: يحي عبد الرّؤوف جبر، قدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها بكليّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة في نابلس فلسطين،2012، ص75.

[5] المرجع نفسه، ص76

"وقد ارتبط الجبل في الشّعر الجاهليّ بمجموعة من القضايا ذات الأثر المباشر في حياة الجاهليين: الدّينيّة، والاجتماعيّة، كما فقد المعنى الدّلاليّ للجبل من مجرّد ظاهرة طبيعيّة صامتة، ليدلّ على كثير من المعاني الّتي ضمّنها الشّعراء في قصائدهم، فلم يعد الجبل كتلة من التراب والحجارة فقط، لكنّه أصبح يحمل كثير من المعاني، حيثُ استعاره الشّعراء للدّلالة على الشّرف، ورَفعة الشّأن، كما شبّهوا به الرّجل العظيم القويّ، ولأنّ حياة العرب في الجاهليّة تراوحت بين الكرّ والفرّ، وهذا ما فرضته عليهم ظروف حياتهم، فقد وجد العرب في تلك الجبال أماكن آمنة تحصنهم، وتمكّنهم من مراقبة أعدائهم، على أكمل وجه، والتّرصّد بهم، فأنشأوا المراقب[1]".

وجاء جبل ثبير في معلّقة امرؤ القيس يقول[2]:

كأنّ ثبيراً في عرانِينِ وَبْلِهِ   كبيرُ أُناسٍ في بِجاد مزمّلِ.

"وحاول فريقٌ من الشّعراء الجاهليين أن يكونوا دقيقين إلى حدّ ما في تصوير بعض صور الجبل، متناولين الخصائص البارزة فيه، من القمم والشّعاب والتّلال والسّفوح، وحاولوا كذلك تمييز الألوان الّتي كانت تتلون بها بعض هذه الجبال، وما تثيره هذه الألوان في نفوسهم من الأحاسيس الغريبة"[3].

وكان لاهتمام الشّعراء بالجبل وتصويره تصويرا دقيقا وعظيما، واستعارته للكثير من الصّفات الّتي تتوافق وخصال الإنسان الشيء الجزيل، وهذا منذ نعمومة الشّعر في العصر الجاهليّ، عصر التّأثّر بالأعلام الجغرافيّة والعلوق بها علوقا يقطّع القلب ويمزّق الصّدر عند فراقهم لها نتيجة ارتباطها بهم ارتباطا شديدا في شتّى مجالات الحياة وأوضاعهم المعيشيّة؛ فقد "وسنذكُر بعضُ الجبالِ الّتي وردت في المعلّقات كأعلام جغرافية ترفرف داخل المعلّقات مُزيّنةً إيّاها فهذا امرؤ القيس يقول:[4]

قعدتُ لهُ وصُحبتي بين ضارجٍ   وبينَ العذيبِ بعدما متأمّلي.

---

[1] منال يعقوب عبد الرّحيم يعقوب، تجليات الثّقافة الجاهليّة في لغة السّور المكيّة، إشراف: يحي عبد الرّؤوف جبر، قدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها بكليّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة في نابلس فلسطين،2012، ص83.

[2] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص44

[3] نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشّعر الجاهليّ، دار الإرشاد للطّباعة والنشّر، بيروت، ط01، 1970، ص28.

[4] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص42.

على قَطَنِ بالشِّيّمِ أيمنِ صوبه وأيسره على السّتار فيذبلِ.

فكلّ مِن ضرج والعذيب والسّتار ويذبل أعلام جبال شامخة في المعلّقة ذكرها شاعرنا وما هذا إلّا دليل ثابث وقويّ كالرّواسي الشّامخات على اكتراث الشّعراء بهذه المعالم الأنيقة الجذّابة الّتي غالبا ما تكون كذلك للاستجمام، والأعلام الجغرافيّة فيما بينها تتكاتف وتتّحد لتشكّل كتلة واحدة وطبيعة واحدة من أجل أن تُلهب صدر الشّعراء شعرا، فالأعلام الجغرافيّة كثيرا ما تتعاضد لتخبّل عقول العرب، وحين يترك الشّاعر الجبال تستقبله الأودية والأنهار وحين يغادرها تحتضنه البرق والدّارات، وإذا نظر إلى الأعلى جذبته الشّمس والقمر والكواكب جميعا وكذا النّجوم، فهو مع المعالم الجغرافيّة دائما أينما حلّ وارتحل، وحين تتفاعل هذه الأعلام الجغرافيّة كلّها وتُمتزج أضغاثا مع مشاعر الشّاعر ووجدانه ورغبته الجمّة في السّقي يتهاطل عليه الماء من السّماء، فلا غنى للشّاعر عن الأعلام الجغرافيّة أبدا، فهي نصب عينيه في كلّ الاتّجاهات ولذلك نجده لا يفتأ أن يذكرها بنثرّ وغزارة في شعره ودون تردّد، فالأعلام الجغرافيّة هي جواز سفر لنشر قصيدته والتّحليق بها في نُهى النّاس، ولدينا أيضا من الجبال في قول امرؤ القيس:[1]

ومرّ على القنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كلّ منزلِ.

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا اطما إلّا مشيدا بجندلِ.

كأنّ ثبيرا في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمّلِ.

فنجد الشّاعر قد شبّه الجبل بإنسان في النّظر إليه أثناء سقوط المطر يقول: " كأنّ ثبيرا في أوائل مطر هذا السّحاب سيّدُ أناسٍ قد تلفّف بكساءٍ مخطّطٍ، شبّه تغطيّته بالغُثاء بتغطّي هذا الرّجل بالكساء"[2].

وتطرّق طَرفةُ بنُ العبد إلى ذكر الجبال فقال:[3]

فذرني وخلقي؛ إنّني لك شاكر ولو حلّ بيتي نائيا عند ضرغد.

ونلتمس في هذا المعَلم الجغرافيّ لهذا الجبل أصواتا كلّها فخمة من ضاد وراء وغين ودال تعبيرا عن صلابة الجبل وقوّته.

وذكر زُهير بن أبي سُلمى الجبل أيضا فقال:[1]

---

[1] زهير مصطفى اليازجي، و أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01. ص21.

[2] بو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص44.

[3] المرجع السّابق، ص73.

جعلنَ القنانَ عن يمينٍ وحزنَه   وكم بالقنانِ من مُحلٍّ ومُحرمِ.

وذكر لبيد بن ربيعة الجَبال في أولّ بيتٍ من المُعلّقة أيضا في قوله[2]:

عفتِ الديّارُ مَحلُّها فمُقامُها   بمِنًى تأبّدَ غَولها فرِجامُها.

فمَدافعُ الريّانِ عُرِّي رَسمُها   خَلَقًا كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُهَا.

خاصّة لما تزخر به من أعلام جغرافيّة عديدة ومتنوّعة.

"وجبل السّراة هو الحدّ بين تهامة ونجد، وذلك أنّه أقبل من قُعرة اليمن، وهو أعظم جبال العرب، حتّى بلغ أطراف بوادي الشّام، فسمّته العرب حجازا، وقطعته الأودية، حتّى انتهى إلى ناحية نخلة، فمنه خيطى ويسوم، وهما جبلان بنخلة[3]".

8. الأعلام الجغرافيّة الخاصّة بالبُرق والدّارات:

وعن معنى البُرق فإنّ " البُرقة والأبْرَق والبَرقَةُ ، والبَرقاء: مكان اختلط تُرابُه بحجارة أو حصى، والجمع الأبارِق والبُرَق، والبِرَق، إذا حمل على معنى البقعة أو الأرض، قيل: البَرقاء، وإذا حمل على المكان أو الموضع قيل: الأبْرَق. و ثهمد: موضع في قول طرفة بن العبد"[4]:

لخولةَ أطلالُ ببرقةِ ثهمدِ   تلوحُ كباقي الوشم في ظاهرِ اليَدِ.

والأبرق أيضا "الأبرق: جبل مخلوط برمل وهي البرقة، وكلّ شيء خلط من لونين فقد برق[5]" ومن معانيها أيضا " منطقة الدّارات: وهي المناطق السّهليّة الّتي تاخذ شكلا قريبا من الاستدارة وتحوي قدرا من المياه الجوفيّة، إلى جانب مساحات واسعة لامتدادات مقفرة[6]"، " أمّا البرق فهي غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة وتنبت أظهرها البقل والشّجر وتكون إلى جنبها الريّاض أحيانا"[7].

---

[1] المرجع نفسه، ص.84

[2] المرجع نفسه، ص102.

[3] أبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكريّ الأندلسيّ، ج01، عارضه بمخطوطات القاهرة، وحققه وضبطه، مصطفى السّقا، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، ص08.

[4] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص51.

[5] الجاحظ، مراجعة طاهر الجزائريّ، الحنين إلى الأوطان، مؤسسة هنداوي، 2017، ص 06.

[6] جبران، روضة سحيم حمد آل ثاني، مؤسسة حمادة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، 1998، ص23.

[7] نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشّعر الجاهليّ، دار الإرشاد للطّباعة والنشّر، بيروت، ط01، 1970، ص36

وعن البرق" ربّما تكون العوامل الّتي دعتهم إلى ذكرها هي نفس العوامل الّتي دفعت الشّعراء إلى ذكر الدّارات ولكن الّذي يتميّز في البرق أنّها كانت في أغلب الأحيان تتّخذ أماكن للاستقرار وإقامة القبائل وأشهر هذه البُرق برقة ثهمد الّذتي افتتح بها طرفة معلّقته"[1].

لقد كان لتأثير الأعلام الجغرافيّة المتمثّلة في البرق دور فعّال في الشّعراء لكنّه مختلف وكلّ واحد من أصحاب شعر المعلّقات ردّة فعله واستجوابه نحوها، والكلّ صوّرها بحسب عيشه وحياته فيها، فأمّا زهيرُ فقد تحدّث عن البُرقة وتواجد أطلال حبيببته فيها، وهو يرى بأنّها لا تزال بارزةً كباقي الوشم في ظاهر اليدّ، فكان للأطلال والبرقة باعثًا دفع شاعرُنا للتّعبير عن مشاعره وأحساسيه المتدفّقة الجيّاشة معبّرا عن النّسيب وحبّه للديّار المهجورة وعن حبيبته فجمع في بيت واحد عن حبّ غزير عظيم وشوق يلدغُ كبده حنينا، ولقد كان من عادات شعراء أصحاب الشّعر الجاهليّ والّذي تمثّله المعلّقات انموذجا الوقوف والتوقّف عند أطلال حبيباتتهم، فكما وقف امرؤ القيس نجد أيضا طرفة بن العبد يقف عند هذه الأعلام الجغرافيّة الّتي سكنتهم فلم يستطيعوا نسيانها، فإن كانت قد انمحت و دُرست لظروفٍ وأحوالٍ طبيعيّة كثيرة فلا يزال أثرها واضح بارز فهو يواصل يقول:

وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون: لا تهلك أسىً وتجلّدِ.

ونجد هذا البيت في معلّقة امرؤ القيس كما هو؛ ولا تغيير فيه إلّا في اللّفظة الأخيرة تجلّد وهي في البيت الخامس من معلّقة امرؤ القيس ببديلها تجمّلِ،

وفي ذكر الدّارات يقول امرؤ القيس وهو يحدّثنا عن استجمام النّسوة في الوادي فنقل إلينا الأحداث وهو يعيش الدّعة والنّزوة:

ألا ربَّ يومٍ لك منهنّ صالحٍ ولا سيّما يوم بدارةِ جُلجُلِ[2].

ودارة جلجل: غديرٌ بعينه

فكان لدارة جلجل تأثير قويّ في نفس الشّاعر سواء من رقرقة مياهه، ونحن نعلمُ قيمة الماء عند العربي وما يمثّله له من حياة له ولماشيته، ثمّ ما عاشه فيه من ترفٍ وحدثٍ لا يُنسى مع الآنسات، ولقد حوّل الشّاعر اسم المكان دارة جلجل إلى معلم مشهور يعرفه العامّ والخاصّ، والقاصي والدّاني، والقريب والبعيد، حين اشتهر في قصيدته فحوّله إلى معلم جغرافيّ بامتياز

[1] المرجع نفسه، ص36.

[2] زهير مصطفى اليازجي، و أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01.

فكان هناك تأثير وتأثّر واضح بين هذا المعلم الجغرافيّ والمعلّقة الشّعريّة، فقد عاش الشّاعر أحداث جميلة أرّخها هذا المعلم الجغرافي "ومعلّقة امرؤ القيس أجمل قصائده وقد شرحها كثيرون، وأفضل شروحها شرح التّبريزيّ والزّوزنيّ، وقد نظمها الشّاعر يوم دارة جلجل، حيثُ التقى بابنة عمّه شرحبيل – وكان محبّا لها- تتنزّه مع سرب من العذارى فذبح لها ولهنّ ناقته، ثمّ أرّخ هذه الحادثة وحوادث أخرى في هذه المعلّقة الّتي لا يبعد أن تكون قد نظّمت على دفعات"[1]، وكان لتأثير الدّارة الجلجليّة أثر عميق في صدر الشّعر الّذي أزمعها وأشربها في قلبه فدفعت به لنثر هذه الأبيات النّفيسة حيثُ" ذكر روّاة أيّام العرب أنّ امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو الكنديّ كان يعشق عنيزة ابنة عمّه شرحبيل، وكان لا يحظى بلقائها ووصالها، فانتظر ظعن الحيّ وتخلّف عن الرّجال حتّى إذا ظعنت النّساء سبقهنّ إلى الغدير المسمّى دارة جُلجُل واستخفى لأنّه كان يعلم أنّهنّ إذا وردن هذا الماء اغتسلن، فلمّا وردت العذارى اللّواتي كانت عنيزة فيهنّ ونضون ثيابهنّ وشرع بالانغماس في الماء ظهر امرؤ القيس وجمع ثيابهنّ وجلس عليها، ...فقال لهنّ لو عقرت راحلتي أتأكلن؟ قلن: نعم، فعقر راحلته ونحرها، وجمعت الإماء الحطب وجعلن يشوين النّحل إلى أن شبعن، وكانت معه ركوة فيها خمر فسقاهنّ منها فلمّا ارتحلن قسّمن أمتعته فبقي هو دون راحلة، فقال لعنيزة: يا ابنة الكرام لا بدّ لك من أن تحمليني، وألحّت عليها صواحبها على أن تحمله على مقدّم هودجها، فحملته..."[2]
ففيه يواصل الشّاعر يقول[3]:

ويوم عقرتُ للعذارى مطيّتي فيا عجبًا من كوره المتحمّلِ.

فظلّ العذارى يرتمين بلحمها وشحمٍ كهدّاب الدّمقس المفتّلِ.

"والعذارى الفتيات اللّواتي لم يتزوجن، والعذراء من النّساء: البِكر الّتي لم تفتضّ، والجمع العذارى"[4]

[1] أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزّوزني، شرح المعلّقات العشر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1983، ص25

[2] أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزّوزني، شرح المعلّقات العشر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1983، ص28

[3] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص11/10.

[4] المرجع نفسه، ص10

وقد ورد المعلم الجغرافيّ المتمثّل في البُرق أيضا لدى الشّاعر الحارث بن حلّزة في البيت الثّاني من معلّقته فهو يقول[1]:

آذنتنا ببينها أسماءُ   ربّ ثاوٍ يملُّ منه الثّواءُ.

بعد عهد لنا ببُرقة شمّا   ءَ فأدنى ديارها الخلصاءُ.

وقد ألحقها الشّاعر في البيتين المواليين بكلمات كلّها أعلام جغرافيّة لمواضع عاش فيها طويلا ويحدّثنا بعد ذلك عن بكائه دلها ذاهب العقل بسبب البين والهدف من البكاء الّذي لم يُجرِه شيئ فهو يقول[2]:

فالمُحيّاة فالصّفاح فأعنا   قُ فتاق فعاذبٌ فالوفاءُ.

فريّاضُ القطا فأوديّة الشّر   بب فالشُّعبتان فالأبلاءُ.

لا أرى من عهدت فيها فأبكي اليـ   وم دَلْهاً، وما يُحير البُكاءُ.

ففي البيتين إشارة واضخة إلى حياة الشّاعر الّتي كانت تتلألأ زاهية بالبرقة الشمّاء وقد مكث بها طويلا جدّا إلى أن غادرها مضطرّا بحثا عن ظروفٍ أفضل.

وهكذا كان للأعلام الجغرافيّة بكثرتها أنّها قد زادت القصائد قشيبا ومفأما.

وللبُرق هذه والمعالم الجغرافيّة الأخرى المذكورة بجانبها قيمة وقمّة وأهمّية كبيرة عند الكثير من الدّارسين في مختلف العلوم فهي تعتبر المشرب الّذي يرتوي منه هؤلاء الباحثون ظمأهم، فهي فوق زيّادة القصائد جمالا ورزينة، كذلك تزيدك شعورا بالانتماء كما وأنّها تحافظ على التّراث العربيّ الأصيل وبقاء مصطلحات حيّة منيرة لا تأفل أبدا، "في بلاد العرب دارات كثيرة، وهي كلّ أرض واسعة بين جبال، وقال الأصمعيّ: الدّارة كلّ ما اتّسع من الأرض وأحاطت به الجبال...ولبعض الدّارات شهرة كبيرة في الأدب العربيّ، لورودها على ألسنة الشّعراء، وتغنّيهم بها، وتذكّرهم أيّامهم الّتي قضوها في رُبوعها، وقد ألّف الأصمعيّ كتابا فيها، وذكر البكريّن أنّ ابن فارس ألّف كتابا في الدّارات والبُرق"[3]، "واختلف في عدد الدّارات، ذكر الأصمعيّ: أنّ دارات العرب المعروفة في بلدانهم وأشعارهم، ستّ عشرة دارة، وذكر البكريّ

---

[1] المرجع نفسه، ص176 .

2 المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3] نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشّعر الجاهليّ، دار الإرشاد للطّباعة والنشّر، بيروت، ط01، 1970، ص32.

منها اثنين وعشرين دارة، أمّا ياقوت فقد ذكر نيّفا وستّين دارة...وأشهر دارة هي دارة جلجل الّتي اقترنت بامرئ القيس"[1].

9. الأوديّة والأنـهار والوُهّاد والمُنخفضات:

لقد كان للأوديّة أيضاً نصيبٌ موفورٌ وحصصٌ عظيمةٌ قد نالت اهتمامَ الشّعراءِ، ففي الأودية أيضاً مناظرٌ جذّابةٌ وخلّابةٌ، وكثيرٌ ما تكون مكانًا خصبًا بالعشب والكلأ، ففيها يجتمع الضّروريّان اللّذان يحتاجهما العربيّ؛ الماءُ والكلأُ، ولذلك فلا غرو ولا عجب أن نجدَ الشّاعر العربيَّ يحفلُ بها شعرَه، فلقد شمل شعرُ المعلّقات على أعلامٍ جغرافيّةٍ عديدةٍ وكثيرة لأوديةٍ مختلفةٍ، فالحديثُ عن الوادي يُذكّرنا بالكثيرِ ممّا له علاقةٌ مباشرةٌ بحياةِ العربيِّ كحبّه وشغفه وولهه بالمطر الّذي نتج عنه هذا الوادي وكذا الرّعي فيه لما نبت فيه من عشبٍ وهشيمٍ أضحى لمواشيه مسرحاً ومرتعاً تُسيم أولادها فيه، ففي الوادي أحاسيسٌ لا يمكن وصفها؛ ومشاعرٌ مختلطةٌ جميلةٌ وعميقة، فالوادي يُمثّل أصلَ ومصدرَ الرّزق لدى العربيّ، فكان العربيّ يتذوّق الأعلام الجغرافيّة بكامل جوارحه ولذلك توقّفوا عندها ونقلوها في شعرهم ووصفوها وصفا دقيقا عجيبا.

فالشّعراءُ يعتدّون كثيرا بمدى معرفة شتّى بمعالمهم الجغرافيّة الّتي انتشروا فيها على بقاع جزيرتهم، ولأنّ الشّاعر ابن بيئته فنجده يشبّه هذه الأعلام الجغرافيّة بما يعرفه فيها ولا يزيد نحو من مثل ما صنع امرؤ وهو يقول واصفاً الوادي[2]:

ووادٍ كجوف العَيرِ قَفرٍ قطعتُهُ   به الذّئبُ يعوي كالخليعِ المعيَّلِ.

وهو هنا يقول: "وربّ وادٍ يُشبه وادي الحمار في الخلاء من النّبات والإنس، أو يشبه بطن الحمار، وكان فيه الذّئب يعوي من فَرط الجوع كالمُقامر الّذي كثر عيّالُه؛ ويُطالبُه عيّالُه بالنّفقةِ وهو يصيحُ بهم ويُخاصمُهم إذ لا يجدُ ما يُرضيهم به"[3].

وهو في هذا البيت يشبه تماماً وصف الشّاعر عبيد بن الأبرص في وصف الصّحراء يشبّهها بالحمار"فعبيد قد ورد ماءً آسناً وسلك طريقاً مخوّفاً قَفراً يُحلّق في سمائِه الحمامُ، ويَسري الخوفُ في فُؤاد سالكهِ، وهو قد اجتازهُ صباحاً، وكان مُجدّا في قَطعه غيرَ متوانٍ،

---

[1] المرجع نفسه، ص34.

[2] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص31.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومَطيّتُه ناقةٌ ضَخمةٌ تخبُّ في سيرها، وهي قويّةٌ؛ فقراتُها متماسكةٌ، وحاركُها مشرفٌ ملسٌ فكأنّه الكثيبُ، وهي ليست مسنّةً، وليست صغيرةً لا تقدرُ على الصّمُود أمامَ مخاطر الصّحاريّ فكأنّها حِمارٌ جونٌ في جنبه آثار عضٍّ، أو كأنّها ثورٌ قويٌّ فتيّ يرعى نباتاً يدعى الرّخامى وهو يجري وتُحيط به من كلّ مكانٍ ريحٌ قويّةٌ[1] وهو يقول[2]:

بل رُبّ ماءٍ وردتُه آجنٍ سبيلُه خائف جديبُ.

ريشُ الحمام على أرجائه للقلب من خوفه وجيبُ.

قطعتُه، غُدوةً، مشيحاً وصاحبــي بادنٌ خبوبُ.

عيرانة مؤجد فقارها كأنّ حاركها كثيــبُ.

أخلف ما بازلاً سديسُها لاحقة هـــي، ولا نيوبُ.

كأنّها من حمير عاناتٍ جَوْنٌ بصفحته نُدوبُ.

أو شببٌ يرتعي الرُّخامى تلفّه شمأل هبوبٌ.

المعلم الجغرافيّ المتمثّل في الجبل "فهو هنا يصوّر اجتيازه لصحراء مخوّفة، تتصفرّ فيها الرّيح وريش الحمام يتطاير في أرجائها، والقلب ترعد فرائصه خوفاً من المجهول، ولكنّه يقطعها معرضاً عن المخاوف يمتطي ناقةً فتيّةً كأنّها الحمار المخطط أو الثّور الفتيّ الّذي تحيط به الرّيح من كلّ جانبٍ، وهو منصرفٌ إلى طعامه يرعى البقول"[3]، والمنخفضات يُطلق عليها لفظة البطن و أمّا ما ارتفع من الأرض فيُطلق عليه: الظّهر، "والأصلُ أن يُطلق لفظُ البطن على الوادي والغامض من الأرضّ[4]".

وقد ذكر زُهير بن أبي سُلمى وادياً اسمه السّوبان كانت تأتيه النّسوةُ للانتجاع والسّقي وقد كان بذلك قد نقل إلينا صفاء الطّبيعة الطّيبة الغنّاء الكريمة بصحاري الجزيرة العربيّة وجمالها الفاتن فهو يقول[5]:

فلمّا وردن الماءَ زُرقاً جِمامه وَضعن عَصيّ الحاضرِ المُتخيّم.

ظهرن من السّوبان ثمّ جَزعنَه على كلّ قَينيٍّ قَشيبٍ ومُفأم.

---

[1] زهير مصطفى اليازجيّ وأحمد عبد الله فرهود، المعلّقات العشر، دار الرّفاعي للنشر، دار القلم العربيّ، 2005 ص143.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع السّابق: ص 144

[4] يوسف أحمد علي أبو ريدة، إشراف: يحي عبد الرؤوف جبر، أعلام المكان في القرآن الكريم، دراسة دلاليّة، ، قدّمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلّبات درجة الماجستير، جامعة الخليل، 2008/2007، ص 94.

[5] زهير مصطفى اليازجيّ وأحمد عبد الله فرهود، المعلّقات العشر، دار الرّفاعي للنشر، دار القلم العربيّ، 2005 ص44.

ومن الأنهار المذكورة في المعلّقات، نهر الفُرات في معلّقة النّابغة الذّبيانيّ فهو يقول:

فمَا الفُراتُ إذا هبَّ الرّياحُ لَهُ ترمِي أوَاذيُّهُ العِبرَينِ بالزّبد[1].

يمدُّه كلُّ وادٍ مُترعٍ لَجِبٍ فيه رُكامٌ مِنَ الينبُوتِ والخَضَدِ.

يظلُّ من خوفه الملاّحُ مُعتصماً بِالخَيزَرانةِ بَعْدَ الأَيْنِ والنَّجَدِ.

كما وقد جاء في قصيدة عبيد بن الأبرص عن الأودية والجداول فقال[2]:

أو فَلْجُ وادٍ ببَطنِ أرضٍ للْماء مِنْ تحْته قسيبُ

أو جدولٌ في ظلالٍ نخِلٍ للْماء مِنْ تَحتِه سُكوبُ

وفلج: نهر صغير، وقسيب الماء وأليله وثجيجه وعجيجه: صوت جريه، وروى الأزهريّ: أو جدول في ظلال نخل"[3]

10. البحر:

يعتبر البحر معلماً لا جدال في ذلك، هو الدّليل والموجّه والبارز الشّامخ كالجبل يستعين به النّاس لتحديد المواقع والمعالم الجغرافيّة الأخرى المجهولة، ولذلك فالمنطقيّ الّذي لا نقاش فيه هو أنّ الشّعر العربيّ عامّة والمعلّقات خاصّة الأصل فيها أنّها تكون جلّ ألفاظها عن البحر ثمّ البحر ثمّ البحر، لكن للأسف لم تَرد كلمةُ البحر في المعلّقات إلّا مرّة واحدة مع الشّاعر امرئ القيس، ولم يستعملها شاعرنا ههنا كمعلم جغرافيّ يحدّثنا فيها عن واقعة ما أو حادثة عاشها فيه، وإنّما استعماله له كان كمشبّه به لتوضيح فكرته والمتمثّلة في طول اللّيل الّذي تلوّن في أعماقه بالهموم وقد طال زمنه على الشّاعر فلم ينقض وكلّ ذلك جليّ في قوله الشّهير:

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدولَه بأنواع الهموم ليبتي.

فقلت له لمّى تمطّى بصُلبه وأردفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ.

وهذا رُغم أنّ البحر يحيط بالجزيرة العربيبة من كلّ الجوانب والنواحي تقريباً فهي جزيرة.

11. أعلام جغرافيّة مختلفة:

[1] أحمد بن الأمين، الشّنقيطي، شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها، اعتنى به: عبد الرّحمان المصطاويّن دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2010، ص264/263.

[2] المصدر نفسه، ص273.

[3] المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

وأقصد بها مواضع وأعلام جغرافيّة وردت بقلب المعلّقات كمعالم جغرافيّة لا تقلّ أهميّةً وقيمةً عن باقي المعالم الجغرافيّة الأخرى الذّائعة الصّيت بين النّاس المتلقّين من أطلال وجبال وأودية وشمس وقمر وغيرها نظرا لقيمتها وأهميّتها كمعلمّ أشمّ يلمع بعمق المعلّقة، ولذلك تطرّق شعراء المعلّقات إلى الكثير من الأعلام الجغرافيّة لمواضع شتّى مختلفة لا تقلّ شأنا وعظمة ودورا في تأثيرها في الشّاعر والمتلقّي على السّواء ومن ذلك مثلا بلد تدمر فيذكرها الشّاعر النّابغة الذّبياني في بيت يقول فيه:

وخَيِّس الجِنَّ إنّي قد أَذِنت لَهُم يَبنون تدمر بالصُّفّاح والعُمُدِ[1].

وتدمر معلم جغرافيّ شهير وقد زادته القصائد الطّويلة شهرة وجمالا خاصّا ومعنى آخر لفت ا عميق توغّلت فيه النّفس لتبحث عمّا تركه هذا الأثر التّاريخ من آثار كما وقد برهن على أنّ المعلّقات ليست مجرّد شعر وإنّما علم جمّ للكثير من العلوم التّاريخيّة والدّينيّة والسّياسيّة وغيرها كثير، وكان بذاك أيضا قد لوّن القصيدة بماضٍ يحنّ السّامع له إلى الماضي الضّارب في أغوار التّايخ يتذوّق ويعيش حياة الأجداد والماضين ويذكر حياتهم وأخبارهم.

وفي معلّقة **الحارث بن حلّزة** معلمٌ جغرافيٌّ تمثّل في ذي المجاز فهو يقول[2]:

واذكروا حِلْفَ ذي المجاز وما قُدّمَ فيه لبعُهود والكُفلاء.

والمقصود بذي المجاز: "موضع جمع به عمروا بن هند بكرا وتغلب وأصلح بينهما وأخذ منهما الوثاق والرّهون. المعنى: واذكروا العهد الّذي كان منّا بهذا الموضع وتقديم الكفلاء فيه[3]"

فمثل هكذا أعلام جغرافيّة واردة في المعلّقات العربيّة الجاهليّة تحتاج إلى تمعّة أكبر وتحليل أعمق ووقوف وتوقّف أطول لنلتمس روعتها الفنّيّة الجماليّة ومدى أهميّتها، فالأعلام الجغرافيّة ليست محرّكة ومثرة للأحاسيس والمشاعر فقط وأنّما تطير وتعلّق بالإنسان المتلقّي كاملا غير منقوص سواء أكانت الشّهيرة منها أو المتخفيّة المنسيّة في أغوار الأبيات كهذه الّتي هي محلّ دراسة بهذا المبحث، كتدمر وذي الحجاز فشكرا للشّعراء على هذه الأطباق المعلميّة الجغرافيّة اللّذيذة الّتي أكرموا بها أفئدتنا وألبابنا وأراحوا بها مشاعرنا فأثلجوا صدورنا.

---

[1] أحمد بن الأمين، الشّنقيطي، شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها، اعتنى به: عبد الرّحمان المصطَاوي دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2010، ص258.

[2] المرجع نفسه: ص207.

[3] المرجع نفسه: ص207.

أو لفظة إرم أيضا الواردة في القرآن الكريم في سورةِ الفجر (إرم ذات العِماد) الآية 07، إذ وردت في معلّقة **الحارث بن حلّزة قوله**[1]:

إرميٌّ بمثله جالت الجِ نّ فآبت لخصمِها الإجلاءُ.

وهذه جماليّة أخرى تضاف إلى جماليّة الأعلام الجغرافيّة بالمعلّقات الجاهليّة ألا وهي جماليّة التّقاطع والاشتراك بينها وبين القرآن الكريم، جماليّة الحبّ للدّين والتّراث والتّاريخ.

[1] المرجع نفسه: ص207.

12.الأعلام الجغرافيّة الفلكيّة:

قال الله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السّماء بروجا وزيّناها للنّاظرين، وحفظناها من كلّ شيطان رجيم﴾ سورة الحجر، الآيتان: ﴿ 17/16 ﴾.

عند حديثنا عن الأعلام الجغرافيّة في المعلّقة الجاهليّة قد يتبادر إلى الذّهن في بادئ الأمر أنّ الأعلام الجغرافيّة هي فقط ما كان له علاقة بسطح الأرض دون السّماء لكن الأعلام الجغرافيّة ونظرا لدورها وأهميّتها فلقد تشمل كلّ ما في الكون أرضا وسماءً؛ فالجغرافيا تختصّ بكلاهما ولا يمكن أن تفصل الجغرافيا بين ما في السّماء والأرض "بحيثُ تمّ الرّبط في تناول الفكر الجغرافيّ بين ما يوجد فوق سطح الأرض وما يشاهد في السّماء[1]" والمعرفة اليوم تجمع العلوم جميعاً؛ فلا غرو أن يكون علمُ الفلك من علم الجغرافيا، أو أن يكونا معاً علما واحدا تحت سقف واحد يجمعهما؛ مُمثّلا تواشجاً بينيّاً و"في ضوء ذلك فقد أصبح موضوع الفكر الجغرافيّ من المواضيع الأساسية والمهمّة لكلّ جغرافيٍّ لكونه يضعُ الأساسَ لماهية علمِ الجغرافيّةِ وحدود أبحاثه وعلاقته بالعلوم الأخرى، فهو يركّز على جوانب واسعة جدّا من علم الجغرافيّة الّذي يتضمن الاختلافات المكانيّة Variationfrom Place To Place والعلاقات المكانيّة بين هذه الظّواهر"[2] ولذلك كان للأعلام الجغرافيّة أهميّة عظمى سواء تلك الّتي تعلّقت بما في الأرض أو تلك الّتي نُشاهدُها في السَّماء من كواكب ونجوم "وقد حدّدت المعرفةُ الجغرافيّةُ وفكرُها الجغرافيُّ بمعرفة علم الفلك الّذي شكّل القاعدة الأولى والمهمّة من قواعد الفكر الجغرافيّ، إذ ضمّ الفكر الجغرافيّ خلال الأزمنة الغابرة ولدى الشّعوب البدائيّة والمتحضّرة دعامتين أساسيتين هما نظرة الإنسان إلى سطح الأرض؛ ورفع عينيه نحو السّماء وما فيها"[3] فما يدرسه علمُ الجغرافيّةُ وهو يهتمُّ بالأعلامِ المكانيّةِ على سطح الأرض؛ لا يمكن لدارس علم الفلك وما في السّماء الاستغناء عنه، والأمرُ نفسُه للجغرافيّ بما تحتويه السّماء من أفلاك وكواكب تسبح وتتساح في الفضاء، فالعِلمانِ الجغرافيّ والفلكيّ متداخلان متواشجان جدّا مكمّلان لبعضهما كجسد واحد تجري في نواشره زمرةَ دمٍ واحدةٍ أو هما وجهان لعملةٍ نقديّةٍ

---

[1] علي صاحب طالب الموسوي، جوانب من الفكر الجغرافي في القرآن الكريم، مجلة البحوث الجغرافيّة، العدد العاشر، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، ص17.

[2] علي صاحب طالب الموسوي، جوانب من الفكر الجغرافي في القرآن الكريم، مجلة البحوث الجغرافيّة، العدد العاشر، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، ص17.

[3] المرجع نفسه، ص18.

واحدةٍ؛ ذلك لأنّ هدفهما ومبتغاهما واحدٌ و"تهتمّ الطّوبونيميا بدراسة أسماء الأماكن، وتشتمل في مفهومها العام على دراسة التّسميّات الجغرافيّة والفلكيّة كافّة، معناها ومبناها وأصلها وانتشارها في مختلف المناطق كأسماء الأماكن المأهولة والدّول والبلدان، والمعارف الجغرافيّة الطبيعيّة كالجبال والأنهار والصّحاريّ، والمنشآت الّتي يقيمها البشر كالطّرق والسّاحل وغيرها، إضافة إلى أسماء الكواكب والنّجوم والمذنّبات وغيرها"[1]، ولذلك كانت الأعلام الجُغرافيّة السماويّة هي الأخرى أساسيّة وإحدى لَبِنات المعلّقات العربيّة والّتي اعتمدها أصحاب المعلّقات لتزيين قصائدهم وتنميقها كما أنّها تُساعد على توجيه النّاس ممّا يسهل عليهم حفظها وانتقالها بينهم وترديدها وقد اعتمد شعراء المعلّقات جميعا على الأعلام الجغرافيّة السماويّة، "وقد تتجمّع مفردات النّجوم في الشّعر الجاهليّ ضمن سيّاق الجغرافيّة أو النّجوم أو الطّبيعة[2]"، وإنّ أهم ما يجمع الفلك والجغرافيّة هو الإنسان الأكثر ترحالا وتنقّلا؛ إذ هو بحاجة ماسّة جدّا إلى معالم الأرض كما هو محتاج إلى معالم السّماء "عرض تقليديّ لأدب جغرافيّ نظريّ يتّصل بالأفلاك والنّجوم وصفات كوكب الأرض، وأدب الرّحلات هو ما تستمدّ منها الجغرافيّة واقعيّتها، وبغير الرّحلة لا تعبّر الجغرافيّة عن الحقيقة[3]"، "لقد قدّم لنا الشّعر الجاهليّ صورة جليّة، وانطباعا مناسبا حول السّماء وعناصرها الجماليّة الّتي أثّرت في الرّؤية والخيال عند الشّاعر الجاهليّ، فالشّاعر ينظر إلى الأشياء من حوله، فيتلقّفها خياله ليترجمها ويحيلها إلى كنايات واستعارات[4]".

"وقد مرّت مرحلة طويلة من الزّمن بلا شكّ قبل أن يتوصّل الإنسان إلى تفسير العلاقة بين الأرض والشّمس والقمر، وكذلك العلاقة بين الأرض والكواكب والنجوم الأخرى"[5]، "بدأ علم الفلك وعلم الجيولوجيا يتّخذان شكل العلم، وتحررت دراساتهما من المؤثرات الكنسيّة، واعتمدت

---

[1] عبد العزيز شويط، أثر البيئة في المنجز النقدي المغربيّ القديم، دراسة في طوبونيميّة المواقع والأعلام لصياغة الذّوق النّقديّ ودربته، جامعة جيجيل، مجلّة المقال، العدد 04، ص178.

[2] عبد الإله الصّائغ، الخطاب الإبداعيّ الجاهليّ والصّورة الفنّية، القدامة وتحليل الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط01، 1997، ص202.

[3] عبد الفتاح محمّد وهيبة، جغرافيّة المسعوديّ بين النّظريّة والواقع من الأدب الجغرافي في التّراث العربيّ، منشأة المعارف بالأسكندريّة، 1995، ص09.

[4] نوال عليّ عبد الرّحمان خضر، إشراف: خليل عودة، صورة السّماء والأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغيّة)، قدّمت هذه الأطروحة لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة بكلّيّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة بنابلس فلسطين، 2011، ص10.

[5] أنور عبد الغني العقاد، الجغرافيا الفلكية، دار المريح، الرياض، المملكة العربية السعوديّة، 1983، ص07

على المناهج العلميّة التّجريبيّة، ثمّ أدلت علوم أخرى بدلوها: كالريّاضيّات والطّبيعة، وعلم البحار وعلم تشكّل أشكال الأرض (جيومورفولوجيا)، والكيمياء في محاولة تفسير نشأة كوكب الأرض وتطوّر الملامح (التّضاريس) على سطحه"[1].

عرف العربُ في العصر الجاهليّ علوم شتّى ومتنوّعة و"علم الفلك في الجاهليّة شأنه شأن كلّ العلوم[2]"، لقد عرف العرب هذا العلم وحاولوا التّعمّق فيه نظرا لحاجتهم الماسّة إليه إذ به ينجون من الضّلال والهلاك والتّيه.

الجاهليوّن ذو علم رحب وواسع حيثُ "كان العرب في الجاهليّة، أفرادا أو شعراء، يعرفون القبّة الزّرقاء بنجومها وأسماء كواكبها، كما كانوا يستعينون بمواقعها الفضائيّة في أسفارهم اللّيليّة، وقد تغنّوا بصفاتها بأساطيرها في أشعارهم[3]".

للجاهليّ نظرة ثاقبة وتأمّل بعيد المدى في الحياة "لقد عاش الإنسان الجاهليّ وعينه عالقة ترقب السّماء، فراح يتأمّلها ويترقّب مستجدّاتها؛ وينتظر ما تجوده به عليه، لذا تناول الشّعراء السّحاب فتحدّثوا عنه وعن أسمائه وأنواعه وأشكاله وما ارتفع وما تراكم منه؛ وما علا بعضه فوق بعض، وتحدّثوا أيضا عن ألوانه الّتي تمثّل الخصب أو الجدب؛ فإذا كان السّحاب بطيئا في سيره؛ فذلك دليل على كثرة مائه؛ وإذا كان متدلّيا؛ شبيها بالهدب والخمل فذلك من علامات المطر، وإذا كان لونه أسود أو أخضر يضرب إلى السّواد فهو محمّل بالماء؛ وإذا كان السّحاب أصهب أو أحمر؛ فذلك يدلّ على الجدب والجفاف[4]"، "لا شكّ أنّ البرق اللّامع في السّماء نذير المطر، فالبدويّ يشتاق إلى الخصب والنّماء حين يرى البرق؛ فيبدأ بالتّرقّب وبناء الآمال البعيدة عليه الّتي طالما تمنّاها؛ والشّاعر الجاهليّ هو ابن بيئته[5]"، ولذلك كان الشّاعر علوقا جدّا بالظواهر الطّبيعيّة بمختلف ألوانها سحب وغيوم وعارض وخلّب ومزن

---

[1] أنور عبد الغني العقاد، الجغرافيا الفلكية، دار المريح، الرياض، المملكة العربية السعوديّة، 1983، ص14

[2] محمّد توفيق أبو علي، الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ، دراسة تحليليّة، دار النفائس، بيروت، ط01، 1988، ص195

[3] فواز أحمد طوقان، صورة الفلك والتنجيم في الشّعر العبّاسيّ، ج01، مكتبة طريق العلم، دار الفرابي، بيروت، لبنان،ط01، 2012، ص110.

[4] نوال عليّ عبد الرّحمان خضر، إشراف: خليل عودة، صورة السّماء والأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغيّة)، قدّمت هذه الأطروحة لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة بكلّيّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة بنابلس فلسطين، 2011، ص11.

[5] المرجع نفسه، ص14.

ورعد ومطر وبرق، وكلّ هذا صيّر نهيته مخبولة ولذلك "فالبرق سلب روح الشّاعر وعقله قبل نظره[1]".

تميّز العرب بدقّة النّظر والملاحظة حتّى لربّما تجاوزوا في ذلك الصّقور فلا غرو أن يكون أهدى من القطا؛ تلك هي الحقيقة عن العرب فإنّه فعلا "عُرف العرب بالملاحظة والمشاهدة وطول المرانة كثيرا من الأجرام السّماويّة؛ والأحوال الجويّة، وحركات الكواكب، ومنزل القمر والأنواء، فهم يذكرون في شعرهم أسماء نجوم شتّى كالفرقدين والدّبران والثريّا والعَيوق؛ والسّماء والشّعرى، وقد سجّل شعرهم هذا كلّه؛ وقد سمّوا الأنجم الأربعة الّتي خلف النّسر الواقع؛ أو الطّائر صليباً...وهم عرفوا منازل القمر بأن اتّخذوا في السّماء ثماني وعشرين كوكبة (مجموعة) لا تبتعد عن فلك القمر كثيرا ، تدلّ كلّ منها على موضع القمر في إحدى ليالي الشّهر، كذلك جاء في القرآن: ﴿والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم[2]﴾ سورة يس الآية: 39، "وطبيعيّ أن تكون معرفتهم بالأنواء عظيمة؛ لأنّ حياتهم وأرزاقهم ذات صلة وثيقة بالمطر والمرعى؛ فهم يتطلّعون إلى السّماء يتشوّفون مطرها، ويشمّون برقها، لذلك كانت لهم فِراسة وخبرة بالسّحاب المُمطر والجهام، وبالبرق المنجز والخلب، والرّيّاح وخواصها[3]"

فهذا امرؤ القيس يقول:

فيا لك من ليلٍ كأنّ نجومَه بأمراس كتّانٍ إلى صُمّ جَندَل.

فتظهر قيمة وقمّة الأعلام الجغرافيّة السّماويّة في اللّيل وفي شدّة الظّلام الحالك، ذلك لأنّه إذا حلّ الظّلام زالت وأفلت الأعلامُ الجغرافيّةُ الّتي على سطح الأرض لتحلّ محلّها أجرام السّماء، فيلوذ العربيّ ويفرّ متّجها بنظره إلى السّماء ليهتدي ببروجها؛ ولذلك أحبّها العرب وتعلّقوا بها فذكرها الشّعراء في معلّقاتهم دون تردّد فكما روّجوا في أشعارهم للأعلام الجغرافيّة الّتي قطنوها على سطح الأرض فأزمعوها في صدورهم ووطّنوها توطينا بأفئدتهم، أيضا تطرّقوا في أشعارهم بما في السّماء من نجوم وأفلاك لقد استعمل الشّعراء في العصر الجاهلي كثيرا ممّا له علاقة بمعجم السّماء؛ من شمس وقمر ونجوم وأفلاك وكواكب وأبراج؛ فكانت منبعا مهمّا لتجسيد خيالهم؛ فاستعاروا ألفاظهم منها واستعملوها في مجازهم وتشبيهاتهم وجميعَ صوّرِهم وأخيلتهم؛ اعتمدوا لغة الفلك في مدح الملوك للتّعبير عن السموّ والرِّفعة والمكانة

---

[1] المرجع نفسه، ص16.

[2] أحمد محمّد الحوفي ، المرأة في الشّعر الجاهليّ، دار الفكر العربيّ، ط02، ص 525.

[3] المرجع نفسه، ص326.

والسّؤدد؛ كما استعانوا بها في رثاء الأحبّة والبُكاء عليهم؛ وفي شتّى أغراضهم الأخرى، كانت عناصر السّماء شمساً وقمرا ونجوماً لمشاعرهم، ولذلك عَرف علمُ الفلك امتزاجا وتداخلاً وبينيةً بالشّعر أغواره، وقد مثّل نقلاً لأحوال الشّاعر ومجتمعه وظروفه ووجدانه، فلا غرو أن يعكس غنى الشّعر العربيّ في العصر الجاهليّ الظّواهر الفلكيّة؛ نظرا للمعرفة الدّقيقة للعربيّ بهذه الظّواهر ونظرا لامتزاجه بكلّ ما في الكون جميعا أرضا وسماء، فكانت لهم خبرة طويلة وتجربة عميقة بما يجري حولهم؛ بما في ذلك ما يُحيط بهم في الأعلى من فوقهم فقد تطرّقوا في شعرهم إلى علم الفلك لكأنّهم حلّقوا وسبحوا في السّماء وتيقّنوا من عناصرها ومكوّناتها واثقين بأنفسهم عند التّصوير باستعمالها. فأبدع الشّعراء في نقل ما رأوه في السّماء إبداعا وجمالا حيثُ وصفوا القمر والشّمس والأبراج والكواكب والثّريّا الّتي هي مجموعة من الكواكب وعددها سبعةٌ، وبذلك كانت علاقةٌ كبيرةٌ بين علم الفلك والشّعر نابعة من شغف الشّاعر بالمجالين المختلفين مجال الشّعر ومجال علم الفلك، فأثّر في مشاعر المتلقّي وعاطفته بعد أن نقل عواطفه ومشاعره إليه عبر قنوات الفلك وشكّل ذلك تداخل وتمازج وبينيّة عميقة تجمع بين مشاعر الشّاعر والأعلام الجغرافيّة ونفسيّة المتلقي ووجدانه ومشاعره وربّما نتج عن هذا الجمع والبينيّة نصوصٌ أدبيّةٌ إبداعيّة جديدةٌ تحتاج إلى ترجمة وتدوين ونسخ ونقل من جديد، فليس هناك شك في وجود تفاعل بين النّص وما احتواه من أعلام جغرفيّة ونفسية الشّاعر وعواطف المتلقّي وهذه بينيّة مشتركة مغيّبة وغير مهتمّ بها ولا بدّ من الوقوف عندها، ويؤكّد الحسن طالبي ارتباط الإنسان العربيّ بالفلك، فقد كان العرب عامّة والشّعراء خاصّة يمتلكون معرفة علميّة متداولة في المجتمع المحلّي "فكان من الطّبيعيّ أن نجد كمّا هائلا من الظّواهر الفلكية وأسماء النّجوم والكواكب والأبراج في الشّعر العربيّ"

والمقصود بالأبراج الفلكيّة: تقسيمات للدّائرة الّتي تمرّ فيها الشّمس والقمر والكواكب الثمانية، وللاستزادة تحمل الأبراجُ أسماءَ حيواناتٍ وأشياءَ وشخصياتٍ دينية وأسطوريّة.

وقد ظلّ الشّاعر العربيُّ مرتبطًا بالسّماء لأنّها وفق طالبي "مثيرة للعواطف والأفكار والتّأمّل" ولأنّ الشّاعر كان دائما يرفع عينَيْه إليها ليهتدي بنجومها ويستضيء بقمرها في سفرهِ للتّجارة والحجّ والعلم.

ويبدو أنّ جمالَ السّماء وسحرَها كان له الدّفعُ القويُّ والمصدرُ الأساسُ على ابتكار الشّعراء للمعاني والأفكار وتوليدها وتنميق الأسلوب

ومن أهمّ مدوّنات السماء وظواهرها في المعلّقات:

أ *الشّمس: ﴿ومن آياتِهِ اللّيلُ والنّهارُ، والشّمسُ والقمرُ، لا تسجدوا للشّمسِ ولا للقمرِ، واسجدُوا للّهِ الّذي خَلقهنَّ، إن كنتم إيّاه تعبدون،﴾ ، فصّلت السّورة.

وقد اختار الشّعراء الشّمس أيضا كثيرا في شعرهم؛ للتّعبير عن قوّة الجمال الوضّاح والجذّاب السّاحر الفاتن، و نجده مثلا في معلقة الأعشى وهو يصف محبوبته هريرة حيثُ يقول:

يضاحك الشّمسَ منها كوكبٌ شرِقٌ مؤزّر بعميم النبت مُكتهِل.

وهنا؛ يدور الشّاعر الأعشى بفلكها، فيضاحك الشمس بمعنى يميل معها حيثُ مالت، و يدور معها حيثُما دارت، فقد أسقط الشّاعر جمال الشمس المنيرة من كبد السماء على وجه محبوبته المضيئ.

وقد شبّه طرفة بن العبد محبوبته أيضا بالشّمس وهو يصف وجهها بكمال الضّياء والنّقاء والنّضارة، إذ يقول[1]:

ووجهٌ كأنّ الشّمسَ ألقت رداءها عليه نقيُّ اللّونِ لم يتخدّدِ.

وهو تشبيه تام جمع جمال المحبوبة وجمال الشّمس وفي المعنى: تبسّم عن وجه كأنّ الشّمس كسته ضيّاءها وجمالها، فاستعار لضيّاء الشّمس اسم الرّداء. وصورة السحابة تمتاز بالسمو والهدوء.

وهذا يوحي بحبّ الشّعراء لهذا الكوكب المميّز واستعمالهم له عند الضيّاء والجمال والصّفاء.

ب *القمر:

ممّا ليس فيه شكّ هو أنّ للقمر مكانة خاصّة جدّا لدى العربيّ وعند غيره من النّاس جميعا، فالقمر عروس اللّيل وقلب السّماء أيضا، في هذا الوقت السّاكن الهادئ السّاجي، فأكثر ما يدفع الإنسان عامّة للسّمر هو القمر، فما أروع وأجمل السّهرات تحت اللّيالي المقمرة، فلا عجب إذاً أن يلجأ إليه النّاس والشّعراء للتّعبير به وعنه كثيرا وفي مختلف شؤون الحياة، فيضربون به الأمثال بجماله، وباعتماده قلب السّماء في اللّيل، وبنوره السّاطع المضيء ليلا سنىً وسناءً، فلا غرو أبدا والعرب كما وُلعوا بالشّعر وتعلّقوا به، تعلّقوا أيضا بالقمر ووُلعوا به، وهم يرونه دائما معلّقا فوقهم هناك في الأعلى بكبد السّماء فما بالك وحاجتهم إليه لينير

[1] المصدر نفسه، ص28

دروبهم ومسالكهم ليلا، وكذا سمرهم وسهرهم عند ابتغائهم لذلك. فالشّعراء جميعا بل العربُ كلّهم يذكرون القمر ويتغنّون به طول الدّهر سرمدا دون ملل ولا كلل، فالقمر يبعث الإلهام والتّفاؤل والأمل، والشّاعر المغترب عن وطنه وديّاره فلا يتبعه أحد عند ترحاله ممّا رافقه طول حياته إلّا القمر، فأينما حلّ وارتحل يجده، وبهذا تميّز القمر بالوفاء فلا يترك من شُغف به وأحبّه أبدا، فهو مع الشّاعر في جميع اللّيالي وأينما ظعن وانتقل، ولقد كثر استعمال القمر في الشّعر، يتنوّع استعماله بحسب المواضيع والأغراض وبحسب مراحله في النموّ من هلال وقمر وبدر ولقد "اغتبط الشّعراء الجاهليّون بالقمر، فأشاعوا استعماله وفق مشاعر لحظة الخلق الفنّيّ، فهو يفرح معهم ويحزن لحزنهم"[1]

ولكن العجيب والغريب ورغم الأهمّية البالغة للقمر عند العرب والمكانة العالية الّتي يولّونها له إلّا أنّ أصحاب المعلّقات لم يذكورنه؛ لا عفوا ولا ارتجالا ولا قصدا أو تكلّفا، وهي حقيقة يكاد ألّا يهضمها العقل ولا يتقبّلها، لأنّه لا يختلف اثنان في المكانة الّتي يحتلّها هذا الكوكب في عقولهم وصدورهم ونفوسهم ودمهم وكلّ جوارحهم، وهذا إنّ دلّ على شيء فإنّما يدلّ على اهتمام الشّاعر الجاهليّ أوّلا وآخرا بما تمليه عليه تجربته الشّعريّة وشعوره الحقيقيّ الّذي لا يشوبه تصنّع أو تكليف، وبالأحرى أنّ أحاسيسه في تلك اللّحظة، لحظة قول القصائد لم تُملِ عليه أحاسيسه بما له علاقة بالقمر ووجدانه، فخلجاته ووجدانه منشغل بالغرض المقصود لكل شاعر من شعراء المعلّقات، فهو لا يأتي بالألفاظ الّتي لم تخطر على باله أثناء قول الشّعر ولو كان على حساب أعظم المعالم وأحبّها لدى العربيّ، وهذا لا يعني تجاهله للمتلقّي من الجمهور وإنّما هو توافقٌ بينهما ثمّ الجمهور يأتي تالياً، وليس مقترنا ومتطابقا تماما مع بعض، وإنّما ذاته ومشاعره أوّلا بما له علاقة بالمتلقّين، فلا تصنّع ولا تكليف أبدا؛ وفي جميع الأحول والحالات.

ولو خرجنا من المعلّقات للبحث في الأشعار الأخرى للجاهللين لوجدنا ورأينا تلك القيمة والمنزلة الّتي يحتلّها القمر لدى العرب وسنضرب أمثلة أخرة جمّة للشعراء لنرى ذلك:

[1] عبد الإله الصّائغ، الخطاب الإبداعيّ الجاهليّ والصّورة الفنّية، القدامة وتحليل الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط01، 1997، ص226.

ت *السّحاب:

"وظهرت عند العرب جملة علوم كان أهمّها معرفتهم بالنّجوم ومواقعها وأنوائها، والريّاح ومهابها، وقد غنيت اللّغة العربيّة بأسماء المطر والسّحاب والريّاح، ...كما برعوا بالطّب والبيطرة، وإن خالطت الخرافة بعض علومهم، وكان لهم بصر بالفراسة والقيّافة، ولهم علم واسع بالتّاريخ والأخبار والأيّام منذ أقدم الأزمنة، أمّا الأنساب فقد برعوا بمعرفتها وضبطها، ...وقد عرفت لديهم الحكم والامثال[1]".

حَفَلَ شعرُنا القديمُ ومنه المعلّقات على الكثير من معجم علم الفلك وحقله المعجميّ؛ إذ غَرفَ الشُّعراءُ منه بمجالٍ رحبٍ وواسعٍ، ذلك لأنّ الشّعراءَ أرادوا توضيح معانيهم وتقويتها لتُصبح ذات طاقةٍ فعّالةٍ بألفاظٍ جزلةٍ موحيةٍ باستعمال مدوّنة الفلك وعناصره ومركّباته كمعجم لا غنى لهم عنه لنقل أحاسيسهم ومشاعرهم؛ ذلك لأنّهم على علاقة وطيدة ومباشرة بما يجري في السّماء حيثُ كانوا على معرفة ثقافيّة واسعة بعلم النّجوم والكواكب والسّحب والأمطار والأبراج.

فسمح لهم هذا بالتّعبير عن جميع الأغراض من غزل ومدح وفخر ووصف دقيق عجيب يُلفت النُّهية والعقل والقلب والفؤاد؛ ومن ذلك مثلا نجد تشبيه الأعشى في معلّقته لمِشية هُريرة بمرور السّحاب معبّرا عن ولهه وشغفه بها متغزّلا إذ يقول[2]:

كأنّ مِشيتَها من بيت جارتِها   مُرّ السّحابةِ لا ريثُ ولا عجلُ.

وهو تشبيهٌ تامٌّ جمع حبّ الشّاعر لمحبوبته وحبّه للسّحاب الّذي ينتج عنه المطر، فكثيرا ما كان الشّعراء يشبّهون مشي النّساء وغيره من المشي لمختلف الحيوانات بمرور السّحاب، ومن ذلك أيضا مثلا نجد لبيد بن ربيعة في معلّقته يقول وهو يشبّه مشية النّاقة بالسّحاب[3]:

فلها هِبابٌ في الزِّمام كأنّها   صهباءُ خفَّ مع الجنوب جَهامُها.

"والهِباب هو النّشاط، والصّهباء الحمراء، يريد كأنّها – يعني النّاقة – سحابة صهباء، فحذف الموصوف لهو النّاقة وفي الإجمال يقول: لها مثلُ هذا الحالِ نشاطٌ في السّير، فكأنّها في سرعة سَيْرِها سحابةٌ حمراءُ يُنتظر نزول مطرها بشغفٍ[4]".

---

[1] يحي وهيب الجبوريّ، الشّعر الجاهليّ ، خصائصه وفنونه، دار مجدلاوي للنّشر، عمان ط01، 2013، ص 16.
[2] زهير مصطفى اليازجي، أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01. ص118.
[3] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، ط01،2010، ص112.
[4] المرجع نفسه، ص112.

ث* النّجوم: تعتبر النّجوم واحدة من العناصر الأساسيّة الفعّالة الّتي تنشّط الدّورة الدّموية للقصيدة العربيّة؛ وتبعث فيها الحياة وروح الإنعاش أبد الدّهر سرمدا، ولذلك فلا غرو ولا عجب أن تبقى المعلّقات العربيّة منذ أكثر من خمسة عشرة قرنا معلّقة على جدار الدّهر وجدار الصّدور للكثير من النّاس وبين أعينهم يحفظونها عن ظهر قلب وعن بطنه أيضا، ومن ذا الّذي يستغني عنها سواء أكان منتميا إلى الأدب شعرا ونثرا أو منتميا إلى غيره من باقي العلوم، ولقد اتّخذوها ينبوعا يستقون منها الشّعر ولبناته في القول، فكما بقيت النّجوم في سطح السّماء مشدودة سامقة؛ تعبّر عن السّموّ والرّفعة والمكانة، هو الأمر نفسه صنعته للشّعر عامّة والمعلّقات خاصّة ولقد والنّجوم أصناف وأنواع ومسمّيات والعارف بها عالمٌ إذ ليس سهلا الإحاطة بعلمها وإن كنت متخصّصا فيها، فالنّجوم كواكب شتّى ولقد "أَطلق العربُ على المجموعات النّجميّة اسم الكوكبات مثل كوكبة الدّب الأصغر وكوكبة الدّب الأكبر والتّنين والجاثي على ركبته أو الرّاقص والطّائر ، وتقسيم النّجوم إلى كوكبات لم يمنع القدماء من اختيار أسماء خاصّة لأكثر النّجوم لمعاناً في السّماء وهذه الأسماء العربيّة انتقلت إلى بعض اللّغات الأجنبيّة... وبعيدا عن النّظر العلم قريبا من النّظر الفنّي يكون المجاز سيّد الفلك[1]"، "وكانت العرب تؤرّخ بالنّجوم، ثمّ أرّخوا بالحوادث المشهورة؛ فأرخوا بعام الفيل وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي لجلالته فيهم"[2].

ومن هذا كلّه تجدنا لا نستغرب ممّا استعمله الشّعراء بقوّة في الشّعر الجاهليّ من منبع السّماء وعالم النّجوم وذلك لحاجتهم الماسّة إليها؛ إذ بها كانوا يهتدون وبها للطّرقات يمخرون، فكانوا على دراية عميقة وكبيرة بها ومن ذلك قول أبي الشّعراء امرئ القيس[3]:

فيا لك من ليلٍ كأنّ نَجومَهُ بأمراسِ كتّانٍ إلى صُمِّ جَندَلِ.

فقد مزج الشّاعر هنا بين الطّبيعة في منظر اللّيل المُظلم والنُّجوم المتلألئة؛ والّتي تُساعد التّائه على الاهتداء، ولكنّه كان مهموماً فضجِر منها وقنط من طول اللّيل؛ فهو يقولُ مخاطبا اللّيل: "فيا عجبا لك من ليلٍ كأنّ نجومَه شدّت بحبالٍ من الكتّان إلى صخور صِلاب، وذلك

---

[1] عبد الإله الصّائغ، الخطاب الإبداعيّ الجاهليّ والصّورة الفنّية، القدامة وتحليل الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط01، 1997،ص231.

[2] محمّد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهليّ، دار الجيل، بيروت، ط1992،01، ص267.

[3] زهير مصطفى اليازجي، أحمد عبد الله فرهود، المعلقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01. ص18

أنّه استطال اللّيل، فيقول إنّ النّجوم لا تزول من أماكنها ولا تغربُ"؛ وشبّه الشّاعر امرؤ القيس محبوبته بالنّجوم فقال[1]:

نظرتُ إليها والنّجوم كأنّها مصابيح رهبان تتشبّ لقفّال.

فيكشف هذا البيت عن مدى اهتمام الشّعراء بالنّجوم واستعمالها في أفكار ومعانٍ مختلفة ومتنوّعة، فهم كما يصفونها كلاما كأنّك تراها مرسومة أمامك بالكلام فتيسّر لك الدّروب والمسالك في الصّحاري لتخرجك من متاهات التّيه إلى النّور، كذلك استعملها ليشبّه بها محبوبته كما هنا في هذا البيت لامرئ القيس.

وهذا يحيلنا بلا ريب ويدفعنا إلى القول بأنّ الجغرافيّ بحاجة إلى الشّعر الجاهليّ ومنه المعلّقات في دراساته، والأمر نفسه يقال عن الفلكيّ وهويعود إلى المعلّقات للتّحليل والدّراسة.

ج* الثُّريّا:

والمقصود بها "الثريّا تصغير الأثرى للمرأة المتموّلة ومنه الثّريّا لسبعة الكواكب الّتي في عنق الثّور سمّيت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحلّ ومنها الثريّا لمنارة تعلّق في البيوت لمشابهة بينهما والأثرى الكثير المال، والأنثى ثرواء...إذن كثرة النّجوم وضيق الرّقعة والارتفاع في إطار من العتمة ...هده الآليات تشحن صوّر الثّريّا الفنيّة بوهج الشّعريّة، على أنّ أغلب صوّر الثريّا مقترنتة بالسّأم من اللّيل...الّذي جعله الانتظار طويلا مملاّ"[2]

وهي تعني مجموعة من النّجوم في عنق الثّور كما جاء في معجم المعاني الجامع وقد ورد ذكرها في المعلقة كما في قول امرؤ القيس[3]:

إذا ما الثريّا في السّماء تعرّضت تعرُّضَ أثناء الوِشاح المُفصّل.

وإنّ معنى التعرّض، "والتعرّض: الاستقبال، والتعرّض: إبداء العرض، وهو النّاحية، والتّعرّض: الأخذ في الذّهاب عرضا، والأثناء: النّواحي، والأثناء: الأوساط، واحدها: ثنًى مثل: عصاً، وثِنًى مثل: مِعًى، وثِنيٌ بوزن: فَعل مثل: نِحي: وكذلك: الآناء، بمعنى: الأوقات، والآلاء: بمكعنى: النّعم، في واحدها: هذه اللّغات الثّلاث، ذكرها كلّها: ابن الأنباري. والمفصّل: الّذي فصّل بين خرزه بالذّهب أو غيره، فهو يقول: تجاوزت إليها في وقت إبداء

[1] المصدر نفسه، ص78

[2] عبد الإله الصّائغ، الخطاب الإبداعيّ الجاهليّ والصّورة الفنّية، القدامة وتحليل الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط01، 1997.

[3] أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، الطبعة 01، 2010، ص18.

الثّريّا عرضها في السّماء كإبداء الوِشاح الّذي فُصّل بين جواهره وخرزه بالذّهب أو غيره عرضة، يقول: أتيتها عند رؤية نواحي كواكب الثريّا في الأفق الشّرقيّ، ثمّ شبّه نواحيها بنواحي جواهر الوشاح، هذا أحسين الأقوال في تفسير البيت، ومننهم من قال: شبّه كواكب الثريّا بجواهر الوِشاح، لأنّ الثُّريّا تأخذ وسط السّماء كما أنّ الوشاح يأخذ وسط المرأة المتوشّحة، ومنهم من زعم أنّه أراد الجوزاء، فغلط وقال الثّريّا، لأنّ التّعرّض للجوزاء، دون الثّريّا، وهذا قول محمّد بن سلاّم الجُمحي، وقال بعضُهم: تعرّض الثريّا أنّها إذا بلغت كبد السّماء أخذت في العرض ذاهبة ساعة، كما أنّ الوشاح يقع مائلا إلى أحد شقّي المتوشّحة به[1]".

[1] المرجع نفسه، ص18


الخاتمة

خاتمة البحث:

وفي الأخير نخلص إلى أنّ الأعلام الجغرافيّة قطعة أساس في الشّعر عامّة والمعلّقات خاصّة؛ ولذلك سطع حاليا في النّقد الحديث والمعاصر نظير امتزاجهما: الأدبِ الجغرافيّ والنّقدِ الجغرافيّ أو النّقد البيئيّ بدليل أنّ "الجغرافيّة الأدبيّة باعتبارها اختصاصا قائما بذاته لم تظهر إلّا في العقود الأخيرة، يدخل هذا الاختصاص في نطاق الدّراسات الإنجلو أمركيّة تحت مسمّى الأدب الجغرافيّ ويسمّيه الفرانكوفونيين بالتّسميّة نفسها، بل يتم تدقيق الاختصاص بجعله مندرجا تحت مسمّى النّقد الجغرافيّ أو البويطيقا الجغرافيّة وتتوزّع الاهتمامات بهذا الموضوع بين نقّاد الأدب وعلماء الجغرافيا".

وممّا توصّلنا إليه من نتائج البحث:

01- الشّعر محور تلاقي الكثير من العلوم والمعارف التّراثيّة؛ فهو مصدر الكثير من العلوم، كما أنّه فن عظيم ومعرفة شاملة عميقة، ولذلك فهو يشكّل بينيّة العلوم جميعا عند العرب في العصر الجاهليّ؛ وهو المقصود بديوان العرب.

02- تشكّل الجغرافيا بأعلامها المتنوّعة من أطلال وجبال وأودية وميّاه ودارات وبرق مادّة علميّة لا يستهان بها داخل القصيدة الشّعرية إذ تعتبر خريطة مهمّة لدى الجغرافيّ تكتشف من خلالها حياة العرب في شتّى ظروفهم النفسية والاجتماعية والتاريخية والسيّاسية والعقليّة وعاداتهم وتقاليدهم وكلّ ما له علاقة بالعربيّ.

03- الشّعر يحتاج إلى تحليل عميق لسبر غور جمال الأعلام الجغرافيّة وسحرها وما تحمله من دلالات عميقة.

04- على الشّاعر أن يكون ذا اطّلاع واسع على الكثير من الميادين والعلوم ومنها على وجه الخصوص جغرافيا بيئته لنثرها بين أبيات قصيدته لتكسبها وتزيدها سحرا وجمالا يفتن بهما ألباب قارئيها بعد إفادتهم بأخبار الجغرافيّة وليستمتعوا بلغة الأعلام الجغرافيّة المميّزة في الشّعر والانتقال بداخلها هنا وهناك.

05 - أصبحت الدّراسات البينيّة من حيثُ أنّها تُعنى بتكتّل العلوم وتعاونها مع بعض جنبا إلى جنب؛ مطلبا ملحّا وضروريّا لحلّ الكثير من المعضلات الشّائكة والحالكة العالقة، والّتي وقف الاعتماد على تخصّصّ واحد عاجزا على حلّها ممّا أوجب تغيير كلمة علم بكلمة المجال

المعرفيّ كي يكون بذلك المعنى أشمل وأوسع لمختلف العلوم. وأنّ الدّراسات البينيّة هي الحلّ الأمثل والمناسب في مستقبل العلوم للتطوّر والرّقيّ والإبداع والاختراع والابتكار واكتشاف الجديد والنّهوض من الجمود وبعث الحيويّة. وإن كان الشّعر العربيّ القديم قد تمّ التّطرّق إليه بالدّراسة المستفيضة والتّحليل الكثير إلّا أنّه مازال يحتاج إلى قيام ثورة منطلقها يكون بالتّمحيص والدّراسة العميقة أكثر؛ إذ أغلب من تطرّق إلى شرح المعلّقات كان شرحا او تحليلا سطحيا لا يتجاوز شرح الألفاظ غالبا، وشعرنا يحتاج إلى الغوص في أعماقه أكثر والدّراسات البينيّة هي المنهج الّذي يبدو أكثر شموليّة للإحاطة بجوانبها ودراستها والغوص في غورها في مضامين أخرى للشّعر عامّة والمعلّقات خاصّة وليس فقط الأعلام الجغرافيّة الّذي حاولنا من خلالها الإدلاء ببعض جوانب هذا الشّعر الغامق الّذي يحتاج إلى ثورة ضروس كما قلت وأكرر وأؤكد من جديد.

06 – إنّ نتائج العلوم متحرّكة غير ثابتة زئبقيّة في جميع التخصّصات والميادين بما فيها العلوم الدّقيقة، فهي جميعا نسبيّة ومتغيّرة كما يشهد تاريخ العلم نفسه بذلك؛ ممّا يسمح لها بالاحتكاك ضرورة مع نتائج العلوم الأخرى بالتّفاعل معها والاستفادة منها بتبادل الأخبار والخبرات والمعارف والمصطلحات في الأقل الّتي أضحت تنتقّل من نظام تخصّصي إلى آخر.

07– الدّراسات البينيّة ميدان يُعاني الكثير من العراقيل رغم الاعتراف بأهميّتها وقوّتها في الكشف عن الكثير من خبايا العلم وأسراره؛ لعدم وجود اهتمام جدير وأليق بها.

09 – ظهور النّقد الجغرافيّ لتحليل النّصوص الأدبيّة بدل أنواع النّقد السّابقة وكذلك النّقد البيئيّ.

10– يحتاج الشّعر إلى دراسة أكثر عمقا بنظرة جديدة ومختلفة؛ حيثُ تشكّل أعلامه الجغرافيّة لمسات فنّيّة وجماليّة في النّص الشّعريّ كما أًنها تُعتبر المدخل الرّئيسيّ لولوج النّص تحليله من الدّاخل والخارج، فالشّعر نشاط من الأعلام الجغرافيّة منها وإليها يعود مرّة أخرى، فالأعلام الجغرافيّة تمثّل قلب النّص وهويته، وأي محاولة لإهمال الأعلام الجغرافية في النّقد والتّحليل هو إهمال للنّص كلّه وهويته وإقصاء للشّاعر وقصيدته؛ لأنّ الشّاعر والقصيدة جزء من الأعلام الجغرافية الّتي تحويهما.

11– تعتبر الأعلام الجغرافيّة منطلق النّصوص الشّعريّة وقوامها الأساسيّ؛ وهي الباب الّذي ما زال مغلقا لدراسته دراسة متمعّنة ومتفحّصة فنيّة جماليّة استكشافيّة للإحاطة أكثر بمضمون

القصائد من نواح أخرى غير المألوفة وبيان مدى قيمتها ونبضها وما تصنعه من نفَس وحياةٍ للنّصوص فتجعله أكثر شساعة، فالأعلام الجغرافيّة تزيد من رحب المكان حيثُ كلّما تضمّن النّص أعلاما جغرافيّة كثيرة زاد اتّساع النّص؛ لأنّ الأعلام الجغرافيّة هي الأخرى لوحدها تحتاج إلى تحليل عميق؛ يكشف منها الدّارس الكثير من الغموض والأفكار الجديدة؛ وما تخفيه الأعلام الجغرافيّة –في الشّعر عامّة والمعلّقات خاصّة– من أسرار لا يمكن إحصاؤه، وإن كان الشّاعر عصفورا يغرّد بشعره؛ فإنّ الأعلام الجغرافيّة أجنحةٌ ترفعُ الشّاعر ليطير بها في سماء الشّعر، فهي الّتي تدفعه دفعا قويّا إلى العلى والشّموخ، فينطلق لسانه للّتعبير عمّا في وداده وفؤاده وما خلّفته في مُهجته من طربٍ وراحةٍ وسجاوةٍ بعد انفعال وردّة فعل قويّة سبّبتها له.

12 –توصّلنا في البحث إلى أنّ موضوع الأعلام الجغرافيّة في المعلّقة الجاهليّة موضوع عميق ومتشّعب؛ إذ يمكن أن يكون بحثا آخر عن الأعلام الجغرافيّة في المعلّقة الجاهليّة دراسة جماليّة فنّية ربّما أكثر من جمال البلاغة بأنواعها؛ لأنّها تلفت انتباه المتلقّي وتجعله يعيش أحاسيسا ومشاعرا عميقةً ويتحرّك ويتنقّل داخل المعلّقات الجاهليّة؛ فيرحل ويسافر بروحه منفعلا ومتفاعلا مع النّص، والأعلام الجغرافيّة مركزُ الشّعر الّذي يشعّ منه نوره على سائر القصيد وذلك ممّا تتركه من أثر في نفس المتلقّي.

13 – الأعلام الجغرافيّة موضوع محوريّ وتيمة أساسيّة للشّعر منذ القديم؛ ممّا كان من مبادئ المعلّقات وجمالها؛ وهي موضوع أيضا لعلوم أخرى؛ وأساسيّة فيها؛ وتعتبر موضوعها البينيّ وقاسمها المشترك، فالأعلام الجغرافيّة تمثّل بينيّة الكثير من العلوم كالمواقعيّة (علم الأعلام الجغرافيّة) والتّاريخ والجغرافيا واللّسانيات والطّوبونيميا والإيثيمولوجيا والأنتروبولوجيّة والبروكسيميكيّة والجغرافيّة بجميع أنواعها البشريّة والاجتماعيّة وغيرها من العلوم الأخرى.

14– كان للسّماء وما تزخر به من ألوان الكون وضروب الجمال حضورا قويّا في الشّعر العربي منذ القديم إلى يومنا هذا، ممّا زاد هذا الامتزاج بين العلمين الجغروفلكيّ والشّعريّ قوّة في التّعبير؛ وطاقة بلاغيّة جماليّة في الأسلوب والمضمون.

15– يعتبر علم الفلك في الشّعر بابًا رائعا من أبوابه ولا يزال يحتاج إلى حلّ وتحليلٍ؛ فلا أحد يُمكنه أن يُنكر الإضاءة الّتي يُضيفُها ويُضفِيها على القصائد لما يَتركه من جمالية فائقة؛ وفنّية إبداعيّة ملموسة مثله مثل البلاغة بأشكالها أو أكثر، فهو عنصر مهمّ في الشّعر لا بدّ من إعادة دراسته والنّظر إليه بعمق وتفحّص من جديد لسبر غوره وأعماقة .

16- شعرنا العربيّ القديم لا يزال ينبض بالحياة، ولا يزال ينثر سحره ليخبّل الألباب؛ وهو قابل ومتقبّل لجميع الدّراسات ليتكيّف معها كيفما كانت لينتعش من جديد دائما.

17- كشف البحث عن النّزعة الجامحة المتعلّقة لدى الشّاعر الجاهليّ عامّة وشاعر المعلّقات بخاصّة بشغفه وولهه بالأعلام الجغرافيّة وترصيع أشعاره بها، لتتحوّل إلى قيّم في النصّ عديدة مختلفة، تاريخيّة وجغرافيّة وأدبيّة فنّيّة وطوبونيميّة.

18- ومن التّوصيّات المقترحة: يمكن دراسة الشّعر الجاهليّ دراسة بروكسيميكيسيّة **(**علم المكان أو علم دلالة المكان**)** بحسب نظرية إدوارد تي هو.

قامة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

I. المصادر:

القرآن العظيم الكريم.

1) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ، شرح المعلّقات السّبع، بيت الحكمة، ط2010،01.

2) محبوب بن بحر أبو عثمان، الجاحظ ، البيان والتّبيين ، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، مطبعة المدنيّ، الطبعة الخامسة، القاهرة، 1985، ج01.

3) أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القرآن الكريم، الجزء الاول، دار الغد الجديد، القاهرة، ط1، 2007.

4) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001.

5) حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشّعر العربي؛ قراءة موضوعاتية جماليّة، منشورات اتّحاد كتّاب العرب، دمشق، 2001.

6) محبوب بن بحر أبو عثمان، الجاحظ ، الحنين إلى الأوطان، مؤسّسة هنداوي، 2017.

7) حمد الجاسر، نصوص وأبحاث جغرافيّة وتاريخيّة عن جزيرة العرب؛ كتاب المناسك وأماكن طرق الحجّ ومعالم الجزيرة، منشورات دار اليمامة للبحث والتّرجمة والنّشر، الرّياض، السّعودية، 1969.

8) الزّمخشريّ، الجبال والأمكنة والمياه، دراسة وتحقيق: أحمد عبد التوّاب عوض، دار الفضيلة، القاهرة.

9) زهير مصطفى اليازجي، وأحمد عبد الله فرهود، المعلّقات العشر، دار الرفاعي للنشر مع دار القلم العربيّ، 2005م، ط01.

10) صالح بن الهادي رمضان، التّفكير البينيّ، أسسه النظريّة وأثره في دراسة اللّغة العربية وآدابها.

11) طرفة بن العبد البكريّ، الدّيوان، شرح يوسف الأعلم، بيروت دار صادر، 1900.

12) عبد الرّحمان بن ناصر السّعدي، تيسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2010.

13) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صحّحها على نسخة الإمام الشّيخ عبده الّتي قرأها دروسا في جامع الأزهر، وعلّق حواشيه السّيّد رشيد رضا، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط01، 1988.

14) نورد الدّين بن خود، دليل الدّراسات البينيّة العربيّة في اللّغة والأدب والإنسانيّة.

15) همّام، تداخل المعارف ونهاية التّخصّص في الفكر الإسلاميّ العربيّ (دراسة في العلاقة بين العلوم) ط01، بيروت، لبنان، 2017، مركز نماء للبحوث.

16) المفضّل الضبّي، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، أحمد محمّد شاكر، المفضّليّات، ديوان، دار المعارف، كونيش النيل، القاهرة، ط08.

17) الآفاق المعرفية والرّهانات المجتمعيّة، اللّغة العربية والدّراسات البينيّة، مؤتمر دوليّ، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة. المجلّد الأوّل، 2018.

II. المعاجم:

1. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرّازي، معجم مقاييس اللّغة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، الجزء 2، 2011.

2. ابن منظور، تولّى تحقيقه: عبد الله علي كبير، محمّد أحمد حسب الله، هاشم محمّد الشّاذلي، لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النّيل، القاهرة.

3. محبّ الدّين أبو الفيض السّيّد محمّد مرتضى الحسيني الواسطيّ الزّبيديّ، من شرح القاموس المسمّى تاج العروس من جواهر من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية المنشأة بجماليّة مصر، المحميّة سنة 1306هـ، ط01.

III. المراجع:

1. إبراهيم السّامرّائي، في لغة الشّعر، دار الفكر للنّشر، عمّان.

2.أبو عبد السّلام الإدريسيّ، تحليل من أنموذج الشّعر الجاهليّ، كلّية متعدّدة التّخصّصات، النّاظور. وحدة الشّعر القديم، 2015/2014.

3. أبي زكريا يحي بن علي بن محمّد الشّيباني، شرح المعلّقات العشر المذهّبات.

4. إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهليّ، رفعُ عبد الرّحمان النّجديّ، دار الطّليعة بيروت، لبنان، ط01، 1979.

5. أبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكريّ الأندلسيّ، ج01، عارضه بمخطوطات القاهرة، وحققه وضبطه، مصطفى السّقا، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت.

6. أحمد إبراهيم الشريف، مكّة والمدينة، في الجاهليّة وعهد الرّسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربيّ، 1985.

7. أحمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة.

8. دلاور صابر، واقع الهالة الضّوئيّة حول جسم الإنسان، حقيقة في المختبر والشّريعة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط01، .2008.

9. أحمد لفي السيّد، تأمّلات، في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع، مؤسسة هنداوي، .2012

10. أحمد الحوفي، المرأة في الشّعر الجاهليّ، دار الفكر العربيّ، ط02.

11. أحمد مفتاح، مفاهيم موسّعة لنظريّة شعريّة، اللّغة؛ الموسيقى؛ الحركة؛ ج02، نظريات وأنساق، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدار العربيّ؛ المغرب، ط01، 2010.

12. إدوارد تي هو، البُعد الخفيّ، ترجمة لميس فؤاد اليحي، مرجعة وتدقيق: محمود الزواويّ، الأهليّ للنّشر، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، عمّان، ط01، 2007.

13. أدونيس، الشّعريّة العربيّة، دار الآداب، بيروت، ط01، 1985، ط02، 1989.

14. أنور عبد الغني العقاد، الجغرافيا الفلكية، دار المريح، الرياض، المملكة العربية السعوديّة، 1983.

15. أغناطيوس كراتشكوفسكي، نقله إلى العربيّة صلاح الدّين عثمان هاشم، تاريخ الأدب الجغرافيّ العربيّ، قام بمراجعته إيغور 1957.

16. أمينة بلهاشمي، المكان وشعريته في ضوء المنهج السّيميائيّ، دراسة نموذجية في الشّعر العربيّ والجزائريّ الحديث، دار المعتز، ط01، 2020.

17. إيمان جريدان، هويّة المكان وتحوّلاته، قراءة في رواية طوق الحمام، دار الكافي 2020، ط02.

18. باديس فوغالي، الزّمان والمكان في الشّعر الجاهليّ، الأردن، عالم الكتب الحديث، .2008

19. بدوي طبّانة، معلّقات العرب، دراسة نقديّة تاريخيّة في عيون الشّعر الجاهليّ، مكتبة الأنجلو مصريّة، ط01، 1958.

20. بوجمعة بوبعيّو، جدليّة القيّم في الشّعر الجاهلي، رؤية نقديّة معاصرة، منشورات كتاب اتّحاد العرب، 2001.

21. ثناء أنس الوجود، رمز الماء في الأدب الجاهليّ، الناشر مكتبة الشباب.

22. جابر عصفور، الصّورة الفنيّة في التّراث النّقديّ والبلاغي عند العرب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط03، 1992.

23. جبران، روضة سحيم حمد آل ثاني، مؤسسة حمادة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، 1998.

24. حمد أمين، النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي، جمهورية مصر، 2012.

25. حمد صبري الأشتر، العصر الجاهليّ، الأدب والنّصوص، المعلّقات، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعيّة، 1994.

26. الحسين محمّد المختار الغريب، الجزء النّظري في مادّة نظم المعلومات الجغرافيّة، الأكاديميّة اللّيبيّة؛ فرع مسراتة، 2022.

27. حسن ناظم، مفاهيم الشعريّ، دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربيّ، ط01، بيروت، 1994.

28. حسين نصّار، في الشّعر العربيّ، منتدى سور الأزبكيّة، ، مكتبة الثّقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ط01،2001.

29. الحميدي يوسف بن عبد العزيز، ياقوت الحموي مؤرخا من خلال كتابه معجم البلدان، بيروت، لبنان، ط 01، 2014.

30. حي وهيب الجبوريّ، الشّعر الجاهليّ ، خصائصه وفنونه، دار مجدلاوي للنّشر، عمان ط01، 2013.

31. خالد حوير الشّمس، اللّسانيات البينيّة، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2022.

32. دُريد بن الصّمّة، ذخائر العرب، الدّيوان، تحقيق د. عمر عبد الرّسول، دار المعارف، كورنيش النّيل، القاهرة، 2009.

33. ديزره سقال، العرب في العصر الجاهليّ، دار الصّداقة العربيّة، بيروت، ط01.
34. راوية عبد المنعم عبّاس، الإنسان والفن والجمال، ثلاثيّة الحياة الخلاّقة، دار الوفاء لدنيا الطّباعة، ط01، 2014.
35. رشيد يحياوي، الشعريّة العربيّة، الأنواع والأغراض، أفرقيا الشّرق، 1991، ط01.
36. سعد بن عبد الله بن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط01، 1999.
37. سعد إسماعيل شبليّ، الأصول الفنيّة للشّعر الجاهليّ، مكتبة غريب، ط02.
38. سعيد توفيق، دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية، الخبرة الجماليّة، المؤسسة الجامعيّة للدّراسة والنّشر، ط01، 1992.
39. سامر مخيمر، خالد حجازيّ، أزمة المياه في المنطقة العربيّة، الحقائق والبدائل الممكنة، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهريّة ثقافيّة يصدرها المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996.
40. سعد بن عبد الله بن جنيدل، معجم الأمكنة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، الريّاض، ط01، 2003.
41. سعد حسن كمّوني، الطّلل في النّصّ العربيّ، دراسة في الظّاهرة الطلليّة مظهرا للرّؤية العربيّة، دار المنتخب العربيّ، بيروت، لبنان.
42. سوسن رجب حسن، المكان وتشكيلاته في شعر السيّاب، دراسة نقديّة تطبيقيّة، مجلة كلية الآداء بور سعيد،العدد: 07، 2016.
43. سعيد يقطين، جغرافيّة الأدب العربيّ ، القدس العربيّ 2021.
44. سليمان الشطّي، المعلّقات وعيون العصور، سلسلة كتب ثقافيّة شهريّة يصدرها المجلس الوطني الثقافيّ للفنون والآداب، الكويت، منتدى مكتبة الإسكندريّة، 2011.
45. السيّد قطب، التّصوير الفنّي في القرآن، دار الشّروق، القاهرة، ط17، 2004.
46. سيدي محمّد غيثري، اللّسانيت التطبيقية والدّراسات البينيّة.
47. السيّد مظفر الدّين نادقي، الألف كتاب، التّاريخ الجغرافيّ للقرآن الكريم، ترجمة وتعريب: عبد الشّافي غنيم عبد القادر، مراجعة: حسن محمّد جوهر، لجنة البيان العربيّ، 1965.ط01.

48. الشّنقيطي؛ الشّيخ أحمد بن الأمين، شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها، اعتنى به: عبد الرّحمان المصطاويّن دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2010.

49. شوقي أبو خليل، أطلس القرآن، أماكن أقوام أعلام، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط01، 2000، إعادة: 2003.

50. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط11.

شوقي ضيف، في التّراث والشّعر واللّغة، دار المعارف، كورنيش النّيل، القاهرة، 1987.

51. الشّيباني المعروف: بالخطيب التّبريزيّ، شرح القصائد العشر، حقق أصوله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه: محيي الدّين عبد الحميد، مكتبة على صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر.

52. عارف حجّاوي، أوّل الشّعر؛ عصارة الشّعر الجاهليّ والإسلاميّ والأمزيّ، دار المشرق، القاهرة، ط02، 2018.

53. عبد السّلام محمّد هارون، ديوان العرب، مجموعات من عيون الشّعر، المفضّليّات، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، كونيش النيل، القاهرة، ط06، ، 1962.

54. عبد الحليم حفنى، مطلع القصيدة العربيّة ودلالته النّفسيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1987.

55. عبّاس محمود العقّاد، اللّغة الشّاعرة، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، جمهوريّة مصر العربيّة.

56. عبد الإله الصّائغ، الخطاب الإبداعيّ الجاهليّ والصّورة الفنّية، القدامة وتحليل الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط01، 1997.

57. عبد الرّحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر دمشق، ط01، 1984.

58. عبد الرحمان عفيف، الشّعر وأيام العرب في العصر الجاهليّ، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1984.

59. عز الدّين إسماعيل، التّفسير النّفسيّ للأدب، مكتبة غريب، ط4.

60. عصام قصبجي، أصول النّقد العربيّ القديم، 1991، مديريّة الكتب والمطبوعات الجامعيّة منشورات جامعة حلب.

61. عطيّة محمّد عطيّة، الظّواهر الفلكيّة والجغرافيّة في القرآن الكريم، مكتبة المهتدين، دار يافا العلميّة، ط01، 2012.

62. عفيف عبد الرحمان، الأدب الجاهلي في آثار الدّراسين قديما وحديثا، دار الفكر للنّشر عمان.

63. عبد الحقّ بلقيدوم الأدب الجغرافي العربي، المفهوم، الأنماط والتطور.

64. عبد الشافي عبد اللطيف، مكة المكرمة في الجاهليّة وعصر الإسلام، دار الفكر العربيّ، القاهرة، 2007.

65. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنَّان، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2010.

66. عبد القادر بن عامر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمّد نبيل طريفي، الجزء1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009.

67. عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربيّة في عصورها القديمة، مكتبة الأنجلو مصريّة، منتدى سور الأزبكيّة، 2010.

68. عبد العظيم علي قناوي، الوصف في الشّعر العربيّ (العصر الجاهليّ)، ج01، مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبيّ وأولاده، مصر، القاهرة، 1949.

69. عبد الفتاح محمّد وهيبة، جغرافيّة المسعوديّ بين النّظريّة والواقع من الأدب الجغرافي في التّراث العربيّ، منشأة المعارف بالأسكندريّة، 1995.

70. عبد الله خضر حمد، الشّعر الجاهلي في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (267هـ)- دراسة أسلوبية، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، 2018.

71. عبد الله محمّد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلة التشريحيّة، قراءة نقديّة لنموذج معاصر، ط4، 1998، الهيئة المصرية العامّة للكتاب.

72. عبد الله يوسف الغنيم، أقاليم الجزيرة العربيّة بين الكتابات العربيّة القديمة والدّراسات المعاصرة، قسم الجغرافيا، الكويت، 1981.

73. عبد الله بن أحمد الفَيفي، مفاتيح القصيدة الجاهليّة، قديّة جديدة، عبر المكتشفات الحديثة في الآثار والميثولوجيا، عالم الكتب الحديث، 2014، إربد، الأردن، ط01.

74. عزة حسن، شعر الوقوف على الأطلال، من الجاهليّة إلى نهاية القرن الثالث، دراسة تحليليّة، دمشق، 1968.

75. عصام عبد الفتاح، الشّعر الجاهليّ، الأعمال الكاملة لشعراء عصر الجاهليّة ، حياتهم، أشعارهم والمعلّقات السّبع...والعشر كنوز للنشر والتوزيع، 2010.

76. علي الجنديّ، شعر الحرب في العصر الجاهليّ ، مكتبة الجامعة العربيّة بيروت، ط03، 1966.

77. عنترة بن شداد، الدّيوان، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط03، 2002.

78. غازي طليمات، أ.عرفان الأشقر، تاريخ الأدب العربي، الأدب الجاهليّ، قضاياه، أغراضه، فنونه، ط01، مكتبة الإيمان، دار الإرشاد، بحمص، دمشق، 1992.

79. فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشّعر الجاهلي 1998.

80. فؤاد قنديل، أدب الرّحلة في التّراث العربيّ، مكتبة الدّار العربيّة للكتاب، منتدى سور الأزبكيّة، مدينة نصر، القاهرة، ط02، 2002.

81. فتحي حسن ملكاويّ، مقالات في إسلامية المعرفة، المعهد الدولي للفكر الإسلامي،2018.

82. القاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزّوزني، شرح المعلّقات العشر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1983.

83. قسطنطين خمار، أسماء الأماكن والمواقع والمعالم الطبيعيّة والبشريّة والجغرافيّة المعروفة في فلسطين حتى العام 1948، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، ط02، 1980.

84. كارل برولكمان: تاريخ الأدب العربي،الجزء الأول، ترجمة عبد الحليم النّجّار، دار المعارف، القاهرة، ط 5.

85. محمّد بن عبد الله بن بلهيد النّجديّ، صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار، ط03، 1418هـ.

86. محمّد حسن عصفور، الدّراسات البينيّة والتّخصّصيّة في العلوم الإنسانية، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، الريّاض، المجلد 25، العدد2، 2013.

87. محمّد الخزامي عزيز، نظم المعلومات الجغرافيّة، أساسيات وتطبيقات للجغرافيين، النّاشر: منشأة المعارف، الإسكندريّة، 1998.

88. أبو موسى، الشّعر الجاهليّ، دراسة في منازع الشّعراء، ط 02، 2012، مكتبة وهبة القاهرة.

89. محمّد توفيق أبو علي، الأمثال العربيّة والعصر الجاهليّ، دراسة تحليليّة، دار النّفائس، بيروت، ط01، 1988.

90. محمّد محمود محمّدين الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، درا الخريجي، الريّاض السعودية ط02- 1996.

91. محمّد صبري الأشتر، العصر الجاهلي: الأدب والنصوص-المعلّقات، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، 1994.

92. محمود عباس عبد الواحد، قراءة النّصّ وجماليّة التّلقّي بين المذاهب الغربيّة الحديثة وتراثنا النّقديّ (دراسة مقارنة)، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط01، 1996.

93. محمّد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في العصر الجاهليّ، دار الجيل، بيروت، ط1992،01.

94. مشري بن خليفة، الشعريّة العربيّة ، مرجعياتها وإبدالاتها النصّيّة، ، ط01، 2011.

95. مصطفى سويف، الأسس النّفسية للإبداع الفنّي، في الشّعر خاصّة، دار المعارف بمصر، 1951.

96. مصطفى عبد اللّطيف جياووك، الحياة والموت في الشعر الجاهليّ، مكتبة لسان العرب، منشورات وزارة الإعلام، دار الفكر، البصرة، الجمهوريّة العراقيّة،ط01، 1977.

97. موسى ربابعة، تشكيل الخطاب الشّعريّ، مكتبة الأدب المغربيّ، دراسات في الشّعر الجاهليّ، دار جرير للنّشر، سامراء، ط01، 2011.

98. ناصر الدّين الأسد، مصادر الشّعر الجاهليّ وقيمتها التّاريخيّة، دار الجيل للنشر، بيروت، 1996، ط08.

99. نجيب محمود البهبيتيّ، المعلّقات سيرةً وتاريخاً، ط01، 1982، مكتبة الأدب المغربيّ، دار الثّقافة، المغرب.

100. نزار جبريل السعودي، تفاعل النّقد الثقافي.

101. نعمان جبران، روضة سحيم حمد آل ثاني، مؤسسة حمادة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، 1998.

102. نوري حمودي القيسي، الطبيعة في الشّعر الجاهليّ، دار الإرشاد للطّباعة والنشّر، بيروت، ط01، 1970.

103. هاني خميس أحمد عبده، البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة: تجارب عملية وخيارات مستقبلية.

104. يوسف عليمات، جماليات التّحليل الثّقافيّ، الشّعر الجاهليّ انموذجا، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر ،ط01، 2004.

105. منصور قيسومة؛ مدخل إلى جماليّة الشّعر العربيّ الحديث؛ الدّار التّونوسية للكتاب، ط01؛ 2013.

106. يوسف اليوسف، بحوث في المعلّقات، وزارة الثّقافة والإرشاد القوميّ، دمشق، 1978.

107. يوسف حسّان بكّار، بناء القصيدة في النّقد العربيّ القديم، (في ضوء النّقد الحديث)، دار الأندلس، بيروت، لبنان.

IV. المذكّرات الجامعيّة:

1.بدر نايف الرّشيديّ، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد الرؤوف زهدي، صورة المكان الفنيّة في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير مقدمة لكليّة الآداب والعلوم، جامعة الشّرق الأوسط، 2012/2011عبقرية الصورة والمكان طاهر عبد.

2. بن بغداد أحمد، إشراف: صبار نور الدّين، شعرية المكان في الشّعر الجاهليّ، المعلّقات العشر أنموذجا، بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتوراه في النّقد المعاصر، 2016/2015.

3. خميسيّ آدميّ، إشراف: عبد القادر داخميّ، موسم: 2017/2016. المرجعيّة المعرفيّة للمقدّمة الطلليّة بين الجاهليّة وصدر الإسلام، دراسة في النسق الثّقافيّ، رسالة مقدّمة لنيل درجة دكتوراة العلوم في الأدب المغربيّ القديم.

4. سعد سامي محمّد، الأنا والآخر في المعلّقات العشر، رسالة يتقدّم بها الطّالب إلى مجلس كلّية الآداب في جامعة البصرة في قسم اللّغة العربيّة وهي جزء من نيل شهادة الماجستير في اللّغة العربية وآدابها، إشراف: جنان محمّد عبد الجليل، 2012.

5.شاهر عوض القاوين، إشراف: حسن محمّد باجودة، الشعر العربي في رثاء المدن والأمصار حتّى نهاية سقوط الأندلس، بحث مقدّم لنيل درجة الدّكتورة في الأدب العربيّ، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرّمة، 1984.

6. شباح نوارة، إشراف: محمّد الصالح خرفي، التجربة النقديّة عند حبيب مونسي، نقد الشّعر أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللّغة والأدب العربي، جامعة محمّد الصديق بن يحي جيجل، 2015/2014.

7. فوّاز معمري، جماليّت المكان في الشّعر الجاهليّ المعلّقات أنموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتورة علوم، 2018 تحت إشراف الدكتور عمار بن القريشي، جامعة المسيلة.

8. محمّد الصالح خرفي، جماليّة المكان في الشعر الجزائري المعاصر، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، جامعة قسنطينة الجزائر،2006/2005.

9. محمّد صديق حسن عبد الوهّاب، الصّحراء في الشّعر الجاهليّ، إشراف الدّكتور عبد الرّحمان عطا المنان، بحث مقدّم لنيل شهادة الدّكتوراة في الأدب والنّقد.2008/2007.

10. مريم عفانة إشراف: أمل نصير، المعلّقات العشر؛ دراسة ثقافيّة، رسالة ماجستير في جامعة اليرموك، 2008/2007.

11. منال عبد الفتاح حسين شتية، قداسة المكان في الشّعر الجاهليّ، إشراف أ. د إحسان الدّيك، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، نابلس، فلسطين، 2017م.

12. نوال عليّ عبد الرّحمان خضر، إشراف: أ.د. خليل عودة، صورة السّماء والأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغيّة)، قدّمت هذه الأطروحة لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللّغة العربيّة بكلّيّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة بنابلس فلسطين،2011.

13. يوسف أحمد علي أبو ريدة، إشراف يحي عبد الرؤوف جبر، أعلام المكان في القرآن الكريم، دراسة دلاليّة، قدّمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلّبات درجة الماجستير، جامعة الخليل، 2008/2007.

14. منال يعقوب عبد الرّحيم يعقوب، تجليات الثّقافة الجاهليّة في لغة السّور المكيّة، إشراف: يحي عبد الرّؤوف جبر، قدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على

درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها بكليّة الدّراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة في نابلس فلسطين،2012.

15. يوسف حسين محمود دحمان، الهوية وتجلّياتها السّرديّة في أعمال إميل حبيبي، إشراف: براهيم خليل، رسالة ماجستير، الأردن، 2007.

7. المقالات:

1. إبراهيم أمغار، الجبل في الشّعر الجاهليّ بين الواقعيّ والتّخييليّ، المنهل، مجلة العرب الأدبيّة الثقافيّة، 2004.

2. إحسان محمود سليمان؛ المكان في المقدّمات الطّلليّة في شعر المعلّقات (دراسة نقديّة تحليليّة)، مجلة البحث العلميّ في الآداب.

3. آمنة بلعلي، الدراسات البينية وإشكالية المصطلح العابر للتخصصات، مجلة سيّاقات، الجزائر، سياقات اللّغة والدّراسات البينيّة.

4. بن بغداد أحمد، دلالة المكان في الشّعر الجاهليّ، المعيار، العدد: 17، جوان 2017، تسمسيلت.

5. بن يوسف خضرة، خيرة مكاوي، النّظرية الشّعريّة الموسّعة لمحمّد مفتاح، نظريّة نقديّة متعدّدة التخصّصات، أعمال الملتقى الدّولي الافتراضي التّاسع لتحليل الخطاب "الدّراسات البينيّة في اللّغة والأدب والنّقد" ماهيتها وطبيعتها ومصادرها، 15، 16 2022، إشراف وتنسيق الدكتورة هنية عريف.

6. البينيّة مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعيّة ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرّحمان.

7. حسين بوحسون، جماليّة المكان الفنّي، مقاربة نظريّة، جامعة طاهري بشّار، مجلّة دراسات 2016.

8. حمادي خلف سعود، علي حسين جلود، المكان في شعر أصحاب المعلّقات العشرة الجاهليين (دراسة تحليليّة)، مجلة العلوم التّربويّة والإنسانيّة، العدد 07، 2021، العراق.

9. خالديّة جاب الله، مصطلح البروكسيميكا proxemic وتوظيفاته المكانيّة في الممارسات النّقديّة الجزائريّة، مجلّة القارئ للدّراسات الأدبيّة والنقديّة واللّغويّة، المجلّد 05، العدد01، مارس 2022.

10. خميس نادية، الدّراسات البينيّة: نحو إستراتيجية بديلة في البحث العلمي، مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة باتنة 1، المجلد 14، العدد 2، 2021.

11. سعيد محمّد الفيوميّ، فلسفة المكان في المقدّمة الطلليّة في الشّعر الجاهليّ، مجلة الجامعة الإسلاميّة (سلسلة الدّراسات الإنسانيّة)، المجلد 15، العدد 02، 2007.

12. سليمة يحياوي، الدّراسة المواقعيّة في تحديد الهويّة التّاريخيّة الجغرافيّة للمدن الجزائريّة .

13. سيدي محمّد غيثري، اللّسانيت التطبيقية والدراسات البينيّة، مجلة جسور المعرفة، الجزائر.

14. إبراهيم موسى الزقرطيّ، أسس الأسماء الجغرافيّة، المركز الجغرافيّ الملكي الأردنيّ، عمان.

15. **رانيا** عبد المعز الجمال، الدّراسات البينيّة وبعض التّجارب العلميّة، المؤتمر الدّولي" اللّغة العربية والدراسات البينية–الأفاق المعرفية والرهانات المجتمعية"، الرياض، المجلد الأول 2018.

16. سيّد بيّومي، معوّقات تفعيل الدّراسات البينيّة في العلوم الاجتماعيّة؛ دراسة ميدانيّة ؛ جامعة السّلطان قابوس، مجلّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة.

17. رباح رمزي الضبع، رشا مصطفى السيد مصطفى الحنفي، الشراكة البينية للإشراف العلمي مدخل لتجويد الدراسات العليا بالجامعات المصرية، المجلة التربوية، كلية التربية، جامعة سوهاج، عدد يناير، ج01، 2021.

18. ريمة برقراق، رهان التخصّصات البينيّة: مقاربة مفاهيميّة، مجلّة الموروث، المجلّد9، العدد1، 2021.

19. فتيحة طيبي، تلقي النّص الشّعري العربي القديم، مجلة الباحث، العدد: 11، ديسمبر 2012. يحي عبد الرّؤوف جبر، الأعلام الجغرافيّة دراسةً في تكوّنها وفلسفتها، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المجلّد: 80، دار المنظومة، 2021.

20. عادل بوديار، تحت إشراف: عبد القادر دامخي، دلالة المطر في الشّعر الجاهليّ، دراسة نسقيّة سياقيّة، مذكرة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي القديم، 2015/2014.

21. عبد العزيز شويط، أثر البيئة في المنجز النّقديّ المغربيّ القديم، دراسة في طوبونيميّة المواقع والأعلام لصياغة الذّوق النقديّ ودربته، جامعة جيجل، مجلة المقال، العدد04.

22. علي صاحب طالب الموسوي، جوانب من الفكر الجغرافي في القرآن الكريم، مجلّة البحوث الجغرافيّة، العدد العاشر، جامعة الكوفة، كلّية التّربية للبنات.

23. عمّارة الجدّاري، المكان في الشّعر العربيّ القدبم بين التوثيق والتلقّي، من خلال نماذج من المفضّليّات، والمعلّقات، جامعة سوسة تونس، الخطاب، المجلد 14، العدد 01، تاريخ النّشر: 2019/02/01.

24. كمال بحو، محمّد البالي، تجاذبات الهويّة، الدّلالات والتّحدّيات، الهويّة المغربيّة أنموذجاً، المؤتمر السّنويّ السّادس لمركز الدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، نوفمبر 2017.

25. لعربي بن أعمارة، تجلّيّات التّنوّع الثقافي واللّغوي في الجزائر، الطّوبونيميا أنموذجا، تاريخ القبول، 2021/05/06، مجلّة معالم، المجلّد: 14، العدد 02، السّداسي الثّاني، 2021.

26. مرتضى حسين علي حسن، إشراف: محمّد عز الدّين المناصرة، جماليات المكان في الشّعر العراقي الحديث "سعدي يوسف أنموذجا"، قدمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة فيلادلفيا.

27. ليلى جغام، رثاء المدن بين سقوط الأندلس وأحداث الثّلاثاء الأسود، جانفي، 2009. مجلّة كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، العدد:04.

28. محمّد غاليم، بعض الأصول المعرفية للدراسات البينية نموذج الوجهات اللّغوية، المؤتمر الدّولي "اللّغة العربيّة والدّراسات البينيّة-الأفاق المعرفيّة والرّهانات المجتمعيّة"، الرّيّاض، المجلّد الأوّل 2018.

29. محمود جابر حسن الجلويّ، بناء مناهج الدّراسات الاجتماعيّة بالمرحلة الابتدائيّة وفق مدخل الدّراسات البينيّة، مجلة الجمعيّة التّربويّة للدّراسات الاجتماعيّة،العدد 74، القاهرة،2020.

30. محمود خليف خضير الحياني، صابرة بن قرماز، استراتيجيّة فهم المقروء الثّقافيّ في معلّقة عنترة العبسيّ، مجلّة المخبر أبحاث في اللّغة والأدب الجزائريّ، المجلّد 17، العدد: 01، 2021.

31. محمود مصطفى محمّد إبراهيم، الدّراسات البينيّة لدى أعضاء هيئة التّدريس في العلوم الاجتماعيّة ودورها في تحقيق التنمية المستدامة–دراسة ميدانيّة، مجلّة البحث العلمي في التربية، كلية البنات للآداب والعلوم التربوية، جامعة عين الشمس،القاهرة، العدد 7، 2016.

32. معتز قصي ياسين، دلالات المكان في شعر حامد عبد الصّمد البصريّ، معتز قصي ياسين، مركز دراسات البصرة والخليج العربيّ، جامعة البصرة، العراق، سبتتمبر 2020، مجلّة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيّات والاجتماع.

33. نزار جبريل السّعوديّ، تفاعل النّقد الثّقافي مع المناهج النّقديّة والمعارف المتعدّدة، قراءة لأهمّ المفاهيم الرّئيسيّة، مجلّة جامعة الشّارقة للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، المجلد، 14، العدد 02، ديسمبر، 2017، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة.ط01، 2003.

34. يحي عبد الرّؤوف جبر، الأعلام الجغرافيّة في الشّعر الجاهليّ، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة، القاهرة، سنة 2009.

VI. المواقع الإلكترونيّة:

1. أحمد مداس، معالم في مناهج تحليل الخطاب.

2. خميس أحمد عبده، البحوث البينية وتقدم المجتمعات الإنسانية خلال الألفية الجديدة.

3. عمّار بن عبد المنعم أمين عميد كليّة علوم الأرض جامعة الملك عبد العزي، الدّراسات البينيّة، رؤية لتطوير التّعليم الجامعيّ.

4. مؤسسة تبيان الثّقافيّة والمعلوماتيّة، الحجّ في الشعر الجاهلي، الموقع: www.teyan.net

5. مضر خليل عمر الكيلاني، العلم وتداخل التخصّصات فيه،

1. ناصر بن سعيد بن سيف السّيف، الهويّة والثّقافة، مقال من الأنترنيت، شبكة الألّوكة، يمكن تحميل المقال أيضا من مكتبة نور، www.noor–book.com.


فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات: